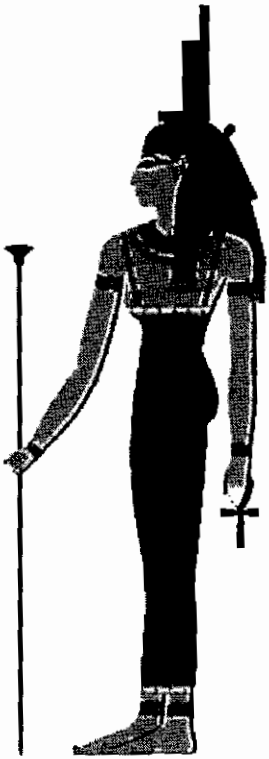

إيزيـــس ٦٧

اسطورة أم حقيقة

تأليف أسـامة على الصـادق

إيزيس ٦٧ ... رواية

أسامة على الصادق

.....

الناشـــر: المؤلف

الطبعة الأولى : ديسمبر ٢٠١٧

.....

تصميم الغلاف:

المهندس: طارق الصـادق

م: ٠١٢٢٧٩٧٠٠٣٢

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

oelsadek@gmail.com

إيزيـــس .. ٦٧

روايــة

أســامة على الصــادق

تمهـــيد

* بعد محاولة قتل الأله (اوزوريس) من قِبل اخاه (ست) ووضعه بصندوق (باليم) بالبحر الأبيض المتوسط، أخذت زوجته (إيزيس) تبحث عنه وعثرت عليه علي شاطيء (بديت) قرب ميناء (بيبلوس / بيروت) بالشام فأعادته لمصر وخبأته، إلا أن أخاه ست إكتشفه وقطع جسده ووزعه علي أقاليم مصر، قامت إيزيس بدفن كل قطعة من الجسد في مكان وجودها، يمكن القول بان هذا المشهد اشبه بقصة نبينا ابراهيم (ع) حين قسم أجساد الطيور إلى عدة اقسام فنادى عليها وجمعها كما كانت.

إن ذكر الكاس المقدسة المصرية... هو رحم ايزيس ... رحم سيدة الأرض التي قدست في كل انحاء العالم القديم تقريبا... فهو الرحم الذي أنجب حورس... شمس الوعي الجديدة التي هي رع... صورة تاج ايزيس وحتحور هو في الواقع رمزا لرحم المرأة... صورة قرنين البقرة القريبة جداً من رحم المرأة خاصة وأن قرص الشمس بينهما يمثل الجنين في الكيس في رحم أمه.

فأجدادنا قدسوا المرأة ودورها في الحياة وعلموا أنها بوابة للعالم الذي نعيش فيه وهي حصن الأمن والأمل وبذرة الوعي، هي الأرض الخصبة لقيام روح جديدة، إنها فكرة ميلاد رع من جديد وارتباطها بفكرة ميلاد حورس، إن الوعي واضحاً في تاج ايزيس (رع حور اخت) تترجم رع في الافق وتدرك بأنها شمس الوعي داخل الانسان وداخل افق عقله.

من ناحية أخرى فان التطابق الملحوظ بين قصة ايزيس والعذراء مريم مُلفت للانتباه ويستدعي النظر عما اذا كانت قصة مريم العذراء هي إعادة استقراء للأم ايزيس التي قدسها المصريون والعالم القديم اجمع، وحتى الآن نقلت تلك الأسطورة المقدسة وبأنها العذراء حتى إلى أدبيات الابراهيميات بما فيها المسيحية.

إن ايزيس وصفت كعذراء في نصوص الأهرامات وهي تطلق على نفسها حسب النصوص (أنا الأم العذراء) وهى أيضا بمعبد الملك (سيتي) الأول الذى يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد بمنطقة (أبيدوس) ووصف لإيزيس بأنها العذراء الكبرى أو العذراء العظمى.

ويأتي وصف ايزيس بالعذراء لأسباب وفقا للرسوم الموجودة بمعبد سيتي الأول فان (إيزيس) حملت (بحورس) من (اوزوريس) بعدما تحولت لصقر أو نسر وحلقت فوق جثته، في سرد آخر حملت من اوزيريس عن طريق السحر وأن اكتمال جمع جثة اوزيريس كان بغرض إعادة الروح له في العالم الآخر.

إن الترميز الفلكي كان له اكثر من رمز فايزيس تعتبر (روح نجم الشاعرة اليمانية سوبدت) كما اطلق عليها المصريون وأيضا هي برج العذراء وتطورت فكرة العذرية مع (ثالوث إيزيس واوزوريس وابنهم حورس). * " منقولة من أبحاث كتاب التراث الفرعونى"

بعد مُضى خمسون عاما على حرب عام ١٩٦٧ أو الهزيمة القاسية للعسكرية المصرية المجيدة أمام قوة ناشئة لم يبلغ عمرها ثلاثين عاما ظهرت بعض جوانب إيجابية خلال تلك الحرب أو الهزيمة وأيضاً بعدها.

إن إيزيس عام ١٩٦٧ تلك الفتاة الجميلة المثقفة التى تجد نفسها دون إعداد بالمشاركة فى آثار تلك الحرب وتوابعها وتمر الشهور والأيام عليها لتكمل خمسون عاما منذ كارثة تلك الحرب حتى عام ٢٠١٧ لتروى لنا عن ما حدث من أحداث وما قامت به من تفاعلات إيجابية مسايرة لنتائج الحرب لتثبت لنا أن التاريخ عبارة عن دائرة تمضى ثم تعود لنا بحِّكم وأفكار وتصرفات الأجداد العظام.

سنعلم فى تلك الرواية التى أعرف الكثير من أبطالها ماذا حدث على الجانب الآخر من حياة النساء بمصر، تلكم النسوة التى يتجاهلها المصريون بينما هم أسباب كل الأحداث، لأن اصواتهم خافتة خجلاً وتكريساً للقيام بواجب الأمومة التى هى من أجَّل وأعظم ما يقوم به البشر.

سنشعر بأن عجلة التاريخ تدور مثلما تدور الكرة الأرضية ومثلما تتحرك (نجمة الشاعرة اليمانية) فى علم الفلك لمدة ٢٠١٦ عام لتعود لعرينها أى برج (الأسد) وبالرواية الكثير من المعلومات سواء فى الماضى أو الحاضر رغبت بأن أوجزها وأحدد معالمها حتى لا يتوه منى القارىء وإذا حدث ما أخشاه فليعطينى العذر لضخامة الحدث وتفرعه وتشابه الحديث بالقديم.

مدخل الرواية :

بقطار الصعيد إلتقى كل من الضابط المصرى (حاتم) الذى يعمل بأحد تشكيلات القوات المسلحة جنوب الصعيد والذى كان عائداً للقاهرة لقضاء إجازته المعتادة مع الفتاة الجميلة (إيزيس) التى أمضت مع زميلاتها إجازة نصف العام الدراسى ضمن رحلة لمدينة أسوان وآثار الأجداد بمنطقة أبى سمبل الأثرية.

توقف القطار قبل وصوله لمدينة قنا بسبب عطل مفاجىء ولهذا غادر الجميع القطار للتريض والتمتع باشعة الشمس والمزارع الخضراء على جانبىّ شريط القطار، تبارت الفتيات فى الضحك والسعادة ولهذا أخرجت إيزيس كاميرا التصوير الفوتغرافى كى تحصل على عدة صور تذكارية مع زميلاتها.

كانت ترغب فى العثور على شخص يقوم بتصويرهن كمجموعة فشاهدت الضابط الذى كان يرتدى ملابسه العسكرية الأنيقة وهو برتبة نقيب وكان من الواضح لها أنه يراقب مجموعة الشباب بسعادة وقد عاد به الزمن للوراء عدة أعوام حينما كان طالبا بالكلية الحربية.

لقد تفرقت الصحبة لظروف العمل وقلت اللقاءات ولم تعد ولهذا كانت مجموعة الفتيات هن العوض للشاب (حاتم) عن فقد الصحبة وأيضا لمتعته بمشاهدة تلك الصور الجميلة المتحركة الضاحكة الباسمة وهن يتبادلن التعليقات والضحكات وكل واحدة تتمايل بسعادة على صديقتها وهى تشير جهة المزارع ومتابعة القرويات الاتى يعملن بالحقول.

لـقاء الحب والخيول

يشاهد حاتم الفتاة الجميلة المغردة دائمة النشاط تجيل ببصرها جولة دائرية وفى لحظة توقفت نظراتها ناحية حاتم، أعادت وضع الظارة الشمس الجميلة على عيونها وإتجهت صوب حاتم الذى كان يقف أسفل شجرة من أشجار السنط ووضع يده على ساقها مستنداً حتى وصلت الفتاة بالقرب منه وعلى ثغرها إبتسامة رقيقة تظهر حكمة الخالق فى خلقة وقد صورها الله على أحسن ما يكون تأكيداً لقوله : لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ..

- صباح الخير ياكابتن.

- صباح الخير والسعادة .. إبتسمت.

- السعادة .. ربنا يسعد الجميع .. ممكن تصور المجموعة الجميلة بتاعتنا.

- فعلا أنا صورتكم كلكم وحفظت الصور فى ذاكرتى.

- الله على الكلام البديع .. إحنا قنوعين وعايزين صورنا نحتفظ بيها على الورق .. تفضل الكاميرا إهه.

أمسك حاتم بالكاميرا بعد أن مدت إيزيس يدها حاملة الكاميرا وإقتربت منه كى توضح له كيفية ضبط مسافة التصوير وفتحة العدسة، كان باديا إقتراب الإثنان من بعضهما البعض وعلقت الفتيات على هذا ببعض إبتسامات وإيماءات وصدرت من إحداهن تصريح قصير له المعنى والمغنى بأن إيزيس عثرت على أوزريس مما دفع المجموعة للضحك بصوت مرتفع لفت نظر وإنتباه حاتم وإيزيس.

أخذت الفتيات وضع الإستعدادات للتصوير الجماعى مع بعض إرشادات وإشارات من حاتم ومازال ينظر بداخل العدسة كى تصبح

المجموعة بالكامل فى داخل الكادر أى الصورة، ضغط حاتم على زر التصوير على أثرها تفرقت الفتيات لكن حاتم أشار إليهن بالوقوف بجهة أخرى مع تبديل فى الأوضاع بداخل المجموعة.

أسرعت الفتيات بالتنفيذ يرافق هذا الضحكات المرحة عالية النبرة مع التمايل والقفز البسيط حتى تجمعن جميعا بداخل الصورة وإنتهى حاتم من التصوير، وقفت إحداهن تخاطب الجميع بأنه من الواجب علينا مكافأة هذا الضابط بصورة تذكارية عرفاناً منا بما قام به.

أثناء الحوارات المتبادلة بين بعض الفتيات وحاتم سمع الجميع صوت صهيل فرس وصوت حاد مرتفع لرجل مرافقا لصهيل الفرس، توقف الجميع ونظروا جهة مصدر الصوت فشاهدوا رجل قوىّ البنيان يمسك بلجام حصان أبيض والغضب يلفه ويصيح بالفرس مؤنباً موبخاً مهدداً بأنه سوف ينزل به العقاب مع دفعه بالعصا التى بيده من حين لآخر.

توقف الرجل أمام مجموعة الشباب التى لفها الصمت، نظر بنوع من الرهبة والإحترام جهة حاتم وشعر بأن هذا الضابط من الممكن أن يتصرف معه تصرف معاد لما بدر منه تجاه الحصان ولهذا أسرع بالحديث :

_ الفرسه ديه راكبها العصبى من ساعة ما ركبت عليها السرج زى كل يوم، مش عارف حصلها إيه، واكله وشبعانه وشربت ميه ع الآخر ورغم كده (بتجمص) لما بأحاول أضع رجلى بالسرج.

توجه حاتم نحو الفرسة التى كان باديا عليها الضيق والخوف.

الفتيات ينظرن له بشغف رغبة منهن بمعرفة ما يضايق هذه الفرسة الجميلة وما هو تصرف حاتم نحوها، إقترب حاتم منها ووقف بجوار رأس

الفرس وهدهد عليه بهدوء وملس على رقبته بيد رقيقة ناعمة قللت من توتر الفرس.

مازال حاتم يداعب الفرس وبدا أن الفرسة تتجاوب معه بل دقت على الأرض بأحد أقدامها الأمامية ونظرت بالجانب نحو حاتم وصهلت، وبدا أن الفرس أصبح فى حالة من الإسترخاء كما تلاحظ تدلي شفة الفرس والفك الأسفل بشكل واضح وبدت السعادة على وجه حاتم وتحدث للجميع على التغيرات التى طرأت على الفرس.

شعر مرافق الفرس بالسعادة وإستأذن حاتم فى الإنصراف برفقة الفرس لكن حاتم طلب منه الإنتظار وسأله عما أصاب الفرس فلم يستطع الرجل الإجابة، بهدوء رفع حاتم السرج من فوق ظهر الفرس وقلبه ونظر بأسفله ناحية الجهة التى توضع على ظهر الفرس مباشرة وتوقفت يداه عند نقطة معينة وبدأ بإصبعه يستخرج شيئاً وكانت المفاجأة.

سلك صغير ملتوى بأسفل السرج أصاب الفرس بالضيق، أسرع حاتم لظهر الفرس يتحسسه وشاهد أثر إصابة الفرس من هذا السلك المعدنى بجرح سطحى والدماء تغلف المكان، طلب من الرجل أن يحضر بعض الطين من الأرض المجاوره بينما قام حاتم بإستخدام منديله الشخصى المصنوع من القماش اللين وجفف به الجرح وأزال الدماء مع لمسات رقيقة جعلت الحصان يعيد ضربات الأرض بقدميه.

أقبل الرجل بقطعة من الطين تخير حاتم قطعة لينة ووضعها على مكان الإصابة بهدوء، فى تلك الأثناء كانت الفرس تنظر جهة حاتم وبدا عليها أثر من الرضا الذى خيم على وجهها، بعد قليل تحرك الفرس منفرداً دون سرج

ودار حول حاتم عدة دورات ثم ثنى قدميه الأماميتان وأصبحت رأسه بالقرب من الأرض.

قام حاتم بوضع السرج على ظهر الحصان بعد أن وضع منديله كغطاء فوق الجرح وطلب من السايس أن يضع أسفل السرج قطعة من الإسفنج الطرى حتى لا تضايق الفرس، أمسك حاتم بلجام الحصان وجذبه لأعلى فوقف الفرس على أربع بوضعه المعتاد وبهدوء إعتلى حاتم ظهر الفرس وسار به بضع خطوات بين تصفيق وسعادة الفتيات.

فى لحظة حرك حاتم لجام الفرس الذى أسرع به بين الحقول الخضراء بين دهشة الجميع بما فيهم سايس الفرس وبعد قليل عاد حاتم وقفز من فوق صهوة الفرس برشاقة ألهبت ايادى الفتيات بالتصفيق مما دفع سايس الفرس لأن يقبل حاتم مقدما له كل شكر وثناء.

تحدث حاتم للرجل موضحاً أنه فى حالة ما إذ شاهد الفرس يحرك أذنيه للخلف بمحاذاة رأسه مع تقليب العين بحيث يظهر بياض العين فهذا يدل على الألم أو الغضب الذى يقاسى منه، وعليه ملاحظة وضع الأذن ومستوى الرأس وأن حركة الذيل تعكس الحالة النفسية للخيل.

حالة وضع الأذن السابقة مع تحريك الذيل والدوس بالقدمين فهذا ما يعبر به الفرس عن عدم الارتياح ونفاد الصبر أو القلق، وحركة الذيل القوية دليل على شعوره بالألم، وإذا لاحظت أن الفرس ظهرت أسنانه بوضوح أو أنه يمضغ دون طعام فهذا هو الخطر الكامن لأن سلوكه سوف يصبح عدوانياً ولابد من البحث عن سبب ضيقه وألمه.

كان السايس يستمع لكلمات حاتم بكل إهتمام مما دفع بالفتيات للإلتفاف حولهما ومازال الفرس واقفاً بوضع مريح ومن حين لآخر ينظر جهة حاتم ويصهل ويحرك رأسه لأعلى وأسفل مما أضحك حاتم الذى إقترب من رأس الفرس وهدهد عليها بلمسات رقيقه وحدثه قائلاً :

ـ الأيام جايه وأنا مسافر ووراياً شغل .. المهم تاخدى بالك من نفسك وربنا يوعِدك بإبن الحلال وتخلفى منه مُهر صغير يسعدنا مما دفع الفتيات للضحك ودفع هذا إيزيس للإقتراب منه متسائلة :

ـ أنت يا حضرة الظابط بتكلم الحيوانات؟

ـ أكلم الخيل بس لكن غير كده معرفشى.

ـ تعلمت الحكاية دى فين؟ فى الكلية الحربية؟

ـ لا طبعا .. أنا من صغرى متربى مع الخيل.

ـ متربى مع الخيل، العيلة كانت بتروح نادى الفروسية؟

ـ لا طبعا .. أنا من بلد الخيل والفروسية فى مصر .. من جزيرة سعود بمحافظة الشرقية والبلد دى كل الناس فيها بتربى الخيل ويعملوا فى المجال ده ما بين مالك لبعض الأفراس والحصنه وما بين سايس وعمال نضافه المهم كلنا بنعشق ونحب الخيل.

ترامى إلى آذان الجميع صوت سائق القطار يخبرهم بأن القطار على وشك التحرك بعد نصف ساعة وعلى الجميع الجلوس بداخل القطار.

أعاد السايس تقديم الشكر والإمتنان لما قام به حاتم وسار برفقة الفرس فى إتجاه مبانى القرية والفرس من حين لآخر يتوقف عن السير يحرك ذيله بينما حاتم يشير لها بالوداع مع بعض قبلات فى الهواء، بينما تحركت

الفتيات نحو القطار ولم يتخلف سوى حاتم وإيزيس التى إقتربت منه وناولته الكاميرا وطلبت منه مساعدتها على أخذ بعض لقطات متميزه بين الحقول والزراعات.

تبارى الإثنان فى هذا بينما بعض زميلاتها توقفن إنتظاراً لها والبعض دخلن القطار وأطلت الرؤس الجميلة من شباك عربات القطار، إنتهى الإثنان من التصوير ووقفت إيزيس ونظرت إليه بإمعان متسائلة:

- متعرفناش على بعض.

- أنا حاتم الطحاوى من سعود شرقية وأعمل ضابط بالقوات المسلحة سلاح المشاة بالقاهرة وكنت مكلف بمهمة مؤقته جنوب أسوان وإنتهيت منها والحمد لله.

- أنا إيزيس طالبة بكلية الصيدلة جامعة القاهرة بالسنة الرابعة، يعنى سنة وأتخرج ولما تتعب تجيلى الأجزخانة وأصرف لك الدوا.

- دا الهوا إللى ملوش دوا.

- وبعدين يا حضرة النقيب، يا لله بينا ع القطر، البنات بتراقبنا.

- لما إحتاج دوا قبل التخرج ممكن أروح لك فين؟ فى الكلية.

- بلاش الكلية لكن ممكن تطلب كشف مستعجل بالتليفون (.....) وإللى يرد عليك تعرفه بانك حاتم ومحتاج دوا من الدكتوره إيزيس.

- هايل.

- طيب لما أجهز الدوا أبعته لك على جزيرة أبو السعود.

- أبو السعود إيه! إسمها جزيرة سعود لكن ممكن تكلمينى على تليفون العيانين إللى محتاجين نسمة هوا وبلسم شفا برقم (.....) وإللى يرد من الضباط أو الجنود تعرفيه بأن الدواء إللى طلبه حاتم جاهز، كتبتى الرقم؟

- أيوه وأنت كتبت الرقم ؟

- لأ !!

- كده يا حاتم؟

- أنا حفظته مش كتبته.

- أنت باين عليك حكاية؟

- أنا ألف ليلة، بتضحكى .. بينا ع القطر صحباتك مزمجرين منى.

- ولا يهمك .. دول ح يستجوبونى.

داخـــل القطـــار

جلس الجميع بداخل القطار وبعد عدة دقائق تحرك مبتعداً عن شريط الطوارىء الذى كان يقف عليه للإصلاح، توجه حاتم إلى عربة الطعام وجلس سعيداً منشرح الصدر لإتمام إصلاح القطار الذى لم يستغرق أكثر من ساعة زمن تمتع خلالها بجمال المزروعات المحيطة بالمنطقة كما شاهد الشباب الغض الجميل يلهو ويضحك بسعادة غامرة.

تذكر الفرسة الجميلة التى فى طريقها للإنجاب، فقد إكتمل نموها البدنى وسوف تنجب مُهر جميل بعد أن يفوز بها حصان قوى تعجب به ويعجب بها مما دفعه للضحك، شاهد إيزيس تقف بالقرب منه وفى المواجة، طلت من ثغرها الجميل بسمة رقيقة ناعمة وتسائلت :

- بتضحك وبتكلم نفسك؟

- إستريحى الأول وبعدين إسألى؟

- طيب آدى قاعدة.

تشربى إيه؟ الجرسون وصل لما شافك ومسألشى فيا وأنا بقالى نص ساعة قاعد لوحدى.

- لا يابيه متقولشى كده! إحنا خدامينك وخدامين المزمازيل، لما جت قلت خلاص ما أنا شايفكم مع بعض وفيه تصوير، يعنى لمؤاخذه معرفه، طلبات السيادة؟

- عصير برتقآن، وأنت ياحاتم؟

- قهوه زيادة.

غادر الجرسون المكان بينما إنفرد الإثنان يتحدثان بحديث باسم لا يستطيع أحد أن يترجم معانيه لكن النتيجة النهائية هى السعادة الشاملة.

ظل الإثنان يتحدثان ويتسمان وشعر من حولهما أنهما لا يشعران بباقى الركاب ولا يسمعان سوى أنفسهم ولا يشاهدان أحد غيرهم، خلال هذا تناولا ما طلباه من الجرسون.

حضرت إحدى الزميلات وألقت بتحيتها وإستأذنت حاتم بأنها ترغب فى محادثة إيزيس، نهضت إيزيس متثاقلة وسارت برفقة صديقتها إلى مكان تجمع عدد من الفتيات اللاتى ضحكن حينما أشرقت عليهم شمس إيزيس وبدا فاصل من الأسئلة والإستجواب وبدا على إيزيس إحمرار الوجه فقد وصلت الفتيات إلى مكنون إيزيس وإحداهن شعرت بأن إلاه الحب قد غزا قلبها.

حاولت النفى وأنها سعيدة بهذا الضابط لمعلوماته عن الخيول ولا توجد بينهما أى علاقة تتحدثن عنها مما دفع بإحداهن إذا كنتى غير راغبة به فيوجد من ترغب بالتعرف عليه إلا إذا كان هذا يسبب لك ضيقاً، نفت إيزيس وصرحت لهن بأن من ترغب بمحادثته فهو بالعربة الأخرى يجلس بهدوء يراقب المزارع من خلف زجاج عربة القطار.

نهضت (تهانى) زميلة إيزيس باسمة تتحدث بأنها سوف تهاجم قلب هذا الضابط وبعد وصول القطار إلى محطة مصر سوف تصحبه إلى أقرب مأذون بشارع الفجالة القريب من المحطة.

جلست إيزيس هادئة وبدا عليها الضيق تحاول إخفاء ما يدور بفكرها وخلدها وخشت أن تستطيع صديقتها الفوز بقلب وحب حاتم، تنبهت بأن رُب

ضارة نافعة وإذا حدث هذا فما تشعر به نحو حاتم ما هى إلا مشاعر وأحاسيس كاذبة ولاتنتظر النتيجة.

طال الإنتظار وقصر الزمن، أقبلت تهانى على الجميع صامتة وبدا عليها عدم الراحة والنجاح وصمتت بعض الوقت قبل التحدث ثم أفضت إليهن بأن الضابط رغم أنه كان رقيق المحادثه إلا أنه لم يعر كلماتها الطيبة أى إهتمام وفى نهاية لقائى به وإستأذانى للإنصراف طلب منى أن أخبر إيزيس بأنه فى إنتظارها.

أقبلت الفتيات يقبلن إيزيس مهنئات على فوزها بقلب هذا الفارس الرقيق بينما إيزيس تحاول التملص من هذا الحب الوليد الذى قد يصيبه أى عارض قد يؤدى إلى فقده فى بداية عهده ورغم محاولة دفعها للذهاب إلى حاتم إلا أنها ظلت تجلس بينهن لكن عقلها وحواسها طارت إلى المقعد المواجه للحبيب حاتم.

حـــاتم :

مازلت أنتظر قدوم إيزيس دون جدوى وتملكنى الضيق لهذا، لقد تعلقت بتلك الفتاة الجميلة بسرعة أحسد عليها، فرغم وجود الكثير من الجميلات بقريتنا إلا أننى لم أشعر نحو أى منهن بمثل ما حدث اليوم مع إيزيس رغم أن إيزيس لا تتفوق عليهن فى الجمال ولكنها تجيد الحديث ورقة المعانى والنظرات ومن المحتمل أن المكان الساحر الذى إلتقينا به ساعد على هذا.

إن مواصفات إيزيس رائعة الجمال والرقة والأنوثة ورغم أننى لا أعرف ماهى مواصفات الأنوثة التى أسمع عنها الكثير لأننى لم أجرب هذا بعد لكنى أعتقد بأنه كل شىء معاكس للرجولة، فإذا كانت الرجولة تعنى

الصوت الخشن والعضلات وقوة التحمل والعمل بجد فإن الأنوثة تعنى الصوت الناعم الحالم ورقة ملامح الفتاة وعدم تحمل الأعمال الخشنة القاسية.

لا أعتقد أن تلك هى الأنوثة فقط، سوف أظل صامتا وأكتشف المعنى الحقيقى والواقعى لكلمة الأنوثة، أتسائل لماذا لم تعد إيزيس رغم أننى أخبرت صـديقتها بهـذا، أعتقد أن صديقتها نسيت هذا الأمر، لم أتفهم أى كلمة من كلمات صديقتها، كنت أشعر أنها ترغب بالبوح بشىء ما لكنها لم تستطع.

بالفعل كانت راغبة فى هذا لأن بعض كلماتها كانت تعنى الحب والزواج فهمت الآن بأنها كانت راغبة بأن تصل إلى فكرى من جهة إيزيس وما أنتويه فى المستقبل، لا أستطيع أن أقرر أى شىء الآن إلا بعد تأكدى من مشاعر إيزيس.

مازال الطريق طويلاً وأرغب فى محادثة إيزيس ولا أعرف موضوع المحادثة وماهو لكننى أرغب فى مشاهدتها والجلوس بالقرب منها وسماع صوتها ومشاهدة عيونها الجميلة التى تساعدها فى التعبير عن بعض الكلمات أو إستكمال كلمة أو أكثر من حديثها وتجعلنى أفكر فى ترجمة معانى تلك الكلمات.

حين تتحدث وتشير بيدها وأصابعها معبرة عن توقيت أو عدد معين لشىء ما لا أهتم بما تقول لكنى أراقب تلك الأصابع البيضاء الرقيقة، أفكر وقتها هل من الممكن أن يأتى يوم وأضع بتلك الأصابع خاتم الخطوبة ثم الزواج، هل يأتى اليوم الذى أقبل تلك الأصابع يوم الزفاف تعبيراً عن حبى.

لا أعتقد ويجب علىّ التماسك وإلا سوف أعود لمرحلة المراهقة ومن المحتمل أن القادة المسؤلين عنى لو شعروا بأننى مازلت مراهقا فمن الجائز أن يأمروا بعودتى للدراسة بالكلية الحربية كى ينصلب عودى وأصبح رجلاً قوياً ومقاتلاً يعتمد عليه لوحدث قتال مع العدو.

أفكر .. هل من الجائز التوجه لمكان جلوس الفتيات بالعربة الأخرى وأجلس بجوار إيزيس؟ أعتقد بأنه شيء غير جائز ومن الممكن أن يصيبها نوع من الإحراج وتتعامل معى بطريقة جافة تهيننى وبالأخص حينما أرتدى ملابسى العسكرية فيجب علىّ أن أقدر قيمة هذا الزىّ الذى يمثل الدولة وعليه شعارها من العلم والنسر الموضوع عليه، إنه علم مصر.

لا .. لا .. لن أقوم من مكانى ومن الممكن أن ألتقى بها فى محطة الوصول رغم أن الوقت مازال مبكراً، إن إحترام النفس واجب فمن الجائز أننى فهمت طريقة حديثها الرقيق معى بأنه نوع من الميل العاطفى.

إيزيس :

إنشغلت الزميلات عنى سواء بمحادثات ثنائية أو المشاهدة للمناظر الخارجية من شباك عربة القطار، البعض منهن تكتب بعض مذكرات عن الرحلة الجميلة لأقصى درجة والتى إستمرت سبعة أيام لكن الختام لم أكن أتوقعه، اللقاء الذى تم اليوم منذ عدة ساعات مع هذا الضابط أحدث الكثير من الإنفعالات والأحاسيس بداخلى لم أشعر بها من قبل سواء بين طلاب الكلية أو بعض شباب نادى الصيد.

سمعت تعليقات لبعض الزميلات بأن حاتم شاب تحلم به أى فتاة لم ترتبط بشاب أو لم تشعر بالحب نحو شاب مال قلبها نحوه، إنه سارق

للعواطف والقلوب منذ قليل أقبلت صديقتى (ضحى) ونظرت مليا بعيونى وتسائلت لماذا لم أغادرهم وأذهب للجلوس بصحبة حاتم مثلما فعلت قبل هذا.

لم أجيب على سؤالها لكن الإجابة التى لم أستطع التحكم فيها والسيطرة على ملامحها هى لمعة بعيونى تنبىء عما أقاسيه مما دفعها لتقبيلى ودعت لى بهدوء متمنية لى السعادة والتوفيق مع صاحب النصيب الذى سوف يميل قلبى نحوه والذى يستطيع أن يسيطر على مشاعرى وأحاسيسى المرهفة.

أستعيد ذكريات هذا الصباح وأصابتنى الدهشة كيف تجرأت وإندفعت نحو حاتم وطلبت منه أن يقوم بتصوير مجموعتنا، كان من الممكن أن نتبادل الحصول على الصور فيما بيننا مثلما حدث طوال الرحلة فلم نطلب من أحد أن يقوم بتصـــورينا ثم كيف تجرأت وقمت بتصويره كنوع من التقدير لما قام به.

هل أخطأت التصرف أو أن شىء ما دفعنى نحوه دفعاً دون تمهل، ولماذا لم تقوم زميلة لى بفعل نفس التصرف الذى قمت به، لا أريد أن أعاقب نفسى على ما فعلت ويكفينى ما أنا فيه من ألم نفسى ومقاومة شديدة للتوجه إليه ومجالسته حتى القاهرة خلالها أستطيع الحكم على ما أشعر به من جاذبية نحوه.

لماذا تلك الجاذبية، إنه لا يملك مواصفات مثيرة لأى فتاة سوى أنه يمتاز بالهدوء مع تناسق جسده الممشوق وإعتداده بنفسه وخفة ظل لا أستطيع تجاهلها، كنت فى دهشة وهو يحادث الفرسة الجميلة التى إستطاع محو وإزالة ما أصابها من ألم لسوء مراعاة السايس الخاص.

لقد تجمعت مواصفات ثلاث فى تلك اللحظة، أناقة وجاذبية حاتم ثم الفرس الجميل الأبيض والتى يميزها خط بنى اللون بين عينيها وجمال الطبيعة من حولنا ونبات قصب السكر كبير الحجم والذى يتمتع بلون أخضر واضح يسعد من يشاهده وبالطبع يسعد أى إنسان يتناول عصيره الميمون حتى نهاية تصنيعه كسكر يعطى طعام لذيذ للحياة.

لقد خطف حاتم مشاعرى حينما إعتلى صهوة الفرس وسار به بضع خطوات ثم أسرع به كالبرق بين المزارع مما دفع السايس للصراخ خشية على الفرس من الإصـابة، لقد عاد الفارس فوق الفرس الأبيض ووقف أمامنا وسلط عيونه اللامعة نحوى فإخترقت نظراته عيونى ووصل سحرها إلى قلبى وشعرت برجفة وبأن ضلوعى تتحرك وشاهدت نظرات حانية من زميلاتى وهن ينظرن نحوى.

ها هو حاتم يقفز من فوق الفرس برشاقة مثل ما كان يقوم بهذا بعض الممثلين الأمريكان فى أفلام الغرب الأمريكى، وقف أمامى ينظر إلى باسماً ومد يده نحوى وأمسك بيدى بكل نعومة ورشاقة وخطوت معه بضع خطوات حتى مكان وقوف الفرس، حرك كف يدى على رأس ورقبة الفرس التى صهلت وحركت ذيلها برقة كأنها تحرك أوتار الكمنجة.

ترك حاتم يدى وإبتعد قليلاً ولم أشعر سوى إننى وضعت خدى على جانب وجه الحصان أرتب على رقبته بل قبلت رقبة الفرسة وكأنها شعرت بأننا إناث مثل بعض ولم يسبق لنا الزواج ومازلنا أبكار ننتظر صاحب النصيب الذى يستحق ما نفحنا به الله من جمال، تنبهت على ما قمت به ووقفت بجوار الفرس خلال هذا الوقت قام حاتم بالحصول على بعض

الصور لى مع الفرس وتنبهت بأنه تسلم منى كاميرا التصوير أثناء تقديمى للفرس الشهباء.

تنبهت من أحلامى الجميلة بعد أن فقدت الإتصال بالحياة والعالم ولم أعد أشعر بأحد من حولى سوى بالفرس الجميل وحاتم الذى يقف مواجها لى باسم الثغر وتنبهت على تصفيق الفتيات لى وهللن بصوت مرتفع أعتقد أنه أزعج الفرس الجميل.

مضى الوقت الجميل ولن يعود الحلم الذى عشت فيه بعض دقائق، يجب علىّ نسيان ما حدث ولأركز فى الرحلة واترك أحلام اليقظة، شعرت بهدوء يسرى فى أوصالى وخلدت لنوم هادىء لم أشعر بالوقت الذى قضيته ولكنى تنبهت على صوت آتى من السماء ورائحة شعرت بها منذ سويعات، فتحت عيناىّ فشاهدت حاتم يقف أمامى يستأذن فى الجلوس.

لم أتنبه لما يقول وشعرت بأن الحلم عاد ثانية فغفوت لكنى سمعت ضحكته مرافقة لضحكة صديقتى التى نبهتنى بأن حاتم أقبل كى يودعنا فقد إقترب موعد الوصول وعبر بنا القطار كوبرى إمبابه الذى يفصل مابين النيل من الجنوب إلى الشمال وبعد بضع دقائق نصل إلى محطة مصر.

أفسحت له المكان فجلس أمامى ومازال باسما والسعادة تغلفه وشعرت بالحيرة والخجل ولهذا رغبت بالخروج من هذا الموقف المحرج فتشجعت قائلة له بأن صورتك التى معنا يمكنك أن ترسل بأحد معارفك لإستلامها من أسرة (الحكمة) بكلية الصيدلة ونحن جميعا سعداء بهذا اليوم وكنت ضمن تلك المجموعة التى شعرت بإنضمام أخ لها فى نهاية الرحلة.

الحب الرومانسى

مضت ثلاثة أيام وقررت الإتصال بإيزيس على تليفون المنزل التى أعطتـه لى، فى البداية كنت متردداً لكنى تخيرت وقت الإتصال أن يكون بالمساء بعد الإنتهاء من يوم الدراسة، جاء صوت سيدة لا أعلم من هى فأخبرتها بإسمى ولم تتعرف علىّ فلحقت به بأننى اعمل بإستوديو التصوير وكنت فى حاجه للحديث مع الدكتورة إيزيس وجاء الرد .. دقيقة وتكون إيزيس على التليفون.

سمعت صوتها من التليفون وتعرفت عليه وكانت فى حالة من التردد وبسرعة وبصوت خافت أعطتنى موعدا بالغد للقائها بحديقة الأسمالك بالزمالك وإنتهى الحديث السريع الهادف.

إيزيـــس :

تسائلت أمى بسعادة بأنها فى إنتظار مشاهدة الصور التى تحدث عنها صاحب الإستوديو كما أنها إندهشت كيف نسيت موعد إستلام الصور بعد الإنتهاء من طبعها، إبتسمت لها وبالغد سوف أشاهد الصور على الطبيعة وإذا وجدتها سليمة وحازت إعجابى فسوف أتسلمها وأحضرها معى.

بحجرتى كنت فى حالة من التوتر والفرح فى آن واحد، مازال حاتم راغباً بى، كنت أعتقد أنها علاقة عابرة من التى تحدث دائماً بين الناس خلال رحلات السفر مسافات طويلة والذين يقتربون من بعضهم البعض.

إن تصرف حاتم يدل على مدى تعلقه بى وبرغبته بإستمرار العلاقة وماهى إلا ساعات ويظهر كل شىء، لم أخبر أحد من صديقاتى رغم أنهن بالأمس تسائلن عما أصاب الضابط الحليوة على حد قولهن مما دفعنى

تحركت السيارة ومازلت غير مصدقة ومعتقدة بأنها أحلام اليقظة التى تصيب البنات فى بداية سن المراهقة، أود أن أصرخ به وأطلب منه الفكاك والإبتعاد وأن يتركنى حره طليقة لكنى لا أستطيع ولا أعرف سببا لهذا.

كنت أشعر بأن سيارة التاكسى لا تسير بالسرعة المطلوبة وكأنها عربة حنطور تتهادى بشوارع القاهرة وأن الناس من حولنا ينظرون إلينا مهللين سعداء والبعض يبارك خطواتنا وبعض الفتيات راغبات بالإسراع نحوى وتقبيلى حتى سمعت السائق يقول :

ـ هنا يا فندم .. تلجلجت فى بادىء الأمر ونظرت من حولى أبحث عن العمارة التى نقطن بها مما دفع حاتم لأن يوجه نظرى نحو العمائر بالجانب الآخر موضحاً أن هذا الجانب به النادى ولا عمائر هنا.

تنبهت وتحدثت وفكت عقدة لسانى مقدمة شكرى لحاتم الذى طلب من السائق الإنتظار فأسرع السائق بإحضار حقيبة السفر وتسلمها حاتم وناولها لى متمنيا لى كل سعادة وتوفيق وأشار لى بإشارة الوداع وعاد لسيارة التاكسى التى أسرع بها السائق بينما تجمدت أقدامى لفترة تنبهت بعدها وسرت عدة أمتار حتى بداية العمارة فأسرع البواب نحوى وأمسك حقيبة السفر فتنبهت وتسائلت بدهشة :

ـ أنت مين؟

ـ أنا مغاورى ياست إيزيس.

ـ أنت بتعمل هنا إيه؟

ـ أنا البواب ودى العمارة وأنتى ماشيه رايحة ناحية الناصية، عايزه حاجه من الكشك إللى هناك.

تنبهت بأننى مازلت فى حالة من اللا وعىً فلم أتعرف على البواب ونسيت العمارة وسرت بعدها بعدة أمتار، أعتقد أن البواب شعر باننى محمومه مما عليه منظرى وقد كسى اللون الأحمر وجهى فطلب من زوجته أن ترافقنى للشقة، بينما أسرع حاملاً الحقيبة مستخدماً السلم وترك المصعد لى، رافقتنى زوجته بعد أن عطرتنى ببعض كلماتها الطيبة، أقف أمام باب الشقة ينير الباب لوحه نحاسية تحمل إسم أبى (الدكتور حمدى فرج) .

إستقبلتنى عائلتى بالسعادة والبهجة وشعرت بأن الجميع لاحظ شرودى وأننى على غير العادة ولهذا أسرعت أمى بحمل ملابسى النظيفة وتوجهت للحمام وطلبت منى الحصول على حمام منعش من أثر الرحلة والسفر، تلك الجملة أسعدتنى فقد أعطتنى الفرصة للإنفراد بنفسى كى أستعيد نفسى.

لا أعلم كم مضيت من الوقت بداخل البانيو والمياه الدافئة تغطى أماكن كثيرة من جسدى، سمعت طرقا على الباب يرافقه صوت أمى تستعجل خروجى لتناول طعام العشاء معهم.

الحمد لله، قلتها فى غرفتى بعد الحمام المنعش وإرتداء ملابس البيت المريحة وشاهدت نفسى فى المرآة وشعرت بأن وجهى وجسدى به فورة الشباب والصحة، ها أنا أتوجه لغرفة المعيشة وأشاهد مائدة الطعام تزخر بأنواع كثيرة، جلست بجوار شقيقتى الكبرى (إيناس) وفى المقابل جلست أمى بجوار أبى.

دار حديث شيق وفيه أثنت والدتى على حالتى الصحية والنفسية ومن خلال الطعام الشهى الساخن الذى بعث بالدفء والإنتعاش لكل من تناوله

دارت أحاديث شتى وكان التركيز بالطبع على رحلة أسوان وأخبرتهم بأنها عدة أيام وأحضر لهم الصور الكثيرة التى حصلت عليها مع زميلاتى.

بغرفتى جلست مع شقيقتى الكبرى وتبادلنا الأحاديث الخاصة وكان أهم خبر قالته لى بأن خطيبها أشرف إتفق معها ومع والديها على الزفاف بعد عام من الآن أى بداية عام ١٩٦٧ وهذا الموعد يناسبك ياشقيقتى العزيزة وقد إقترب موعد تخرجك بعدها بعدة أشهر ووقتها سوف أصبح موظفة هامة بهيئة الإستعلامات كما تمكن أشرف من إستئجار شقة مناسبة لنا بعمارة بالشارع الخلفى لعمارتنا تلك.

إنتهت الأمسية وذهبت إلى سريرى وحاولت النوم لكن أحداث هذا اليوم لم تغادر ذهنى، جلست محاولة الهرب من تلك الأحداث لكن خيال حاتم مازل يتراقص أمام عينى ولم أستطع أن أحدد موقفى منه، خلال هذا شعرت بأن رأسى تترنح من المجهود وفى حاجه للنوم فخلدت ولم أستيقظ إلا على نداء أمى تطالبنى باليقظة والإستعداد لتناول طعام الصباح.

حـــاتم :

بعد أن وصلت إلى شقتى بحى عابدين والتى إستأجرتها منذ عامين تخلصت من ملابسى وحصلت على حمام منعش بعدها أعددت طعام بسيط كما هى العادة تناولته على مهل كنت خلالها أستعيد أحداث هذا اليوم وما حدث مع إيزيس، تلك الفتاة الجميلة وتصرفى معها وإندفاعى نحوها لكن زميلتها ضحى هى من قامت على تشجيعى ودفعى نحو إيزيس وبأنها تشعر بنبضات قلب صديقتها نحوى وهذا كان أكبر دافع لى للتقدم نحوها مع حالة السكون والرضا التى شملت إيزيس.

الحب الرومانسى

مضت ثلاثة أيام وقررت الإتصال بإيزيس على تليفون المنزل التى أعطتـه لى، فى البداية كنت متردداً لكنى تخيرت وقت الإتصال أن يكون بالمساء بعد الإنتهاء من يوم الدراسة، جاء صوت سيدة لا أعلم من هى فأخبرتها بإسمى ولم تتعرف علىّ فلحقت به بأننى اعمل بإستوديو التصوير وكنت فى حاجه للحديث مع الدكتورة إيزيس وجاء الرد .. دقيقة وتكون إيزيس على التليفون.

سمعت صوتها من التليفون وتعرفت عليه وكانت فى حالة من التردد وبسرعة وبصوت خافت أعطتنى موعدا بالغد للقائها بحديقة الأسمالك بالزمالك وإنتهى الحديث السريع الهادف.

إيزيـــس :

تسائلت أمى بسعادة بأنها فى إنتظار مشاهدة الصور التى تحدث عنها صاحب الإستوديو كما أنها إندهشت كيف نسيت موعد إستلام الصور بعد الإنتهاء من طبعها، إبتسمت لها وبالغد سوف أشاهد الصور على الطبيعة وإذا وجدتها سليمة وحازت إعجابى فسوف أتسلمها وأحضرها معى.

بحجرتى كنت فى حالة من التوتر والفرح فى آن واحد، مازال حاتم راغباً بى، كنت أعتقد أنها علاقة عابرة من التى تحدث دائماً بين الناس خلال رحلات السفر مسافات طويلة والذين يقتربون من بعضهم البعض.

إن تصرف حاتم يدل على مدى تعلقه بى وبرغبته بإستمرار العلاقة وماهى إلا ساعات ويظهر كل شىء، لم أخبر أحد من صديقاتى رغم أنهن بالأمس تسائلن عما أصاب الضابط الحليوة على حد قولهن مما دفعنى

للضحك وأشرت بالهواء واردد (خَد أملى وطار) وضحكنا جميعاً وتأكد لهن بإنه نوع من المشاعر والأحاسيس العابرة التى تضرب بأوتارها قلوب الشباب فى مثل تلك الأعمار.

مجرد دخولى حديقة الأسماك شاهدت حاتم على أحد الأجناب يرتدى ملابس شتوية نظراً لحالة الطقس البارد فنحن مازلنا فى شهر يناير، أقبل نحوى مصافحاً وسرنا متجاورين ووصلنا لإحدى الدكك الخشبية الموجودة بممر الحديقة وتجاذبنا أطراف الحديث الهادىء، كنت وقتها قد قررت وضع شخصية حاتم وتصرفاته تحت الإختبار لتكوين صورة واضحة عنه.

أمضيت مع حاتم قرابة ساعة زمن سمعت خلالها أكثر مما تحدثت وتم هذا الحديث خلال سيرنا بحديقة الأسماك خارج أحواض السمك أسفل الأشجار الجميلة وعلى الجانب الآخر فرع نهر النيل الجميل.

علمت الكثير من معلومات عن حاتم خلالها عرض علىّ حبه ورغبته بأن تتحول تلك الصداقة إلى علاقة رسمية تبدأ بالفاتحة مروراً بالخطبة نهاية بالزواج وتكوين عش الزوجية المقدس، كانت الكلمات هادئة معبرة ومختصرة ولم يسرف فى كلماته عن مشاعره والرغبة بتكوين علاقة معى.

شعرت بحالة من الإنبهار لكونى أسير بجواره ومن حين لآخر أمعن النظر إليه ولم يرتجف له جفن بل كان ثابت الجنان يستكمل جمل كلاماته القصيرة الواضحة.

شعرت برجفة بجسدى وخيل إلىّ أن سيقانى تهتز وقد أسقط أرضاً من روعة الأحاسيس التى شملتنى، نحن بنات حواء يُسعد أى منا أن تعثر على الحبيب المحب المخلص الذى يتجه مباشرة إلى نهاية خط العلاقة

الإجتماعية بتكوين أسرة بعد أن يشعر بأن من يحادثها ترغبه وتبادله المشاعر والأحاسيس الخفية غير الواضحة لكن قلب المحب يشعر بخلجات الطرف الآخر.

إفترقنا على وعد بلقاء يوم الجمعة القادم عصراً نظراً لإنشغاله فى العمل نهار الأسبوع وأنا مشغولة أيضا بالدراسة والمحاضرات والمعمل، تصافحنا برقة متناهية ولم يضغط على أصابع يدى رغم أن يده ظلت بيدى .

تكرر فى اللقاء الثانى السير بين جنبات الحديقة الصغيرة الجميلة والتى لا يرتادها إلا نوعية معينة من العائلات والشباب لتميزها ولصغر مساحتها فلا تفى بالغرض من اللهو ولعب الكرة كحديقة الحيوان ومنطقة الأهرامات.

نظر إلىّ كأنه يستفسر منى عما عرضه علىّ منذ عدة أيام، صمت لبعض الوقت وأجبته بأننى ما زلت أفكر فى تلك العلاقة ويجب علىّ أن أحصل على الوقت الكافى ليكون القرار نابعاً من العقل بعيداً عن نبضات القلب التى لا أخفيك سراً بأنه مازال ينبض بالمشاعر الطيبة نحوك.

صمت قليلاً وظهرت إبتسامة رقيقة على شفتيه ولم يعلق وسرنا بعض الوقت وعرض علىّ العودة لمنزلى نظراً لإقتراب الغروب وتغير الطقس إلى البرودة الواضحة، كنت مازلت راغبة فى إستمرار التريض معاً لكننى تحرجت بأن أعرض عليه هذا وبالفعل إفترقنا على لقاء قادم يقوم بتحديده.

إحدى الأمسيات وبعد عودتى من محل التصوير الذى كلفته بطبع الفيلم الذى تم تصويره لرحلة أسوان منذ أسبوعين جلست مع شقيقتى إيناس نشاهد الصور حتى إذا شاهدت صورة حاتم نظرت نحوى متسائلة من يكون هذا الضابط وما الذى دفعه للتصوير بين فوج من بنات كلية الصيدلة.

ضحكت لهذا وأمسكت بيديها بين يدى وأخبرتها بكل شىء وبأشياء لا أستطيع البوح بها سواء لحاتم أو أىّ من صديقاتى، إرتسمت الدهشة على وجه إيناس ثم تبدلت للسعادة ونهضت تقبلنى متمنية لى السعادة والتوفيق.

طلبت منها ألا تخبر أحداً حتى أستكمل كل الإتفاق مع حاتم فلا أعلم ظروف عمله التى تسير سيراً طبيعياً مثل باقى أنشطة الدولة فمن الممكن أن يستمر فى العمل عدة أيام ليلاً ونهاراً ومن أجل هذا حين اللقاء سوف أخبره بموافقتى المبدأية حتى نحدد موعداً للقاء والدى ونسير فى الطرق المعتادة كما تسير جميع العائلات حين الإرتباط مثل خطواتك أنتِ وأشرف.

مضت الأيام بطيئة إنتظاراً لإتصال حاتم ولم يتم هذا وبدأ القلق ينتابنى وأصبح رنين جرس التليفون ينبهنى وأنتظر أن يخربنى أحد بأن هناك شخص يطلبنى على التليفون، إزدادت تلك الحالة توتراً وحين عودتى أسأل أمى هل إتصل أحد بى ولم أعثر على الإجابة التى كنت أنتظرها.

هكذا مرت الأيام ومضى أكثر من عشرة أيام دون إتصال وقتها شعرت بأن زهرة الحب بدأ رحيقها فى الذبول وأن رياح اليأس والضيق سوف تقبل وترافق هذا مع بعض أسئلة من صديقاتى وخصوصاً ضحى التى تعلم أولاً بأول بما تم بيننا ولم ترضى عن حديثى مع حاتم فى اللقاء الأخير.

قررت أن أتصل بحاتم فى تليفون العمل مساء الغد رغم أنه طلب منى عدم الإتصال إلا فى الحالات الصعبة، حضرت المحاضرة الأولى وشاهدت ضحى قادمة نحوى وعلى وجهها إبتسامة كبيرة وتخضب وجهها الأبيض بلون أحمر رقيق ومالت على أذنى تخبرنى بما لم أتوقع سماعه.

- إيزيـــس .. حاتم منتظرك بالقرب من الكافتريا وسلمت عليه وسألنى عنك.

- بتقولى مين؟ .. حاتم .. معقول طيب أروح له ومش عارفه أعمل إيه والمحاضره الجايه مهمة.

- روحى قابليه وعرفيه وهو ح يقدر ظروفك وإتفقى معاه على معاد بعد المحاضرة وممكن تتقابلوا فى أى كافتريا على النيل.

- كلامك مظبوط .. عن إذنك ح اروح لحاتم.

هكذا تركت صديقتى وتوجهت للقاء حاتم الذى كان ينتظر فى مكان هادىء وشعرت بأنه مشتاق للقائى مثلما كنت تواقة للقائه، تصافحنا وسرنا قليلاً وتسائلت لماذا تأخر فى لقائى؟ أجاب بكلمات قليلة بأن ظروف العمل حالت بين لقاء قريب، عرضت عليه الإختيار بين ترك محاضرة هامة ونجلس معاً أو يمنحنى فرصة حضورها وهى لمدة ساعة زمن أنتهى منها وألحق به فى المكان المختار.

وافق على الإقتراح الأخير بأن أحضر المحاضرة ثم نلتقى وخشيت غضبه فأعدت إقتراحى وكانت إجابته بسيطة بأنه لم يحصل منى على موعد ولهذا فهو سوف ينتظر وسوف يجلس على أحد الكافيهات القريبة من الكلية وسيعود بعد ساعة وعشر دقائق خلالها أكون قد إنتهيت من حضور تلك المحاضرة الهامة.

حضرت المحاضرة ولم أستطع التركيز خلالها وكان طيف حاتم يظهر لى من حين لآخر وندمت أننى أجلت اللقاء حتى الإنتهاء من المحاضرة إنتهت المحاضرة وأسرعت إلى باب الكلية فشاهدت حاتم قادما يعبر الطريق نحوى فرقص قلبى بسعادة غامرة، وقف أمامى ينظر إلىَّ نظرات جميلة هادئة وبداخل عينيه شاهدت الحب والإخلاص وبطنين كلماته

القصيرة سمعت أعذب الألحان التى لا تتكرر ولا يستطيع أى عازف محترف أن يعزفها على وتر الحب والشباب.

إلتقت اليدان وتشابكت وبجوارها القلوب ترافقت وتناغمت بضربات نبض هادئة كأنها حفيف أشجار بداية موسم الربيع، لم نتحدث وأشار إلى تاكسى وسمعته :

ـ نادى الظباط بالزمالك.

لم أتحدث أو أعترض أو أوافق، كانت نظراتى له كاشفة وكأننى أراه لأول مرة ولم أكن أعرفه قبل هذا، لقد أصبحنا بمفردنا للمرة الثانية، فى المرة الأولى بحديقة الأسماك أحاطت بنا بعض العائلات والشباب الراغب بالإستمتاع بهذا المكان الساحر، توقف التاكسى وأسرع حاتم وفتح باب السيارة ومد يده لمساعدتى على الخروج، أقف بجواره يحاسب السائق وتبين لى أن حاتم أجزل العطاء للسائق.

على باب النادى الخارجى أخرج حاتم كارنيه خاص بالنادى فشاهده جندى الحراسة فقدم له التحية العسكرية سرعان ما قام حاتم بالرد بمثلها وتوغلنا بداخل حديقة النادى وهنا تحدث سائلاً :

ـ إيه رأيك نقعد هنا فى شمس الشتا الجميل؟

ـ فعلا المكان هادى ونضيف والخضرة فى كل مكان.

ـ طيب تحبى تشربى إيه؟

ـ شوكليت (كاكاو بالحليب)

بعد قليل حضر الجرسون ونظر إلينا باسماً ينتظر ما نطلبه فأسرع حاتم وأخبره بما طلبت بينما طلب فنجان قهوة زيادة.

إستمر الهمس واللمز بحديث ليس له معنى وإبتسامة على الشفاة إستمرت وتصلبت وثغر ظاهر ومن خلفه أسنان بيضاء لامعة وعيون براقة خاطفة وقطع الحديث حديثه:

ـ أعيد عرضى للمرة الثانية، موافقه على أن أتقدم لباباك أطلب إيدك؟

ـ موافقة.

ـ الحمد لله، نشكر ربنا على نعمته.

ـ ياه يا حاتم ، أنا نعمة.

ـ أكيد نعمة جميلة أنعم الله بيها علىّ ولازم الشكر عشان تزيد وربنا يبارك فيها.

ـ ياه .. طيب أنا أقول إيه عليك؟

ـ قولى يارب أن حاتم الطحاوى يحافظ على النعمة إللى نعمت بيها عليه ويرعاها ويحافظ عليها زى ما بابا وماما راعونى وحافظوا علىّ.

لم أستطع قول حديثه، فقد غلبتنى دموع السعادة والفرح، لقد رفعنى حاتم لعنان السماء كما رفع والدىّ أيضاً، كيف التصرف وقد عجز لسانى عن إعادة كلماته وكل ما إستطعت القيام به أن أمسكت كفىّ يده بيداى بشدة وقوة شعرت وقتها أننى سوف أعصر يداه وظهرت الإبتسامة الوضائة على وجهه الخمرى الطيب ... تحدث : لو مش مكسوف كنت بوست إيدك لكن هنا فى النادى تبقى محرجه، ح أجلها لقراية الفاتحة وأخرى يوم الخطبة كل خطوة لك قبلة على يدك الطاهرة الشريفة.

نظرت إليه بسعادة وبخوف وطلبت منه ألا يتمادى فى تلك المشاعر الفياضة لأنه يحدث إنسان يخطىء ويصيب ولا يحدث ملاكا معصوم من

الخطأ، أرجوك الصمت وجاء الصمت عنوة فقد حضر الجرسون حاملاً على يديه ما طلبناه، بعد أن تركنا إستدارت دفة الحديث بما يدور حولنا وترك حديثنا الشخص، جلسنا لوقت غير معلوم لكننا تنبهنا إلا أن رواد النادى بدؤا فى الإنصراف إما إلى منازلهم أو إلى المطعم لتناول الطعام .

عرض علىّ حاتم تناول الغداء معاً وإعتذرت له بأننى واعدت شقيقتى الكبرى بأن أنتظرها كى نتناول الطعام معا ومع والدىّ والأيام قادمة فلنتحرك الآن ولأعود لأسرتى فقد تأخرت على موعد الطعام، نهضنا ودفع حاتم للجرسون نفقات ما تناولناه وأجزل له العطاء وتبين لى أن تلك خصال حاتم فقد تصرف هذا التصرف مع جرسون القطار ونحن عائدين من أسوان وأيضا سائق التكسى واليوم عرض علىّ مرافقتى حتى المنزل سيرا بشوارع الزمالك الراقية لأن العمارة التى نقطن بها قريبة من النادى.

سرنا دون حديث ولم نسمع أصوات كلاكس السيارات وأعتقد بأننى لم أشاهد المارة لأننى كنت ألاحظ أن حاتم كان يوجهنى أثناء السير، لا أعلم ماذا حدث وكيف سرت وعبرت الكوبرى حتى وصلت إلى شارع جامعة الدول العربية، توقف حاتم وأشار إلى الجانب الآخر من الطريق بأن تلك العمارة الجميلة هى مكانك وفيه تتنفسين وبه مخدعك الذى ينعم بقدومك.

هرولت من أمام حاتم دون وداع أو مصافحة، لقد خدرت كلماته الرقيقة مشاعرى وأحاسيسى وكان لابد لى من الهرب، لا أستطيع تحمل كلماته الرقيقة الجميلة التى يصوغها بصوت هادىء رخيم مازال يطرب أذنانى ولم أستمع لحديث البواب لكن لحسن الحظ أننى شاهدته يسرع ويفتح باب المصعد وتحدث بعدها ومازل رنين صوت حاتم برأسى.

دخلت إلى المنزل فرحب بى البعض ولم أجب وأسرعت إلى حجرتى وألقيت بما أحمله من مذكرات وحقيبة يدى على السرير، جلست وإستطعت نزع الحذاء من قدمى، أنظر حولى خشية أن يكون حاتم متواجد فما زالت أنفاسه بعبقها بأنفى وكلماته بسجعها فى أذنى ورقة لمسات يده بيدى.

تنبهت على صوت شقيقتى تطلب منى إستبدال ملابسى فالطعام مُعد ووالدايّ يجلسان فى إنتظارى، تنبهت لكلمات حاتم حينما رفع من قيمة والدايّ أمامى وقررت عدم التأخير عليهما وأسرعت بإغتسال سريع وإستبدلت ملابسى وخرجت إلى الصالة متجهة إلى المائدة فرحبت بى أمى بصوتها الساحر تثنى على جمالى ورقتى وغلفتها بالكلمة المعهود لكل أم:

- ربنا يوعدك بإبن الحلال إلى يستهالك.

القبلة الأولـــى

إستمرت لقائتنا على هذا الحال وأصبح لقائى بحاتم يحفه الخيال والسحر والـ ... ن لم أحد سبباً لشهادة سلبيتى وكل واحدة منهن أكدت أن العصفور الأبيض دخل شباك حب الفارس صاحب الزىّ المنمق، لم أتحدث وكيف أتحدث وحالى يغنى عن حديثى، فكما تقول المطربة نازك (كل دقة فى قلبى بتسلم عليك يا وحشنى من زمان من نور عينيك).

أبلغت شقيقتى بما دار من أحاديث مع حاتم وكانت فى دهشة لأننى لم أستطع أن أعبر عن أحاديثه ولهذا إقترحت عليها أن تأتى لمشاهدته فى اللقاء القادم، وافقت لأنها إعتقدت بأننى مازلت صغيرة ولا أعلم أى شىء عن لف ودوران الشباب.

إلتقيت بحاتم وبرفقتى إيناس ورحب بها ترحيباً مميزاً عقد لسانها ولاحظت عليها نفس المشاعر التى كانت تنتابنى، شعرت أن إيناس لا تستطيع تكوين جملة بسيطة ترد بها على عبارات الثناء التى تخرج من فم حاتم مع أنفاسه الطيبة، إنتهى اللقاء وعدنا إلى المنزل ولسان حال إيناس يمنحنى العذر وبأن الواد حاتم حكاية يا إيزيس وربنا يوفقك، أقبلت الإمتحانات سريعاً وكنت أخشى الحصول على تقدير مقبول بخلاف الأعوام السابقة الذى كان يتراوح ما بين جيد وجيد جداً فلقد شغل حاتم فراغاً كبيراً من تفكيرى وذاكرتى ولهذا كنت أخشى العاقبة.

كانت النتيجة مذهلة، فقد حققت نتيجة لم تخطر على بالى وبال صديقاتى إمتياز، أصاب الجميع الدهشة وإحداهن قالت لى: "سلفينى حاتم سنة البكالوريوس عشان أجيب تقدير زيك" لقد كان لتأثير حاتم على شخصى

ومعنوياتى كبيراً، بل إن الكثيرات من صديقاتى أطربن فى الحديث عنه وأنه تفوق على شباب جيله فى المشاعر والرومانسية الغائبة عن الكثير من ضباط الجيش الذى يميزهم الجد والإلتزام.

خلال تلك الفترة وقبل موعد الإمتحانات كنا أعددنا جدول لقاءات قصيرة ومؤكدة وما كان يهدىء من رغبتى للقاءة تلك الصور البديعة التى قمت بتصويرها له رغم قلتها لكنه حصل على جميع الصور الخاصة بى وخصوصا صورتى مع الفرسة الشهباء، مثل ما حصل على جميع كؤس التفوق من خلال مسابقات الفروسية على مستوى الجمهورية

تعدد من زيارة حاتم لأسرتى وبالتالى فقد حصلنا على الخطوة التالية بحضور أهل حاتم لعائلتى وقراءة الفاتحة.

كنت تصورت صورة أسرة حاتم لعائلتى بناء على حكمى عليه من لقاءاتى السابقة لكن حضور والديه وشقيقته الصغرى بملابس أبناء الريف ذات المستوى الفاخر شحملين بهدايا من خير الأرض والتى أسعدتنى أكثر وأكثر وتبين لى أنه من أسرة طيبة ذات رفعة وسمو.

إنتهت الزيارة وفى غمرة الوداع حصل حاتم على أول قبلة ليدى كما سبق ووعد وكانت تلك القبلة أشد تخديراً من المخدر العام المعروف علميا بإســـم (البروبوفول) الذى يحقن به المريض قبل إجراء أى جراحة دخلت حجرتى وكدت أبكى وأقبلت شقيقتى وشاهدتنى، نظرت إلىّ فى دهشة لأن اللقاء مع عائلة حاتم أنار لنا الطريق ومن خلاله علمنا لماذا يتمتع هذا الشاب بتلك الصفات النبيلة.

أنها أسرة ثرية تضرب بأصولها فى أعماق التاريخ الإسلامى لأن أجداده المرافقين للصحابى عمرو بن العاص هم من الأنصار الذين نصروا الرسول [illegible] يتوطن جدهم الأكبر بعد فتح مصر فى [illegible] البقعة النائية التى إزدهر فيها الخير وظلت الفروسية وسيلتهم النبيلة ورافقت أخلاقهم صفات الحصان العربى صاحب الأصالة.

أشرت لها بأن كل تلك الصفات هى سبب بكائى وحزنى خشية الزمن فلا يملك مثل تلك الصفات والأخلاق إنسان إلا ويكون ضيفاً على الدنيا ولن يظل هكذا وستخطفه يد المنون، ظهر الإنزعاج على وجه شقيقتى وأسرعت بطلب العون من أمى التى هدأت من إنفعلاتى الكثيرة وتخوفى من المستقبل الغامض الذى أتحدث عنه وأن كل شىء بقدر والله صاحب الأقدار وتمسكى بالحكمة التى تقول بشر ولا تنفر.

هدأت أعصابى وقل توترى وملأت حجرتى الأنغام الجميلة والموسيقى الشجية وأصوات مطربات مصر بصوتهن الرخيم الرائع وسمعت صوت شادية يتغنى بدبلة الخطوبة، الحمد لله تبدل الحال وأقبل الليل وناجاتى حبيبى وأتاك الربيع الطلق يختال ضاحكاً من الحُسن حتى كاد أن يتكلما.

حـــاتم :

حصلت على الكثير من الثناء والتقدير من عائلتى على حُسن إختيارى وعلى أسرة إيزيس رغم أننى سبق وأن أظهرت لهم صورها أثناء الرحلة مع بعض زميلاتها والتى إستطعت إقناع إيزيس بالحصول عليها والإحتفاظ بها، حينما كنت أنفرد بنفسى كنت أشم رائحة كف يدى التى صافحت يد إيزيس وأتلمس شفتى مهنئاً حصولها على أول قبلة ليد الحبيبة.

إيزيـــس :

أسرعت الأيام بوتيرتها، فى بداية العام الجديد، تم زفاف شقيقتى على عريسها المهندس أشرف الذى جمعت بينه وبين حاتم صداقة قوية وتلك الصداقة سببت لأبى السعادة حينما كان ينظر إليهما وهما يتحدثان معاً ويضحكان بسعادة فيردد أبى : بأنه أنجب البنات كى تجلب له البنين.

إتفقت مع حاتم بأن نلبس الدبل فى إجازة نصف العام الدراسى بينما نؤجل الزفاف إلى نهاية شهر يونيو وقتها اكون قد إنتهيت من امتحان البكالريوس، لم يعارض حاتم حينما أخبرته بأن شقيقتى فى بداية فترة الحمل ولا نستطيع التأخير لأن هذا سيعرقل حضورها بعد وضع طفلها الأول.

سارت الخطة كما رسمنا خطاها، فى إجازة نصف العام تمت الخطبة بحضور العديد من الأهل والصديقات وإختلس حاتم الفرصة وحصل على القبلة الثانية من كف يدى وبحضور صديقاتى اللائى هللن والبعض منهن أطلقن زغاريد الفرحة كما حضرت أسرته كبيرة العدد وتبين لنا مدى ما تتمتع به تلك الأسرة من يُسر الحال والذوق الرفيع والتعامل الراقى مثل العائلات الإرستقراطية وكان هذا هو حكم بعض أصدقاء والدتى ووالدى.

إستأذن حاتم والدى بأن نقوم على زيارتهم فى بلدتهم ووافقت الأسرة ووفر لنا حاتم سيارة بسائق أقلتنا صباح اليوم المحدد فوصلنا إلى قريتهم بعد حوالى ساعتىّ زمن تمتعنا خلالها بمشاهدة الزراعات الخضراء على جانبى الطريق ومشاهدة أفرع نهر النيل بمياهه الفضية العذبة.

مجرد وصولنا إلى البلدة كانت الأسرة فى إنتظارنا يتقدمها والد حاتم ووالدته وبعض الأعمام والأخوال وأيضا أشقاءه ثم حاتم، بعد الترحيب بنا

إصطحبتنا العائلة لمبنى فسيح هناك شاهدنا مائدة طعام الإفطار التى كنا نسمع عنها والمكونة من الفطير المشلتت والبيض البلدى والجبن الفلاحى والقشدة وعسل النحل مع اللبن الزبادى ويطلقون عليه اللبن الرايب.

لم نستطع التحكم فى نفوسنا المتلهفة على الطعام الطازج التى غزت رائحته انوفنا وفتحت الشهية أفواهنا وظللنا نلتهم الطعام حتى إمتلأت البطون وجلسنا نستند بظهورنا على وسائد ناعمة لا نستطيع الحركة.

جلسنا نتسامر فى قاعة صيفية تطل على حدائق الموالح التى كانت مزينة بالثمار الجميلة ذات اللون البرتقالى وأحضر بعض العاملين لديهم الكثير من تلك الفاكهة الجميلة فلم تجد مكانا لإستقبالها بالبطون الممتلئة.

تجولنا بوسط الزراعات حتى وصلنا إلى إسطبل الخيول المفرحة الرائعة، حين تنظر إلى تلك الحيوانات الجميلة التى ذُكرت فى القرآن الكريم والتى حملت صحابة رسول الله فى نشر الدعوة الإسلامية والغزوات التى إنتصروا فيها على المشركين.

لا أستطيع التعبير عما شاهدته من جمال الخيول والأمهار الصغيرة، كل مُهر يقف بجانب أمه ومن حين لآخر يقترب منها يمتص منها الحليب الميمون الذى أرسله له الله كى يشب ويقوى ويسلك خطى الأب والأم.

توالت اللقاءات مع بعض الأقارب ومن بينهم فتيات قريبات لحاتم يتمتعن بالجمال الفريد والرقة المنشودة، تناولنا طعام الغداء المميز من لحوم الطيور من بط وأرانب ولحم الماعز الذى تم نضجه على النار بطريقة الشواء فوصلت إلينا رائحته فأنعشت النفوس للطعام رغم ما حصلنا عليه منذ ساعات قليلة.

إنتهى اليوم بوداع أسعدنا جميعاً وحُملت الأسرة بالكثير من الهدايا الممتعة من خير الأرض والتى ملأت حقيبة السيارة التى عادت بنا إلى القاهرة بين سعادة وإستحسان والدايّ من لقاء تلك العائلة الكريمة المضيافة.

مضت الأيام وإنتصف العام بحرارة الطقس المرتفع وإنتهيت بحمد الله من الإمتحانات العملى والنظرى وخلالها تأكد لى بأننى سوف أحصل على تقدير مرتفع يسعد حاتم كما سوف يسعد والدايّ وبالطبع أنا صاحبة التقدير ومن جاهدت فى التحصيل حتى أصُبح من أوائل الدفعة فى التخرج.

إتصل بى حاتم وأخبرنى بإنشغاله لفترة وكانت الأخبار تتناثر من وسائل الإعلام بنشوب حالة من التوتر بين مصر وإسرائيل، هذا المرض الذى أطل برأسه على الوطن العربى، أصبحت الدولة فى حالة من التوتر وعلمنا بأن جنود الإحتياط تم إستدعائهم للتوجه مع وحداتهم إلى شبه جزيرة سيناء وبدأت نشرات الأخبار بالتليفزيون المصرى تنقل لنا صور جحافل القوات المتجه لسيناء بين تهليل المصريين وفرحته للخلاص من إسرائيل.

عشت فى توتر ولم يعَد لدىّ أى معلومات عن خطيبى الذى إندفع مع جموع الشباب إلى سيناء، لا أخبار عنه حتى فوجئنا جميعاً صبيحة أحد الأيام بأن طائرات العدو أغارات بهجوم جوى مفاجىء على المطارات الحربية المصرية ودمرت جميع الطائرات وهى رابضة فى القواعد الجوية، أصبحت قواتنا البرية بسيناء دون حماية جوية وأصبحت سماء أرض المعركة ملكاً للأعداء وإشتعلت المعارك بين الجيشين بسيناء.

توتر الشعب لكن الأخبار القادمة من جبة القتال بسيناء تخبر الشعب بأن الجيش المصرى يواصل تدمير جيش العدو واليوم التالى أخبار عن حدوث

بعض الهزائم لقطاعات من الجيش المصرى واليوم الثالث صدور أوامر للجيش المصرى بالإنسحاب من سيناء والعودة لخطوط دفاعية غرب القناة.

نزل الخبر على جموع الشعب كارثيا ولم يتوقف عند هذا الحد بل وصل الأمر بأن رئيس مصر جمال عبدالناصر أعلن تنحيه عن الحكم وأعطى هذا القرار لجموع الشعب المصرى بفداحة الكارثة التى أصابت الوطن.

اليوم التالى زحفت جموع الشعب إلى منزل الرئيس بمنطقة منشية البكرى تطالبه بالعدول عن الإستقالة وخرجت حناجر المصريين الشرفاء بترديد الأناشيد الوطنية ومنها (ح نحارب كل الناس ح نحارب ... إلخ).

إستجاب الرئيس لهذا وبدأت حركة تغييرات كبيرة واسعة فى القيادات العسكرية شملت المشير عبدالحكيم عامر الذى تربع فى منصبه كقائد عام للجيش المصرى أعواما طويلة والصديق الحميم للرئيس عبدالناصر.

بدأت تتسرب الإشاعات عن مؤمرات تُحاك ضد المصريين ووجود بعض الخونه بداخل الجيش وأن بعض القادة والضباط أهمل فى القيام بواجبه، كما سمعنا عن مشاكل حدثت بين المشير عامر المُقال ومعه بعض أعوانه مع قيادة الدولة وحدث لغط وتاهت الحقيقة بين الناس لمعرفة أى أخبار عن أبنائهم وأزواجهم.

بدأت تظهر آثار الهزيمة بعودة جنود وضباط من سيناء وقد تورمت الأقدام وتهتكت البشرة والبعض مُصاب وإستقبلتهم مستشفيات الجيش والمتشفيات العامة لتقديم العلاج اللازم، الكثير من أبناء الشعب لا يعلم أى شىء عن أحبائه ومن يهمه أمرهم وكنت من بينهم أبحث فى أماكن لا أعلم عنها أى شىء.

لم تستطع بعض صديقاتى تقديم يد العون والإفادة سواء لعدم وجود قريب لهم بالجيش أو لأن هذا القريب لم يعد أو لأنه لا يعلم فقد أصبحت الحقائق خافية عن الجميع وإلتزمت أجهزة الدولة والقوات المسلحة بغطاء من السرية والكتمان.

رافق هذا إستدعاء الكثير من الشباب لتأدية الخدمة العسكرية وكان من بينهم أشرف زوج شقيقتى، وضع الجميع آياديهم على قلوبهم فلقد توغلت الهزيمة على الشباب الباقى الذى يقدم خدماته لصالح الدولة فهذا الشاب أشرف يعمل مهندساً فى إحدى شركات الغزل والنسيج بمنطقة حلوان.

شعر أبى بالكارثة وبأنه فقد إبنا فى صورة حاتم وسيفقد الثانى فى صورة أشرف وسيصبح بلا أبناء وستظل إبنته أرملة تحيا وتعيش على الأطلال بعد عدة أشهر قليلة عاشتها كزوجة ثم يصيبها الترمل وسيصاب وليدها باليتم كما كنا نسمع.

هكذا أقبلت علينا شقيقتى لتعيش معنا، فقد إقترب موعد الوضع ولم يتبق سوى شهرين فكانت تسير بمهل وآثار الإرهاق والتعب باديا عليها وأغلقت شقتها وإنعدم دخل زوجها فقد أصبح جندياً يؤدى واجب الوطن وكل ما يحصل عليه من عائد مادى بعض جنيهات قليلة لا تكفى مصاريفه الشخصية بالمعسكر الذى يعيش به.

أخبرت إحدى صديقاتى شقيقتى بأن أشرف زوجها يتم تدريبه بمنطقة (الهايكستب) وهو موقع قريب من مطار القاهرة لأن شقيقها زار أحد أصدقائه وإلتقى بأشرف الذى طلب منه أن يقوم بإعلامنا أين يكون، شاهدت

أبى يرفع يديه لله شكراً أن إطمئن على أحد أبناءه وسمعت دعاءه بأن يطمئنه على الإبن الثانى.

جائنى خطاب التعيين بصيدلية مستشفى القصر العينى القريبة من المنزل ولم أفرح كما يحدث لأى خريج جديد بأن يقطف ثمار عمله ومجهوده وكدت أرفض ولكن أمى رأت أن خروجى للحياة سيسر عنى ما أعانيه من فكر ومن الجائز أن ألتقى بأحد يستطيع أن يعاوننى بخصوص حاتم.

من حُسن الحظ أن من كانت تعمل معى الدكتوره (بدور) وهى ابنة قبيلة من قبائل سيناء وأصبح حديثنا اليومى يدور عن سيناء وما يحدث وما حدث للرجال الذين ذهبوا للقتال ولم يعدوا بعد، كانت معلوماتها جديدة علىّ وشعرت منها أن حاتم إن لم يقضى عليه جنود العدو فسوف يقضى عليه العطش والتيه بالصحراء الشاسعة بل من هجوم بعض الحيوانات المفترسة من الذئاب والضباع والأفاعى السامة الخطيرة مع ندرة الطعام.

شعرت بالكارثة المحدقة وقررت السفر لعائلته لعلى أجد عندهم بصيص من الأمل رغم عدم يقينى بهذا، وصلت إلى القرية وهناك كان واضحاً فقد الإبن والجميع يتسائل أين حاتم هل لقى ربه فى قتال مع العدو أو أنه ضل طريق العودة طويل المسافة كثير المخاطر أو إنه أصيب بجرح لم يجد من يقدم له يد العون.

قدموا لى المواساة وعلىّ أن التزم بالصبر لأن الخطب كبير وأصيبت عائلات كثيرة فى ابنائها وهم خيرة شباب الأمة، عُدت أجرجر أقدامى التى أصبحت بطيئة الحركة وغادرتنى حركة الشباب وروعتها وأصبحت أشاهد

نفسى فى المرآة وقد زبل وجهى وضعف حالى بل أصبحت أسُاق إلى الطعام دفعاً وكرها.

هذا يوم هام فى حياة شقيقتى إيناس فقد أخبرتها إحدى السيدات بأن مركز التدريب الذى به زوجها أتاح لمن يريد القيام بزيارة لذويه بداية من صبيحة يوم الجمعة القادم وما عليها سوى ركوب أتوبيس خط ٢٣٥ من ميدان روكسى الذى يصل بها إلى منطقة الهايكستب عند محطة الشهيد أحمد جلال العسكرية وستجد جموع الزائرين من المدنيين وما عليها سوى السؤال عن إسم زوجها لأن هناك مركز واحد لسلاح المشاة والتى إنضم إليه أشرف.

أثر الزيارة على شقيقتى

إستعدت شقيقتى لزيارة زوجها وعرض عليها أبى أن يرافقها لهذا المكان المجهول بصحراء شرق القاهرة لكنها شكرته وأخبرته بأن صديقتها سلوى سوف ترافقها لزيارة شقيقها بسيارتهم الخاصة والتى يقودها شقيقها الأصغر.

هكذا غادرت إيناس المنزل بعد أن أخبرها البواب بإنتظار صديقتها أمام باب العمارة، نظرت مع والدى ووالدتى من الشرفة لمتابعتها وهى تسير بصعوبة، إلتقت صديقتها بالترحاب وأشارت لنا إيناس بعلامة مع السلامة ودلفت إلى داخل السيارة.

كنا فى قلق وكلما مر بعض الوقت ينتابنا التوتر وكل فرد منا يؤنب نفسه لأننا تركناها تقوم بتلك المغامرة بنفسها دون سند، صديقتها تقوم بزيارة شقيقها وبرفقتها شقيقها التالى بينما إيناس بمفردها وما تواجهه من آلام بسبب الحمل.

إقترب المساء وكان والدى فى غاية التوتر وتسائل عن تليفون صديقتها فبحثت عنه وعثرت عليه وإتصلت بها وأجابت والدتها وأخبرتنى أن ابنتها سلوى عادت من زيارة شقيقها منذ قليل، طلبت محادثتها فسمعت صوتها على الطرف الآخر من التليفون وبعد الترحيب أخبرتنى بأن إيناس إلتقت بزوجها بينما هى وشقيقها إنشغلوا عنها مع شقيقهم، حينما تعدى منتصف النهار صدرت الأوامر لجميع الجنود بالعودة وبالتالى تفرق الشباب عن الأهل وبحثنا عن إيناس دون جدوى، رجتنى أن أطمئن والدايّ لأن المنطقة آمنه وكثير من الناس متواجدين خلال الزيارة.

جلست هامدة وتوقف تفكيرى وها نحن نبحث عن شقيقتى بعد أن فقدت الأمل فى العثور على خطيبى وحبيبى حاتم، حاولت وضع إبتسامة على وجهى لأطيب بها حال والدايّ لكن خلف الإبتسامة فضح المستور وأن إيناس فقدنا الإتصال بها.

أسرع والدى لإرتداء ملابسه مقرراً التوجه لهذا الموقع العسكرى التى توجهت إليه إيناس، وما بين محاولة إثناءه عن هذا العمل أو مرافقتى له سمعنا صوت جرس الباب وأسرعنا لنشاهد إيناس وبصحبتها زوجة البواب التى كانت تشد من أزرها، دخلت إيناس وألقت بصدرها على صدر أمى باكية والتعب والإرهاق الممزوج بالعرق كسى وجهها وملابسها التى تعفرت وبدا عليها الإهمال.

أحضرت إليها كوباً من الماء بينما والدايّ ينظران إليها يحاولان الدخول لأغوار نفسها الجزعة لمعرفة ما حدث وهل أصابها سوء من عدمه، بعد قليل تحدثت بكلمات قليلة من أثر الإجهاد وبأنها إلتقت بأشرف وجلست معه وإطمأنت على حاله ولم تستطع أن تلتقى بصديقتها فعادت مع جموع البشر ولاقت بعض صعاب مثل الآخرين والحمد لله أنها وصلت وإطمأنت على زوجها، طلبت منا المساعدة لتنهض كى تحصل على حمام يزيل عنها آثار هذا اليوم الشاق، لحقت بها أمى وعاونتها فيما رغبت بينما توجه أبى للصلاة شكراً على عودة إبنته بسلام.

تناولنا الطعام وبدا على إيناس بعض العافية وراق وجهها مما كان من آثر التعب والمجهود وتحدثت بأن المجهود لم يكن هو السبب فى معاناة

اليوم لكن السبب الرئيسى أنها تسببت فى إلحاق الأذى النفسى والمعنوى لأحد الضباط الصغار قائلة :

إيناس :

بعد إنتهاء الزيارة وعدم لقاء صديقتى توتر أشرف وتسائل كيف ستقطعين مسافة السير التى تتعدى ثلاثة كيلومترات حتى بوابة الخروج وتستقلى الأتوبيس إلى منطقة روكسى؟ لابد من العثور على وسيلة مواصلات لأن المسافة طويلة وشمس شهر أغسطس شديدة الحرارة.

لم تكن بالمنطقة العسكرية سوى بعض سيارات عسكرية تتحرك بفاصل زمنى طويل وكيف لى أن أركب سيارة عسكرية وعلمت منه أن هذا ممنوع على المدنيين.

شاهد أشرف سيارة لورى عسكرية قادمة فأشار إلى راكبها فتوقفت وسمعت أشرف يحدث من بداخلها بأن زوجته فى حالة صحية سيئة وطلب منه بألم وشبه تذلل أن ينقلها إلى بوابة المعسكر لأنها لن تستطيع السير تلك المسافة، كنت أعتقد بأن الضابط بداخل السيارة سوف يرفض هذا الطلب الإنسانى لأنه يخالف تعليمات القوات المسلحة لكننى فوجئت ومعى أشرف بأن هبط الضابط من السيارة وأشار لى بكل أدب قائلاً :

- اتفضلى يا هانم .. ترك كابينة السيارة وعاوننى أشرف على تسلق السيارة لأن سلمها مرتفع، أمر الضابط السائق بالتحرك وظل واقفاً على رفرف اللورى كى يسمح لى بالجلوس براحتى ولا يضايقنى بالجلوس بجوارى.

كدت أبكى من ذوق ومشاعر هذا الضابط صغير السن ولا يحمل سوى نجمة واحدة على كتفه، كان السائق هو الآخر على مستوى عال من الأدب فكان يسير على مهل لأن الطريق سيء ومليء بالحفر.

بعد مسيرة عشر دقائق قابلتنا سيارة جيب عسكرية وبها ضابط كبير وأشار للورى بالتوقف، توقف السائق وأشار للضابط الذى أسرع نحوه بينما الضابط الكبير مازال جالساً بالسيارة الجيب، أدى الملازم للضابط الكبير التحية العسكرية فلم يبادله الآخر بمثلها، سمعته يُحدثه بصوت مرتفع :

- مين الست إللى فى العربية ؟ وبتعمل إيه ؟

- أفندم دى بتزور أحد المجندين وصحتها تعبانه وكل إللى ح أعمله ح أوصلها لبوابة المحطة.

- بتقول إيه! .. يا وسخ، أنت ظابط تافه وعديم الضبط والربط ، وأبوك مربكشى و ..... ، غور من قدامى وأسرع بالسيارة بينما عاد الضابط الصغير مطأطأ الرأس وكفى على وجهه طاقية الرأس خجلاً منى ومن الجندى الذى قال للضابط كنت ناولته بوكس فى وشه ومحكمة بمحكمة.

لم يجيب الضابط عليه وظل صامتاً حتى وصلنا إلى بوابة المحطة العسكرية وأثناء تحرك اللورى كنت أشاهد جموع الزائرين تسير وراغبة فى ركوب اللورى لطول المسافة وشدة الحرارة، عند بوابة المحطة إلتقى الضابط بزميل له وعلمت أنه البديل له فى القيام بالخدمة بالوحدة.

هبطت من اللورى بمساعدة الضابط والسائق الذين كانوا على مستوى عال من الرحمة والإنسانية، قدمت إعتذارى للضابط ورد بإختصار أنه لا

داعى لهذا ولا توجد مشكلة إلا عدم رحمة وقلة الأخلاق، كان يحاول جاهداً أن ينظر بعيداً عنى حتى لا تلتقى نظراتى الحزينة مع نظراته الدمعة.

شعرت بأنه أخى الأصغر فهو فى مثل عمرك يا إيزيس، طلبت إسمه وتليفونه كى يقدم له أشرف الشكر فتجاهل طلبى لكن السائق زودنى بإسمه وتليفون العمل مشدداً علىّ بأن يكون الإتصال ليلاً ويوم الخميس لأن الضباط الأكبر منه عمراً يكلفونه بتولى الخدمة فى تلك الليلة رغم أنه من الشرقية و لايستطيع السفر لعائلته وسط الأسبوع.

لم يكتفى هذا الضابط بما فعل بل ساعدنى بالجلوس فى مكان أحد الجنود ورفض الجلوس على مقعد أحد الجنود عندما عرض عليه هذا مكتفيا بأن شقيقته تجلس حتى وصلنا إلى ميدان روكسى.

ساعدنى على النزول ووقف بجوارى وعرض علىّ إحضار تاكسى كى أشعر براحة، افقته الرأىّ وقبل تحرك التاكسى سألنى إن كان معى نقود من عدمه فشكرته وأن النقود معى والحمد لله، أشار لى بالوداع بينما إنهمرت الدموع من عيونى لما كابده هذا الإنسان النبيل من قسوة ممن هم أكبر منه رتبة عسكرية لتصرفه الإنسانى لما قام به.

- ليه تبكى يا إيزيس؟ هو إنسان طيب القلب وربنا ح يكافئه على عمله.

- صحيح .. بس بأزعل لما ألاقى فيه ظلم، ليه الأكبر منه يهينه بالطريقة دى؟ عمل إيه بدل ما يشكره على عمله الطيب.

ظل والدى ووالدتى ينظران لى ولسان حالهما يردد الشكر لله بأن وجدت فى طريق عودتك من يحنو عليك ويقدم عونه دون مناً، وردد أبى

بأنه سوف يدعو الله لهذا الإنسان النبيل فى كل صلاة مثلما يردد دعواته لكل من أشرف وحاتم.

أسـامة :

بعد ركوب السيدة سيارة التاكسى وقفت قليلاً كى أستوعب ما حدث، لا أعلم كيف كنت أسير، شعرت فى بعض الحالات بأننى أهزى وإرتفعت درجة الحرارة جسدى حتى إذا وصلت للناذى الذى أقيم به بالقرب من ميدان العباسية ألقيت بنفسى على السرير رغم حالة الجوع والعطش والإرهاق التى شملتنى، لقد أهاننى الرائد الذى كان بالسيارة الجيب إهانة لا تغتفر.

لقد وبخنى وسبنى بأقبح الألفاظ ولم أستطع منازلته لما عليه حال السيدة التى معنا بالسيارة والتى أصبحت أمانة فى عنقى كى أصل بها لبر الأمان حتى تستقل الأتوبيس الذى ينقلها إلى مصر الجديدة، كانت السيدة حامل فى شهرها الأخير من حالة ضخامة محيط بطنها وكان الألم يهاجمها فعيونها كانت دامعة.

تخيلت أنها شقيقتى رغم أن شقيقاتى مازلن لم يصل بهن العمر لتلك الحالة فهن يدرسن بالمرحلة الإعدادية، كان باديا على السيدة الخلق والأصل وأنها بنت ناس كما نقول، وأيضا زوجها هذا الجندى الذى أسرع بتلبية أمر القيادة وتم تجنيده فى تلك الظروف الصعبة.

كنت أتمنى أن أعاون كل من يسير بالطريق وأصل بهم حتى بوابة المحطة العسكرية لكن الأوامر قاسية وما سمعته من هذا الضابط كان أسوأ شىء سمعته مباشرة فى حياتى وسبب لى الإهانة المباشرة رغم ما قاسيته

فى سيناء منذ شهرين أثناء العودة من حدود مصر مع العدو الإسرائيلى فى معركة فاشلة كان يقودها بعض الضباط مثل هذا الرائد منتفخ الأوداج قليل الخبرة بالمعارك.

إن من لا يشعر بآلام الناس لا يستطيع تحريك وقيادة الجنود فى المعركة، كل هؤلاء الزائرين كان من الواجب أن توفر لهم الدولة ممثلة بقيادة الجيش وسيلة مواصلات كى يلتقوا بذويهم ويعودون ثانية من حيث أتو لكن ترك الناس بتلك الطريقة حتى يفترس القوى الضعيف مثل ما تحدث به هذا الضابط ومن بينهم سيدات وأطفال وعجائز.

لو شاهد هذا الضابط زميل له فى نفس رتبته أو أعلى منه مقاما لإبتسم له وقدم له كل القرابين بل وترك السيارة الجيب كى يستقلها الضابط الكبير وسار هو خلفها يلهث طالما أن الأكبر سعيد ولا يستطيع منازلته لكنها مصر التى نحيا بها كأننا نحيا فى بحيرة مياه بها الكثير من الأسماك ينال فيها الكبير من الصغير.

عُدت يوم السبت إلى الكتيبة، جاء جندى المراسلة يطلبنى للقاء القائد وهو برتبة مقدم، توجهت له بين دهشة الضباط لماذا يطلبك القائد فنحن مشغولون فى تدريب الجنود الجدد الذى تم تجنيدهم منذ شهرين.

هناك شاهدت القائد ومعه الرائد قليل الحياء الذى سبنى بالأمس وهاج القائد فى وجهى مهدداً لى بأنه سوف يُنزل بى أقصى عقاب لمخالفتى التعليمات المستديمة ومن بينها إستخدام المدنيين للسيارات العسكرية، حاولت التوضيح لكنه أصم إذنيه وطلب منى الإنصراف بعد تدخل الرائد

فى الحديث الذى طلب من القائد عدم توقيع جزاء على شخصى لأنه أعطانى دش محترم أمام الجندى السائق والسيدة التى كانت تركب اللورى.

عند هذا الحد تسمرت وتنفست الصعداء مقرراً الثأر من هذا الضابط وسألته لو كان هناك ضابط برتبة لواء وحدثك بما حدثتنى به ماذا سيكون تصـــرفك ؟ أصابت الدهشة القائد والرائد الذى شمر عن ساعديه وإنتفخت أوداجه مردداً :

- كنت رديت عليه زىّ ما قالى.

- إيه إللى قلته ليا؟

- قلت لك أنك ظابط وسخ ومتربتشى و ..... وغورمن قدامى.

- سيادة الرائد أنت ظابط مش متربى وبتقول كلام وسخ .

صمت الظابط وهاج القائد وصرخ فىَّ معلنا وضعى تحت الحراسة وتشكيل مجلس تحقيق لى، غادرت المكتب وشعرت براحة نفسية وأننى أخذت بثأرى وثأر السيدة التى أهانها ولتكن العاقبة سوداء فلا يهم ولا يجب إهدار الكرامة خشية العقاب.

تحركت الأمور بطريقة غريبة جداً، جائنى رئيس العمليات وهو برتبة رائد، هذا الرائد هو من أرقى ما شاهدت وعاصرت من الضباط، إبن أصل بجد ووسيم ويعمل فى سكون وسألنى لماذا القائد شكل مجلس تحقيق لك؟

شرحت له ما حدث حتى إذا سمع سباب زميله وضع يده على أذنه مردداً كفايه مش عايز أسمع الألفاظ دية، نظر فى وجهى وطلب منى عدم التحدث مع الزملاء بهذا الخصوص وما علىّ سوى الإنتظار وسيعمل ما فى وسعه لحل تلك المشكلة.

عصر هذا اليوم أرسل لى هذا الضابط الخلوق وذهبت لمكتبه وهناك شاهدت الرائد الذى لم يتلقى تربيه فى منزله وإبتسم لى الرائد الخلوق وبأن الرائد فلان عفا عما صدر منك من ألفاظ مهينة وما عليك سوى الإعتذار.

شكرت الضابط رئيس العمليات وقلت لن أعتذر له إلا إذا قام الرائد فلان بالإعتذار عما صدر منه من ألفاظ نابية، لقد كنت متردداً فى أن أخبر زملائى بما حدث بينى وبينه بمكتب القائد توضيحاً للسبب الذى من أجله سيتم التحقيق معى.

نظر رئيس العمليات لزميله نظرة لها معنى وردد : دا إللى أنا خايف منه يا سيادة الرائد فلان، سيعلم جميع ضباط الفرقة أن الضابط الصغير أهان ضابط عظيم وسيتقول الجميع وسيصل ما حدث للجنود ويؤيدها الجندى السائق ولك الخيار، إما الإستمرار فى إجرآت التحقيق أو الإعتذار المتبادل، لم يتحدث الضابط بذىء اللسان لكنه نهض وإقترب منى وقدم إعتذاره وإحتضننى قائلاً :

ـ متزعلشى منى، أنا كنت مضايق وأنا غلطت معاك وتصرفك كان نبيل مع تلك السيدة المريضة.

هكذا تدخلت الأخلاق النبيلة لمحو قلة الأخلاق وأحاديث الضلال والمهاتة التى يحلو للبعض التحدث بها مستغلين النفوذ والمكانة، أردد الحمد لله سوف أبيت تلك الليلة هادىء الأعصاب ولو إلتقيت بتلك السيدة سوف أخبرها بأن من أساء إليها قدم إعتذاره لكننى لا أعرف عنوانها ولا يجب علىّ إخبار زوجها بأن نفراً أساء إليها والحمد لله وكما قال رسولنا العظيم (أدبنى ربى فأحسن تأديبى) صدقت يارسول الله.

اليأس والقنوط

إيزيـــس :

مضى أكثر من شهرين على نهاية الحرب أو النكسة كما يطلقون عليها وأصبح الوطن فى حالة من التيه والتخبط ولا أعلم مصير خطيبى وحبيبى الذى مازال عالقاً فى خيالى ورائحته فى أنفاسى وكلماته الرقيقة تطن بأذنى وصورته الجميلة تتراقص أمام عينى حينما أنفرد بنفسى فى حجرتى.

تسلمت العمل وهو عمل مريح، قام الصيادلة الأقدم منا خبرة بالشرح والتوضيح والمساعدة كى نحصل على المعرفة التى هى أساس كل شىء معى بنفس الصيدلية زميلتى إبنة سيناء (بدور) وهى فتاة مصرية تعشق تراب هذا الوطن وتتحدث عن رمال سيناء بكل كلام طيب كأنه شعر ونثر فى آن واحد.

أثناء الحديث المتبادل بيننا علمت بحالى وما أقاسيه من عدم معرفتى بمصير خطيبى حاتم، فكرت قليلاً وأخبرتنى بأن بمستشفى القصر العينى بعض أفراد الجيش المصرى يعالجون مما لحق بهم جراء تلك الحرب ويمكنهم مساعدتنا إذا كان لهم دراية بما حدث لخطيبك حاتم.

تحركنا إلى القسم الذى يعالج به رجال الجيش وهو قسم يُمنع دخوله لغير المختصين سواء للأطباء للعلاج أو هيئة التمريض أو عاملات النظفة ويتولى حراسته رجال من الشرطة العسكرية المصرية.

توجهنا للقسم وإعترضنا أحد جنود الحراسة متسائلاً هل نحن عاملين بالمستشفى وأجابته بدور بأنك تشاهد ما نرتديه من بالطو أبيض يعكس

شخصيتنا ولكنه طلب منا إظهار البطاقة التى تصدرها المستشفى للعاملين وبالفعل أظهرنا البطاقة ودخلنا إلى الممر المؤدى لهذا القسم.

كانت ممرات القسم هادئة نظيفة وفجأة سمعنا أصوات رجال تستغيث وتتألم فحدث لنا خوف وهلع وشاهدنا العديد من هيئة التمريض تسرع فى إتجاه تلك الأصوات التى خفتت رويداً حتى تلاشت، شاهدتنا إحدى سيدات التمريض وتقدمت نحونا تقدم إعتذارها لما أصابنا من خوف وجزع.

تسائلنا عن أسباب تلك الأصوات المرعبة وأفادت بأن تلك العنابر بها قسم لرجال من الجيش المصابون فى المعارك التى حدثت منذ عدة أشهر البعض منهم تنتابه حالات من الصرع والبعض تنتابه آلام مبرحة من إصابات المعركة التى لحقت به وتلك الحالات تعتبر عاصية عن الشفاء.

تسائلت هل يمكن البحث بين تلك الحالات عن أشخاص نريد معرفة شخصياتهم وكانت النتيجة بأنه للأسف لأن هؤلاء الرجال لا نعرف أسمائهم ولكن نعرف رتبهم ودرجاب بعضهم خصوصا أصحاب حالات الصَّرع أما حالات الحروق فلا بيانات عنهم.

تسائلت الممرضة هل هناك شخص معين تبحثان عنه؟ فأسرعت بالرد عليها بأن خطيبى النقيب حاتم لم يعد من الحرب حتى الآن ولم نعرف أى بيانات عنه، طلبت منا الممرضة أن نتماسك حينما ندخل كل عنبر للبحث عن المفقود التى تبحثان عنه.

العنبر الأول كان هادئاً لأنه يخص بعض المرضى التى أصابتهم نوبات صرع من الإنفجارات التى حدثت بجوارهم ومشاهدة أشلاء الزملاء تتطاير من حولهم، لم نعثر على حاتم رغم أننى كنت أدقق النظر فى كل مريض.

العنبر التالى مخصص لحالات الحروق، لقد كانت المناظر التى شاهدتها مؤلمة للغاية لأن حروق النابالم هائلة وتجعل جلد الإنسان كأنه قطعة من البلاستيك، كنا نشاهد منظر تجعد الجلد وتبدل لونه الطبيعى وأصابع اليد ملفوفة مثل القلم الرصاص والبعض منها مُعوج مثل سيخ الحديد الملتوى.

لم أستطع إستكمال المشاهدة والبحث خصوصا أن زميلتى بدور كاد يغمى عليها وتعاونت مع الممرضه لمغادرة العنبر ولم نستطع إستكمال مشاهدة باقى العنابر ولهذا أسرعنا بمغادرة هذا القسم وتبين لنا أنه لا طائل من شفاء من يعالجون بداخله لكن الأطباء يعملون على ألا تزداد الحالة سوءاً.

تلك الليلة لم يغمض لى جفن ومن حين لآخر أهب مذعورة على ما شاهدته خصوصا عنبر الحروق وفى بعض الحالات أعتقد أن الحروق طالت وجه بعض الشباب ومن بينها هذا الحبيب الذى جعلنى أتعلق به لدرجة غريبة كدت معها أن أصل إلى فقد عقلى والترنح تحت الألم النفسى الشديد.

مساء هذا اليوم وبعد مُضى أسبوع على زيارة إيناس لزوجها أشرف وتلك هى ليلة الخميس وأعد والدى عدته كى يتصل بالضابط الهمام الذى قدم يد المساعدة لشقيقتى يوم الجمعة الفاءت، بعد عدة محاولات إستطاع والدى الإتصال بتليفون الوحدة التى بها الضابط وأخيراً أجاب من الطرف الآخر أحد جنود الإشارة وطلب من والدى الإنتظار حتى يخبر الضابط وبعد عدة دقائق سمع والدى صوت الضابط الذى أجاب من الطرف الآخر :

- أيوه يا فندم .. أنا الضابط أسامة الصادق.

- أهلا وسهلا، أنا الدكتور حمدى والد السيدة إيناس إللى قدمت لها يد المساعدة الجمعة إللى فاتت وهيا بتزور جوزها المجند.

- آه .. أهلا ومرحبا، طيب عرفت رقم التليفون والإسم إزاى؟ والله معرفشى لكن إيناس بلغتنى بيه وهيا جانبى وح تكلمك.

- مساء الخير حضرة الظابط

- أهلا مدام إيناس .. يارب تكونى أحسن عن يوم الجمعة إللى فاتت.

- الحمد لله وأنا مش عارفه أشكرك إزاى.

- لا شكر على واجب أنتى زوجة زميل لنا مجند وظروفنا جميعا صعبة ولازم نتعاون.

- طيب أختى موجودة جانبى وعايزه تكلمك.

- أهلا بيها.

- مساء الخير الظابط أسامة.

- أهلا يا فندم.

- شوف بقى، زىّ ما ساعدت أختى إيناس لازم تساعدنى.

- حضرتك حتعملى زيارة لأحد المجندين بكره.

- لأ .. بس خطيبى مرجعشى من سينا لحد دلوقتى وخلاص ح أجنن وعايزه أعرف أى حاجه عنه.

- ممكن تروحى إدارة السلاح إللى تبعه وتعرفى حاجات كتير.

- إحنا ملناش خبره فى الجيش ولا لنا معارف من ظباط وقاده وربنا وفقك فى طريق إيناس عشان تساعدها وبأطلب من ربنا يوفقك فى طريقى عشان تساعدنى.

- حاضر .. ح أعمل إللى أقدر عليه، لو سمحتى بياناتك.

- إسمه النقيب حاتم الطحاوى.

- أيوه وبعدين؟

- ده إللى أعرفه.

- سلاحه إيه؟

- مش فاضى.

- الجيش كبير وفيه أسلحة كتير وزى ما أنتِ عارفه أنا يدوب لسه مكملتشى سنه من تخرجى يعنى لا خبره ولا معرفه لو قلتى سلاحه يمكن أساعدك.

- كل إللى أعرفه أنه تدرب فى إنشاص فى الصاعقه وكمان كان بطل القوات المسلحة فى الفروسية.

- طيب على كل حال أنا ح أشوف إللى أقدر عليه وربنا معانا.

- طيب ح أعرف إزاىّ؟

- التليفون معاكم.

- بلاش وخد تليفون بيتنا وكلمنا أحسن لأن بابا تعب لحد ما حد رد علينا.

- حاضر .. أيوه .. خلاص كتبت الرقم وإنشاء الله أتصل بيكم لما أوصل لمعرفة أى شىء.

- مع السلامة .. وربنا يوفقك.

- أمين وتحياتى للدكتور وللسيدة شقيقتك وأنا بكره ح أمر على مركز التدريب إللى كان جوزها فيه وأطمن عليه بس لو تدينى إسمه بالكامل.
- أشرف مصطفى الأسيوطى.

إنتهت المكالمة وكان أثرها واضحاً علينا جميعاً حيث كان والدى ووالدتى [illegible] أيضا شقيقتى إيناس التى قبلتنى حينما أبلغت الضابط بإيمان زواجها كى يقوم على زيارته ويبلغه سلامنا، تركتهم بين الدعاء لهذا الإنسان الغريب علينا جميعا وأن يوفق فيما طُلب منه، دلفت لحجرتى أستعيد ما قاله لى هذا الضابط وكنت فى دهشة بأننى لا أعلم أى شىء عن سلاح خطير [illegible] وأن تلك معلومة هامة لا بد من توافرها.

نهضت وارتديت ملابس الخروج بين دهشة من بالمنزل وأخبرتهم بأننى سوف أتوجه للسنترال لطلب محادثة انكل (أحمد الطحاوى) والد حاتم لمعرفة بعض بيانات إبنه فقد نحتاج إليها للبحث عنه، وصلت السنترال سيراً على الأقدام يحدونى أمل كبير بالحصول على بيانات إضافية تساعد فى البحث عن حاتم.

جاء صوت الحاج أحمد الطحاوى من الجانب الآخر وحينما عرف شخصيتى رحب بى كثيراً متمنيا لى كل صحة وسعادة وأيضا عائلتى وسألته عن أى بيانات تخص حاتم كى نسأل عنه بعض المعارف فأسرع وطلب الأجندة الخاصة به وأملانى البيانات :

أكتبى يا ست الدكتوره .. النجيب حاتم أحمد الطحاوى .. سلاح المشاة .. اللواء ١٢ مشاه .. الفرجة التانيه .. الكتيبة ٣١٢ مشاه .. واعرف إسم القائد بتاعه إللى كان مغلبه .. إسمه العجيد مصطفى السيد الرافعى.

ألف شكر ياعم أحمد وربنا يساعدنا فى معرفة مصير حاتم وربنا معانا ومع الجميع، هكذا حصلت على معلومات كثيرة أعتقد أنها ستفيد هذا الضابط فى إلبحث عن حاتم.

أسامة : بعد تلك المكالمة التى تقطر حبا وإنسانية وتقدير لما قمت به شعرت من الجانب الآخر بالدكتورة التى تبحث عن خطيبها، لقد شاهدت العشرات فى سيناء أثناء الإنسحاب جثث هامدة من أثر العطش أو هجمات العدو كما قامت الحيوانات الهائمة بإلتهام أجزاء عديدة من جثث الشهداء، إن صحراء سيناء شاسعة وكيف معرفة مكان هذا الضابط لا بد لي من سؤال أحد الضباط بالكتيبة عنه وفى نفس رتبته.

باكر الجمعة كعادتى أخذت اللورى بسائقه أبو المواهب الذى كان مرافقا لى الأسبوع الفائت وشاهد وسمع الحوار البذيء مع الرائد الذى إعترض طريق سيرنا لوجود السيدة إيناس معنا وأثناء الطريق أثنى الجندى على ما قمت به من الثأر من الرائد، دهشت وتسائلت كيف علم بما حدث فأخبرنى بأن جندى المراسلة أمام مكتب القائد أخبره بهذا مضيفاً بأنهما من بلدة واحدة من مركز ساقلته محافظة سوهاج.

أمام مركز التدريب شاهدت العديد من الجنود مع ذويهم والكثير منهم إفترش الطريق من الإرهاق والتعب، توقفت السيارة ونزلت منها كى أبحث عن الجندى أشرف الأسيوطى، لم أشاهده وسألت بعض الجنود حتى عثر عليه أحد زملائه وأقبل برفقته ومجرد أن شاهدنى وبعد أن أدى التحية العسكرية قدم شكره الجزيل وأنه يتمنى الإطمئنان على زوجته.

أخبرته بمكالمة الأمس فأسعده أنها بخير وعلم بمحادثة الدكتور حمدى والدكتورة إيناس وأنها تبحث عن خطيبها النقيب حاتم مما دفعه للدعاء بأن يوفقنى الله فى سعىّ هذا وطلب منى أن أبلغ زوجته بأنه أنهى التدريب الأساسى وسوف يتم توزيعه بأحد الوحدات بمنطقة السويس ومن المحتمل أن يحصل على أول إجازة قبل التحرك إلى السويس.

مساء نفس اليوم قمت بالإتصال برقم الدكتور حمدى وجاء الرد بصوت سيدة فطلبت منها أن تخبر السيدة إيناس بأن المهندس أشرف بخير، رحبت بى السيدة وأخبرتنى بأنها إيناس فأكملت لها ما أخبرنى به أشرف وبأنه نهاية الأسبوع سوف يحصل على إجازة عدة أيام قبل إنتقاله للموقع الجديد.

سمعت دعاء السيدة وكانت تردد: وشك وش الخير وسمعتها تحدث أحد بجوارها فإعتذرت لى بأنها سوف تترك التليفون لشقيقتها التى رحبت بى كثيراً وزودتنى بالمعلومات الجديدة التى حصلت عليها من والد حاتم وأخبرتها بأن تلك معلومات هامه وأخبرتها بأننى لن أتوانى فى السعى فى هذا الأمر وسوف أعمل كل جهدى لفك طلاسم مكان حاتم وفى نهاية المكالمة طلبت منى بإسم العائلة القيام بزيارتهم ووافقت لكن بعد أن أحصل على شىء يفيد أين موقع الوحدة التى كان يعمل بها النقيب حاتم.

يوم السبت أقبل الضباط وهناك إلتقيت بالنقيب (فاروق) وطلبت عونه فى معرفة مصير النقيب حاتم وسألنى نفس السؤال الذى سبق وأن وجهته لخطيبته بأى وحدة وسلاح يخدم لم أستطع البوح بما طلب لكننى أخبرته بأنه كان متسابقاً فى مسابقات الفروسية التى تعدها القوات المسلحة سنويا نصحنى بسؤال الرائد عنتر الشرقاوى لأنه من ضمن فريق الفروسية

بالجيش، سألته وأين أعثر عليه؟ طلب منى مهلة يومين حتى يعلم بأى وحدة يخدم الآن لأنه حدثت تنقلات كثيرة بين الضباط بعد الهزيمة العسكرية.

الأسبوع التالى أخبرنى النقيب فاروق أين يخدم الرائد عنتر الشرقاوى كانت هناك مشكلة كبيرة بأن الرائد عنتر يتولى منصب رئيس عمليات إحدى كتائب المشاه بمنطقة عجرود الواقعة على طريق السويس الصحراوى وتقع كتيبته بالقرب من منطقة المثلث وهو أحد أحياء مدينة السويس الحديثة وشيد لخدمة العاملين بشركات البترول بتلك المنطقة.

لم تكن أمامى طريقة للذهاب للسويس سوى الإعتماد على مجهودى ولهذا وقفت على طريق السويس الصحراوى شبه الخالى من التحركات سواء العسكرية أو المدنية وقبل الظهر إستطعت ركوب لورى ورفض السائق أن أركب بالكابينه بجواره وبجوار التباع لأننى عسكرى فقد تخلصت من الرتبة العسكرية لأن أى لورى يرفض الوقوف لى بسبب أننى ضابط ولابد من ركوبى كابينة السائق.

وصلت لهدفى ،نتصف النهار بعد أن أحرقت شمس أغسطس ظهرى مع الهواء الشديد الذى كان يصفعنى بشدة، بداخل الكتيبة إستطعت الوصول لرئيس العمليات والذى إعتقد فى بادىء الأمر أننى منضم حديثا على الوحدة.

أخبرته بما جئت من أجله وكان الرجل حليما يقدر الصداقه وشعر بالحزن لفقد النقيب حاتم لكنه زودنى بمعلومات هامه تفيدنى فى البحث عنه وزودنى برقم تليفون الرائد (خليل تادرس) رئيس عمليات الكتيبة التى كان يعمل بها حاتم وقت الحرب.

تساءلت هل أستطيع لقاءه بسهولة وكانت اجابته بأنه متواجد حاليا بالقاهرة ويحصل على فرقة دراسية ولهذا فأمامك الوقت ومعك رقم التليفون، قدمت شكرى له وسألنى كيف وصلت فشرحت له ما كابدته للوصول فأمر أحد معاونيه بأن يخصص لى سيارة تنقلنى لموقف قطارات السويس الموجود بمنطقة المثلث وأردف قائلاً : ده قطر حربى ح يوصلك لمحطة مصر لكن تحمله كأنك راكب جمل فى الصحراء.

بالفعل فقد كان جمل الصحراء أحسن حالاً من هذا القطار فهو عبارة عن علب صفيح صدأة موضوعه على عجل فلا شبابيك ولا دورة مياه والعواصف الرملية تكاد تخنق راكبيه من جنود وضباط الجيش فهو مخصص لنقلهم بين السويس والقاهرة.

تحديد المكـــان

عُدت إلى الكتيبة وأنا فى حالة من الإرهاق، لأن مشوار السويس كان مرهقاً لى بطريقة سيئة جداً وذكرنى بما ودعته من أيام صعبة أثناء إنسحابى من سيناء من أشهر قليلة لكن الشىء الذى كان يدفعنى لما أقوم به تذكرى بأن هناك إناس يحتاجون العون وكنت أضع موقف أسرتى مكانهم أثناء تغيبى بسيناء لا يعرفون عنى أى معلومات كما أننى لا أستطيع التواصل معهم لظروف الحرب وعدم توفر وسائل إتصال حديثة.

بعد مضى يومان على عودتى من السويس أجريت إتصال تليفونى بمنزل الرائد (خليل تادرس) ومن قام بالرد عرفته بشخصيتى وأننى من طرف الرائد (عنتر الشرقاوى) بعد قليل تحدث الرائد خليل مرحبا بى وسألنى بعض الأسئلة عن زميله وصديقه الرائد عنتر وأجبت على بعض منها وطلبت منه أن يؤدى لى خدمة إنسانية تهم أسرتى فرحب الرجل وتسائل عما أرغبة من تلك الخدمة.

عرضت عليه السؤال الذى أبحث عنه وهو ما مصير النقيب حاتم الطحاوى؟ تمهل الرائد خليل فى إجابته ثم تحدث بصوت حزين النبرة بأن النقيب حاتم نال الشهادة وفى أحسن الأحوال أصيب إصابات شديدة من جراء غارة جوية إسرائيلية فى اليوم التالى لبدأ الحرب والبعض شاهد موقعه بعد أن أمطرته الطائرات المعادية بقنابل النابالم الحارقة مما أدى لمقتل جميع رجاله والبعض ظل على قيد الحياة.

تشجعت وتسائلت : هل إدارة السلاح تعلم أنه لقى الشهادة؟ وكانت الإجابة بأنه كتب فى تقريره بما شاهده بعض الجنود بإحتمال بقاءه على قيد الحياة بعد أن نالت منه قنابل النابالم وشوهت جسده مع باقى رجاله ولهذا لم نؤكد وفاته لأن التأكيد لا بد له من شهود أو عودة الجثمان وهذا لم يحدث.

أسرع الرائد خليل بإنهاء المكالمة بتقديم واجب العزاء لى ولأسرة المصاب أو الشهيد على كل الأحوال وتذكرت سؤال هام كنت راغباً فى معرفته، أين كان موقع الكتيبة يوم القتال وأجاب مسرعاً مفارق الحسنة لأن اللواء كان يعمل نسق ثانى للفرقة الثانية مشاه.

إنتهى الحديث والآن علمت بعض خبايا عن النقيب حاتم وفكرت هل من الواجب أن أخبر خطيبته بما وصل إلىّ من معلومات أو أبحث عن المزيد لم أستطع الوصول إلى نتيجة مؤكدة وظللت أفكر فى إجابات الرائد خليل الذى كان يتحدث عن النقيب حاتم بتأثر شديد وكان يغالب أشجان الحزن الواضحة فى صوته أثناء المكالمة.

مساء الخميس جلست بالوحدة كعادتى ضابط نوبتجى بينما زملائى أبناء القاهرة أو أبناء الأقاليم ممن يقيمون لدى ذويهم أو الذين إستأجروا سكنا يقيمون، جلست وأحضرت كتاب هيئة العمليات الذى تسلمناه منذ شهر وبعدها بأسبوع طلبوا منا إعادته وقتها كلفت بمأمورية فلم أعيد الكتاب.

كنت أعلم من الضباط الأكبر منى رتبة وخبرة بأن هذا الكتاب فى منتهى الخطورة والسرية لأنه رسم أوضاع القوات بسيناء كما أنه يحوى بلاغات القتال أثناء معارك يونيو ١٩٦٧ وبعد طباعته وتوزيعه على الضباط وصلت معلومات للقيادة من الأمن الحربى والمخابرات الحربية بالصدى

السيىء الذى أحدثه الكتاب لدى بعض الضباط الذين إطلعوا عليه ولهذا صدر قرار بإستعادة جميع النسخ وجمعها الأمن الحربى للتخلص منها بالحرق.

كانت خطورة الكتاب توضح المأساة التى تعرضت لها القوات البرية فى سيناء من أوضاع القوات على الأرض والتى إعتبرت بأنها ساهمت فى تقليل فاعلية القوات مما ساعد القوات الإسرائيلية للتغلب عليها ومما زاد من الخسائر فى المعدات والأفراد وجعل الهزيمة مؤلمة للمصريين.

فردت الخرائط الموجودة بالكتاب وبحثت عن منطقة الحسنة بوسط سيناء وبحثت عن موقع اللواء الثانى عشر المشاه حتى عثرت عليه لكنه كان موزع على مواجهة واسعة فبحثت عن موقع الكتيبة التى كان احد ضباطها النقيب حاتم الطحاوى.

واجهتنى صعوبة كبيرة وفكرت بالإستعانة بأحد الضباط الأقدم منى رتبة لكنى خشيت أن يبلغ عنى بأننى لم أنفذ الأوامر بتسليم الكتاب كما فعل جميع الضباط توقفت عملية التدقيق لتحديد موقع الكتيبة فقد وصلت لطريق مسدود لا علاج أمامى كى أسلك الطريق الصحيح.

قطع علىّ التفكير حضور فرد الإشارة يبلغنى بمكالمة من العائلة فأسرعت لمكتب القائد وانتابتنى الهواجس بأن تكلف أسرتى بالشرقية نفسها عناء الإتصال التليفونى الصعب، كان المتحدث من الجانب الأخر المهندس أشرف أو الجندى أشرف زوج السيدة إيناس.

بعد تبادل الكلمات الطيبة طلب منى زيارة منزل الدكتور حمدى بالغد خلاله تتعرف علىّ الأسرة ونتناول طعام الغداء معاً حاولت الإعتذار لكنه

كرر المحاولة وقطع الحديث تدخل شقيقة زوجته الدكتورة إيزيس التى طلبت منى زيارتهم بالغد لأنها ترغب فى الجلوس معى لتتعرف على ما سبق وأن طلبته منى.

كانت إيزيس تتحدث بطريقة تدل على ما تعانيه من إفتقادها لخطيبها، لم أستطع الإجابة وكل ما سمعته هو العنوان وأنهم سوف ينتظروننى على الغذاء حتى لو تأخرت رغم أنها ذكرت أن موعدهم الدائم لتناول الطعام فى الخامسة مساء.

غلبنى اليأس والقنوط ولهذا أسرعت للدخول فى نوم عميق كى أستعد ليوم الغد الذى سيصبح شاقاً علىّ ولم أستطع الوصول لنتيجة معينة فى البحث، صباح الغد نهضت أكثر إشراقا وإرتديت ملابسى وركبت اللورى إلى بوابة الهايكستب وإلتقيت بزميلى الذى سيتولى الخدمة لهذا اليوم.

طرأ على بالى فكرة عرضتها على زميلى بسرعة فقد كنت أعلم أن شقيقه الأكبر ضابطاً بسلاح المدفعية ومن دراستى بالكلية الحربية كان طلبة المدفعية من أفضل من يقرأ الخرائط ويعلم عنها الكثير بحكم الرماية غير المباشرة على الأهداف التى يحصلون على بياناتها من الخريطة.

لم يعارضنى زميلى وأخبرنى بأنه فى مساء الغد بعد عودته سيقوم على زيارة شقيقه ويطلب منه لقائى كى أحصل منه على بعض بيانات من على الخريطة شعرت بعد هذا اللقاء بأن تلك الفكرة سوف تساعدنى فى الحصول على بيانات دقيقة عن موقع الوحدة التى كان يعمل بها خطيب إيزيس.

بفندق الضباط بالعباسية إستبدلت ملابسى العسكرية بملابس مدنية وتوجهت لصلاة الجمعة بعدها تسكعت بعض الوقت بشوارع القاهرة فى

هذا اليوم الهادىء لحركة الناس والسيارات حتى وصلت فى سيرى إلى سور الأزبكية بالقرب من ميدان الأوبرا وهو سور به الكثير من أمهات الكتب وهو مقصد للكثير من الشباب لشراء ما يحتاجونه من كتب التراث بمبالغ زهيدة تصل إلى ربع ثمن الكتاب الجديد المباع فى المكتبات.

كنت أتطلع لعناوين الكتب دون لمسها مخالفاً بذلك غالبية المتواجدين لأنه ليس بفكرى كتاب معين لكن من حُسن الطالع أننى شاهدت رواية بعنوان (إيزيس) فمددت يدى لها وأمسكت بالكتاب وكان من الحجم الصغير وطباعته متواضعة وهو من انتاج وزارة الثقافة التى كانت تنشر أعظم المؤلفات بأثمان زهيدة لتنوير الشباب المصرى وتلك الكتب المباعة وسبق قرائتها أى أنها مستخدمة.

وصل ثمن الكتاب إلى قرشين صاغ بينما مكتوب عليه من الخلف الثمن سبعة قروش وخمسة مليمات، أكملت سيرى ثم ركبت (الترولى باس) وهو اتوبيس جميل يعمل بالكهرباء حتى وصلت لشارع جامعة الدول العربية، غادرت الأتوبيس وكنت أجول ببصرى بحثاً عن أرقام العمائر من حولى حتى شاهدت رقم العمارة.

دخلت من بابها فشاهدنى البواب وتسائل عما أبحث عنه فأخبرته بإسم الدكتور حمدى فأسرع معى وإصطحبنى بالمصعد حتى باب الدكتور حمدى التى كانت تزينة يافطة نحاس تحمل إسمه ومهنته.

كان المستقبل لى هو المهندس أشرف الذى رحب بى كثيراً وتلاه زوجته ثم الدكتور حمدى والسيدة زوجته وقبل الجلوس أقبلت فتاة جميلة ومدت يدها تصافحنى مرحبة بى كأنها تعرفنى منذ فترة طويلة، شاهدت الرواية

التى بيدى وتناولتها وشعرت بسعادة مقدمة شكرها وتقديرى لى معتقدة بأننى احضرتها من أجلها.

تناثرت الأحاديث وكلمات الترحيب بعدها نهضنا لتناول الطعام فجلس رب الأسرة فى مواجهة السيدة زوجته وجلس عن يمنه إبنته إيناس وبجوارها زوجها بينما جلس عن يسارة إبنته إيزيس التى أشارت لى بالجلوس بالمقعد المجاور لها، أثناء تناول الطعام دار الحديث بيننا جميعا وتبين لى أنها أسرة إجتماعية تحب الصداقة والمعرفة ولديها القدرة على إنشاء صداقة قوية فى وقت سريع نظرا لطبيعتهم الطيبة المخلصة.

تسائلت إيزيس عما كلفتنى به وأسرعت بالإجابة بأننى قطعت شوطا لا بأس به ولتعطينى عدة أيام حتى أنتهى مما طلبتيه منى، شكرتنى بإيمائة بسيطة بما يعنى أنه لا فائدة من البحث فى رمال سيناء الشاسعة وظروف حرب غادرة أجهزت على الشباب المصرى فى غياهب الصحراء القاتلة.

بعد جلسة مع تلك الأسرة لقيت منهم الحفاوة على ما قمت به مع إبنتهم إيناس وما كلفتنى به إيزيس والتى رجتنى أمها بأن أعمل المستحيل كى تستعيد البسمة والسعادة التى فقدتها بفقد حاتم مما دفع إيزيس للبكاء ومغادرة مكان جلوسنا فأسرعت أمها وشقيقتها فى إثرها ووصل إلى سمعنا شهيقها وبكائها شبه الصامت الذى يشبه النحيب وبعض كلمات مترامية بأنها متأكده أن حاتم مات.

تردد .. حاتم مات يا ماما .. لما شفت الضابط إللى موجود معانا فكرنى بحاتم، نفس طريقة كلامه وصغر سنه بل من بلدهم، شوفوا ربنا بعتلى واحد يفكرنى بحاتم، خلاص معنتش عايزه حاجه من الدنيا بعد حاتم كله أسود.

كان كلاً من والدها وزوج شقيقتها فى حرج محاولان الترحيب بى للتغطية على حديثها الحزين ولهذا نهضت مقدما شكرى وتقديرى على تلك المأدبة الطيبة فأسرعا معى حتى الباب كأنهما كانا راغبين بأن أترك لهما حرية التصرف مع إيزيس.

أسير بالشـــارع أتلفت من حولى وصوت بكائها وصياحها يطن فى أذنى " حاتم مات يا ماما .. بأقولكم حاتم مات وشبع موت " كانت الكلمات قاسية ولأننى أعلم الحقيقة بأن حاتم إما أصبح شهيداً أو أصبح مشوهاً والنتيجة الثانية أسوأ فالشاهدة مرة واحدة أما التشوه فسيظل مستديماً معه إلى أن يلقى ربه وهو فى ريعان الشباب.

إيناس :

كان وضعنا غاية فى الحرج، ماذا سيقول عنا هذا الضيف الذى إستجاب لدعوتنا وتلك هى الزيارة الأولى التى يقوم بها إلينا، أعتقد بأنها الأخيـرة هل هذا صحيح يا أشرف، لماذا لا تجيب؟

- إيزيس سوف يصيبها الجنان، أختك بتموت فى حب حاتم، معدش حد قدامها غير حاتم، يارب صبرها مش عارف أعمل إيه واساعداها إزاىّ.

- دايما لما أبص لها وأفتكرها وهيا صغيره وماشيه ورايا أخلى بالى منها العلاقة دى لسه مستمره لأننى الكبيرة وهيا الصغيره، أنا حزينه عليها، يا رب ألطف بحالها.

إيزيـــس :

مش عارفه إيه إللى حصلى، أكيد أسامه ح يزعل منى ويمكن ميكملشى إللى طلبته منه، يارب بقيت مش قادره أتحكم فى أعصابى، أنا راضيه بقضائك

لكن لو ترحمنى خلىّ حاتم عايش، عايش وخلاص، متعور فقد جزء المهم أنى أشم ريحته وأكلمه وأسمع صوته وأمسك إيده، مش المهم الجواز المهم أشوف حاتم حتى لو مرة واحده.

لما شفت أسامه إفتكرت حاتم، معرفشى إيه إللى خلانى فكرت أن إللى قاعد بجوارى هو حاتم، كنت بأغرف له الأكل فى الطبق وغلطت مره وقلت له بالهنا والشفا يا (حاتم) ومخدشى باله لكن إيناس بصت ليا محذرة أعمل إيه يارب؟ الحب ده أنت وضعته فى قلبى ولقائى مع حاتم أنت برضه إللى وضعته فى طريقى.

يارب سهل علىّ الحياة دا أنا لسه فى بداية الطريق، طريق الحياة والجواز وتكوين عيله وأطفال وأعيش وأحيا زى باقى الناس من غير حاتم مش قادره أتحمل، هوه مش فارس الأحلام لكنه شاب تغلل فى قلبى وجوارحى غطى على كل مشاعرى، معرفشى حاجه فى الدنيا غير حاتم ولو كان القدر شديد عليا وحرمنى منه لا يمكن اعرف راجل تانى أرتبط بيه، خلاص حياتى وحبى وقفت على كده وح أفضل أفتكر أطلال ذكريات حبنا.

السدة (ناهـــد) أم إيزيـــس:

معرفشى إيه إللى قلب الحكاية كده وخلاها دراميه، كنا مبسوطين وبنرحب بالشاب الطيب إللى وقف مع إيناس وساعدها وإللى بلغنا خبر نزول أشرف اجازة، ليه كده يا (إيزيس) تقلبى الفرح لغم، ياه ع الدنيا أكيد البنت خدت عين جامدة من بنت خالة حاتم يوم مارحنا لهم العزبة، كانت بتبص لحاتم وعايزه تكله، أقوم أشوف الغلبانه عملت إيه، ربنا يهون عليها.

ـ لسه صاحيه يا إيزيس، قومى يا حلوه خديلك حمام دافى وإدخلى فى السرير ونامى وحطى قطرة فى عيونك الجميلة إللى العياط بهدلها.

ـ حاضر يا ماما، أنا بخير بعد ما طلعت الضيق إللى كان عندى.

ـ طيب الحمد لله إنك كويسه.

ـ لأ مش كويسه، زعلانه أن أسامه مشى زعلان، مكنش واجب أعمل كده هوه ذنبه إيه.

ـ متخديش فى بالك، هوه مزعلشى ولا حاجه يمكن زعل عشانك.

ـ تفتكرى يا ماما.

ـ أكيد يا بنتى، ما هو شاب ومشاعره زيك وزىّ أشرف وحاتم، تصبحى على خير يا إيزيس.

ـ وأنتى من أهله .. ما أشوف حكاية الكتاب ورواية إيزيس، أسامه بيفهم صحيح الكتاب قديم، أكيد كان عنده وعجبته الروايه وجيبهالى أتسلى فيها يشكر على كل حال.

نفذت وصية أمى ونهضت وحصلت على حمام منعش أذكى فؤادى ومشاعرى مما دفعنى للغناء وأنا فى داخل الحمام، إرتديت ملابس فضفاضة وقفزت إلى السرير وأمسكت بالرواية لقرائتها، لقد هالنى ما قرأت وشعرت أن إسطورة إيزيس الفرعونية تكاد تتقمصنى، إن إيزيس بحثت عن أوزوريس فى كل مكان وقابلت الصعاب بل ظلت تبحث عنه حتى عثرت عليه بعد أن سجنه شقيقه.

ياه .. الرواية رائعة ولأستكمل صفحاتها بعد عودتى من العمل باكر ولأذهب فى نومى ولأحلم أحلام سعيدة ولن أغير القدر الذى هو بيد الله.

أسامة :

بعد مُضى يومان على حديثى مع زميلى عن كيفية تحديد موقع ما على الخريطة إصطحبنى فى هذا اليوم إلى الوحدة التى يعمل بها شقيقه وإلتقيت به وعرضت عليه مشكلتى وقام بتوضيح كيفية الحصول على الإحداثيات على الخريطة.

تسائل عما أريد تحديده بالضبط، فى البداية ترددت ثم أظهرت له الكتاب فضحك مردداً : عفارم عليك إنك مسلمتش النسخة دية ومتعرفشى حد، أيوه بص أدى المحور الأوسط، منطقة الحسنة، طريق القسيمة، بالشمال جبل الحلال، هنا موقع الكتيبة بمنطقة التلال الجنوبية لجبل الحلال ومن هنا إتجاه تقدم الإسرائيليين.

- وَضحت كده؟ لو عايز حاجه تانيه أنا جاهز ومبروك عليك الكتاب ومحدش يعرف بيه، قدمت شكرى له وصافحته وودعته وأنا أشعر بأننى أحمل كنزا كبيراً سوف ألقى به على إيزيس التى بدا واضحا مدى تعلقها بخطيبها والذى أشاد به كل من عملوا معه.

مساء الخميس إتصلت بمنزل الدكتور حمدى الذى رحب بى وسألته عن إيزيس فسمعت صوته ينادى إبنته التى جاءت متسائلة :

- أيوه .. مين.

- أنا أسامة.

- أهلا أسامة، متزعلشى منى وكنت ناويه فى أول مقابله أقدملك إعتذارى عن إللى بدر منى الأسبوع إللى فات.

- دا كله مش مهم، المهم أنا جهزت لكى كل المعلومات إللى طلبتيها وشوفى أجيبها لكى فين.

- خلاص نتغدى بكره عندنا.

- شكرا إيزيس .. أنا بأحب أخد راحتى فى حكاية الأكل، لو كان عندى أجازة كنت جيبتها لكى فى الشغل.

- خلاص نتقابل بكره وتقولى على كل حاجه.

- طيب، فين؟

- إيه رأيك فى نادى الظباط بالزمالك؟

- موافق .. العصر يناسبك؟

- أيوه عشان الحر.

- طيب إلى لقاء بكره .. مع السلامة.

- الله يسلمك.

عصر اليوم التالى أقبلت إيزيس مرحة ونفحتى ببعض كلمات الترحيب وجلسنا بعض الوقت ثم أخرجت ورقة كنت قد خططت عليها خريطة سيناء بطريقة بدائية وشرحت لها كل ما قمت به والمعلومات التى حصلت عليها نظرت إلىّ بعيون دامعة وتكلمت بكلمات قصيرة حزينة.

- تصور يا أسامة .. إللى أنت بتقوله ليا أنا شفته فى الحلم بل شفته فى اليقظة قبل الدخول فى النوم، حاتم كان بيشاور ليا وبيقول أنا هنا يا إيزيس، أنا متعور ومتبهدل، خلاص يا إيزيس معنتش ح أقدر أركب الحصان ولا فيه أناقة ولا وسامة، الحروق بهدلتنى.

ناولنى الورقة دية، أشكرك كتير وربنا ما يحوجك لحد ويحميك من مخاطر الحروب شكرا أسامة ولو فيه جديد ح أبقى أكلمك.

نهضت إيزيس وكنت راغبا فى اللحاق بها وتوصيلها بالتكاسى إلى منزلها لكننى لم أفعل فقد كانت الفتاة فى حالة نفسية سيئة وكادت الدموع تقفز من عيونها الجميلة.

***

أسرعت إيزيس وغادرت النادى وألقت بجسدها فى أول سيارة تاكسى شاهدته وأعطت السائق العنوان حتى وصلت إلى العمارة ودفعت للسائق أجره وسارت إلى المصعد ووصلت إلى الشقة وأخرجت المفتاح وأدارته ودخلت إلى حجرتها تكاد تنفجر بكاء وحزنا على ما صبه الضابط أسامة من معلومات وبيانات أكدت ما سبق وشاهدته فى الرؤا سواء فى الحقيقة أو أثناء نومها.

إستبدلت ملابسها وجلست فى سريرها تنظر للأمام مركزة نظراتها على الحائط، فقد خيل إليها أنها تشاهد حاتم، تمكن منها الخيال وشاهدت حاتم يشير إليها يطلب عونها مؤكداً على أن ما وصلها من معلومات اليوم هى حقيقة مؤكدة.

كانت صورة حاتم تنم عما أصابه من إصابات جسيمة نتيجة القصف بقنابل النابالم الحارقة، سمعته ينعى حظه بأنهما لم يتزوجا لو حدث لكانت الأن حامل وتنجب إبناً له يحمل صفاته ويستكمل حياة أبيه، إيزيس هل من المعقول أن تقتفى أثر جدتك إيزيس عندما أسرعت للحاق بحبيبها أوزريس

كى تنقذه من مصير موت محقق على يد شقيقه طمعاً فى العرش، أنتِ حفيدة أيزيس ويمكنك أن تصبحى مثلها والأيام تعيد نفسها.

لماذا لا تجيبى على أسئلتى؟ أعتقد أننى طلبت منك الكثير الذى هو فوق طاقتك، وداعاً وسأزورك من حين لآخر.

نعم حاتم .. سأعمل كل ما فى وسعى لإنقاذك وكما نقول (يا نموت سوا يا نعيش سوا) لن أهمد ولن أستريح حتى أصل إليك وأظل بجوارك بل سوف أزف إليك وأحمل كى أنجب الولد الذى يستكمل حياتك وثق أننى أشاهدك كما كنت وما الإصابات والتشوهات التى لحقت بك ما هى إلا أوسمة ونياشين البطولة للدفاع عن الوطن و....

- جرى إيه يا إيزيس! بتكلمى نفسك؟ مش معقول كده تعالى إقعدى معانا بره وتتسلى وسيبك من موضوع حاتم وربنا ح يسوقه لنا عن قريب، تعالى يا بنتى.. مبترديش ليه؟ تعبانه؟

- خلاص يا ماما، سيبينى دلوقتى ورايا كتاب عايزه أقرآه وأعرف كل إللى فيه.

- براحتك يا إيزيس.

إسطورة إيزيس

أسرعت أبحث عن الرواية التى أهداها لى أسامة وبدأت فى القراءة التى تحولت إلى إلتهام لصفحاتها، نعم هى إسطورة لكن حاتم حدثنى منذ قليل وطلب منى إقتفاء طريق جدتى إيزيس، هل من المعقول أن أحذو حذوها وهل يمكننى مساعدة حاتم فى محنته؟

لا أعتقد هذا، ولماذا طلب منى حاتم هذا الطلب ولماذا أقبل أسامة حاملاً لى تلك الرواية؟ هل هو توارد خواطر أو أن هناك شىء فى الخفاء شىء قدرى يدفعنى لما طلبه حاتم ولما إعتقده أسامة وخشى أن يخبرنى به، سوف أستكمل الرواية وفى النهاية أقرر ما علىّ القيام به.

ها قد بدأت فى القراءة للمرة الثانية:

تعتبر أسطورة أيزيس و أوزوريس من أشهر الأساطير التى وصلت إلينـــا لقد وصلت هذه القصه من عده مصادر مختلفه التفاصيل ولكنها متفقه المضمون فالأســطورة تتــعلق بأربــع ألهـــة وهم (ايزيـــس) و (اوزوريس) و(ســت) و(حورس).

يعتقد في هذه الأسطورة أن أوزوريس كان ملكاً عادلاً مُحباً للخير يحكم مصر من مقره بالوجه البحري، وعـلم شعبه الزراعه وحُب الوطن ونشر العدل في فتره حكمه لذلك اكتسب حب الشعب، اثار هذا الحب حقد اخوه ست عليه لذلك فكر في عمل موامره لقتله والتخلص منه، كان أخوه ست يحسده ويريد عرش مصر فأعد وليمة كبيرة دعا إليها أخاه.

أعد (ست) تابوت مُرصع بالذهب والجواهر وذكر أن هذا التابوت سوف يكون من حق من يأتي علي مقاسه، كان هذا التابوت مُصنوعا علي مقاس اوزوريس، فقد اعده ست على مقاس أوزوريس، و بدأ الناس في التناوب علي التابوت حتي جاء دور (اوزوريس) وعندما استلقى فيه أغلق ست وأعوانه التابوت عليه ورموه في النيل فمات غرقاً.

لكن ايزيس لم تقف مكتوفه الأيدي وضربت الارض سعياً وبحثاً عن جثه زوجها حتي عثرت عليها في جبل (بيبلوس) ولكن ست أفلح في سرقة الجثة وقطعها إلى ١٤ جزءاً ثم قام بتفريقها في أماكن مختلفة في مصـر لكن إيزيـس و(نفتيس) تمكنتا من استعادة الأشلاء، واستعانت بسحرها لإعادة الروح إليه لفترة من الوقت، ولدت أيزيس من زوجها أوزوريس ولداً وهو حورس (بالسـحر أيضاً) وكان من الصعب أن يحيا أوزوريس مثل حياته الأولى فلزم عليه أن يحيا في مملكة الموتى ويكون ملكاً فيها.

اختفت ايزيس عن أعين ست حتي وضعت طفلها (حورس) وقامت إيزيس بتربية حورس في أحراش الدلتا سراً و تعاونت معها الالهه في تربيته حتي شب وصار رجلاً بعد هذا عادت ايزيس بحورس إلي الوادي لتطلب من (ست) بعرش اوزوريس الذي صار حاليا من حق ولده حورس، ودارت العديد من المعارك بين (حورس) وعمه (ست) وقفت فيها الالهه إلي جوار حورس حتي انتصر علي ست.

بعد هذا قامت الالهه بمحاكمة (ست) وادانته الالهه علي ما فعل ومنحت حكم البلاد لحورس بينما اصبح ست حاكما للصحراء واعادت الالهه الحياه لاوزوريس ولكنه رفض أن يكون ملكا علي الارض وفضل أن يكون حاكما للعالم السفلي بعيداً عن الشر.

أنها شخصية حقيقية وكان ملكاً في عصر سحيق للغاية على أرض مصر كلها وكانت عاصمة ملكه شرق الدلتا "بوزيريس" (أبو صير – بنها الحالية) وقد فسر موته غرقاً على يد الإله وأنه مات في ثورة ضده كان مركزها مدينة "أتبوس" التي أصبحت مقر عبادة الإله ست (مكان طوخ بمحافظة قنا) وبذلك انقسمت مصر إلى مملكتين إحداهما في الدلتا والأخرى في الصعيد ووحدتا نتيجة لحملة ناجحة

المرأة في مصر القديمة : دراسات د. زاهـــى حـواس :

المرأة في مصر القديمة كانت هي بوابة الدنيا... هي العرش و السند والأهل والأم و الرفيقة... هي الوجه الآخر للكون فبدونها لن يعرف الرجال الكون... فرحلة التناغم مع الكون تبدأ من المرأة كما يبدأ الانسان حياته من رحم المرأة فأول دقة من قلب الجنين تكون من قلب أمه... نساء مصر هن عرش مصر، علمنا أجدادنا أن المرأة هي قدس الأقداس منها تأتي الحياه وهي حامية البيت وراعيته وهي مصدر قوة زوجها وملهمته فهي نور (رع) داخل بيته وعقله وقلبه فتبث المرأة النور فيشع وعي الرجل ليكون قويا صلبا لا يهزمه أحد وهو في حماية الست المصـــــــرية

(است أو ايزيس) تعيش داخل كل امرأة تهب البشر الحياة... الأم المصرية اسطورة صنعت الانسانية..

تتجلى (إست) في اكثر من شكل وصورة فهي : (قوية كسخمت) و (رقيقة كباستت) و(أم حنون كحتحور) و (مظلمة كموت) و (حكيمة كسيشات) و(ربة منزل و منشأة أجيال كنب حت) ... تلك الصفات ترتبط بالأجرام السبعة القديمة عند المصريين وأيضا بمجموعة نجوم الاخوات السبعة Seven sisters pelaidus... هكذا يتضح أن الفلسفة المصرية كانت تدرك معنى الجوهر الواحد للخالق وتعدد تجلياته و يظهر ذلك في مثل بسيط مثل القطة لها سبعة أرواح.

من اعمق تجليات ايزيس التى تم سردها هى نفتيس ربة البيت والعشيقة ولماذا يتكرر هذا المشهد كثيرا بين ايزيس ونفتيس؟

*است (ايزيس) و نب حت (نفتيس) هما ترميز (**لنجمتي الشاعرة اليمانية البراقة**) والتي لا تظهر للعين المجردة بسهولة لخفوت بريقها فهما الاختين المترافقتين ولكن نجم ايزيس اسطع من شقيقتها نب حت...*

*تكمن اهمية (**نجمتي الشاعرة اليمانية البراقة**) في ظهورهما مع الانقلاب الشمسي الشتوي وهو رمز لعودة الشمس من الموت في الشتاء للحياة والعودة في الربيع كما هي دورة الروح من الحياة والموت ثم الحياة الأخرة وأيضا لاست و نب حت بُعد فلسفي وهو ان ايزيس هي زوجة*

اوزيريس او معادله النسائي و نفتيس (نب حت) ربة المنزل هي زوجة ست...

ومن خلال الاسطورة فان حورس ابن اوزيريس كان يحمل كل طيبة ونزاهة وحب ابوه واستطاع حورس دمج اوزيريس و شقيقه ست او استطاع استيعاب النقيضين فتوج ملكا ابديا لمصر فحورس هو العقل الواعي الذي يعرف متى يكون كالنسيم ومتى يكون كالوحش امام اعدائه... و حورس هو تجسيد لرع الشمس المشرقة في السماء و لهذا يوجد رع حر و أخت الشمس المشرقة في الأفق.

اذاً تواجدت ايزيس (زوجة اوزيريس) و (نفتيس زوجة ست) شقيق اوزوريس بجانب المتوفى هو تأكيد لفكرة اتحاد الروح والمادة التي هي اصل خلق الانسان حيث اختلطت روح الخالق العظيم بالمادة لتنجب الانسان الحكيم الواعي أو لتنجب حورس الملك الذي يحكم العالمين الروح والمادة.

اهمية ايزيس الأنثى لعقل الرجل... فان تماثيل عدة اوضحت صورا للملوك بجانب زوجاتهم وقوفا ومقدمين القدم اليسرى عن اليمنى ولكن لماذا ؟

من المعلوم طبيا ان فص العقل الأيسر يتحكم في نصف الجسد الايمن والعكس صحيح فان فص العقل الايمن يتحكم في نصف الجسد الايسر... ومن هنا نستطيع ان نفهم ان تقديم القدم اليسرى هو علامة مصرية لتفعيل

دور فص العقل الأيمن وما اثبتته دراسات المخ والأعصاب ان فص العقل الايمن هو المسئول عن الابداع والعاطفة وربط الافكار والتأمل بينما يعمل نصف العقل الأيسر على الغرائز البشرية والتحفيز في ساعات الخطر والقوة البدنية والاحاسيس الملموسة او الاحساس بالمادة... ويبدو ان فصي العقل يسيران في اتجاهات معاكسة ولكن الواقع انهما يكملان بعضهما البعض، لذا نجد أن ملوك مصر دائما كانوا يُصورون وقدمهم اليسرى للامام للاشارة الى الابداع في عقولهم وكيف ان تواجدت الزوجة كان محفزا للابداع والحب...

قدس المصريون ايزيس في صورة انثى الاسد حيث كانت ترمز لقوة الام وتفانيها في حماية ابنائها ورعايتهم... فالام المصرية تفترس من يقرب ابنائها بسوء... عرف المصريون ان المرأة مخلوق مقدس يحمل قوة لا متناهية تستطيع ان تحصد الارواح ان غضبت كما هو في الاسطورة او تحمي الارض والعرش ان احتوت.

فيأتي تجلي ايزيس في انثى الأسد لانه تجلي لظاهرة التزاوج بين السماء والارض، فانثى الاسد على الارض وفي السماء برج الاسد حيث تكون الشمس في اوج قوتها في الصيف وبالنسبة لدورة الشمس الكبرى فأيضا تكون فأعلى درجاتها عن خط المجرة في برج الاسد... التي قدسها المصريون والعالم القديم اجمع تقريبا وحتى الآن وقد نقلت لكل اسطورة مقدسة انها العذراء حتى الى ادبيات الابراهيميات بما فيها المسيحية، ان

ايزيس وصُفت كعذراء في نصوص الاهرام وهي تطلق على نفسها حسب النصوص انا الام العذراء، وأيضا بمعبد الملك سيتي الاول يعود للقرن الثالث عشر قبل الميلاد بمنطقة أبيدوس وصف لايزيس بأنها العذراء الكبرى او العذراء العظمى.

إنتهت الدراسة العلمية للدكتور زاهى حواس عالم المصريات القدير.

القـرار الجـرىء

هذا هو اليوم التالى للقاء الضابط أسامة الذى فجر بداخلى الحقائق المؤلمة والتى لا تدع أى مجالاً للشك فى حديثه عن حاتم، بل كلها يقين مؤكد لما زوده به زملاء حاتم فى الوحدة التى واجهت الحرب مع الأعداء، كنت أستمع له وأشاهد ما حدث لحاتم كأنه جالس أمامى يحكى لى ويقص علىّ ما تحمله من ألام الحرب وقسوتها والحروق الدامية المؤلمة التى لا علاج لها حتى الآن وما شاهدته بعنبر الحروق بمستشفى القصر العينى.

أمامى الآن صورة واضحة للماضى ولما حدث لأعز وأحب إنسان لى فى الوجود، فالقدر هو الذى ساقه أمامى وفى مواجهتى فلم تختاره أسرتى أو تجمعنا فصول الدراسة أو العمل، القدر هو الذى دفع به أمامى والقدر هو الذى دفع بزميله أسامه لمساعدة شقيقتى أثناء زيارتها الأولى لزوجها بعد التجنيد.

قرأت وإستوعبت رواية إيزيس التى أهداها لى أسامة دون طلب منى ودون أن يعلم مصير حاتم، هذا هو القدر الثالث الذى قَدر أن أتعرف عليه وعلى ما يحتويه، هل القدر الرابع يصبح بيدى ابنيه على ما سبق وعَلمته من أقدار ثلاث إختلطت خيوطها خلال الأشهر الثلاث الفائته.

هل رواية إيزيس الأسطورة والبعض يؤكد حقيقة حدوثها لأن من قام بتلك الأعمال هم سلالة الآلة التى سيطرت على الحياة فى مصر القديمة مصر الفرعونية التى إمتلأت بأشياء غريبة على فكرنا نحن الأحفاد.

لو أن المصحف الشريف أو هذا الكتاب الذى يحوى القرآن الكريم لم يمدنا بتلك المعلومات ولم نقرأه لما علمنا بما حدث للأنبياء والرسل، هل كنا علمنا بما حدث للنبى إبراهيم بأن تأمر النار وأن تكون بردا وسلاماً عليه بعد أن يلقى بداخلها، كيف يُنجب نبى الله إبراهيم بعد أن شاخ وهرم كما أن أمرأته لا تلد كيف يُصبح العبد يوسف الصديق حاكما على كنوز الأرض، كيف تنجب حواء مريم البتول دون زوج، كيف يموت خمسة رجال لأكثر من ثلاث مائة عام ثم تدب بهم الروح، كيف وكيف؟

إذاً هناك أشياء غامضة ولهذا فمن الواجب علينا أن نعتقد فى حدوثها لأنها أشياء متشابه أو تفوقها حدثاً وأخبرنا بها القرآن الكريم، يجب علىّ بل من الواجب أن أصدق ماحدث لإيزيس كأنها حقيقة وليست إسطورة.

لهذا سوف أسلك نهجها ولأكن إيزيس القرن العشرين مقتفية أثر جدتى إيزيس القرن الثالث عشر قبل الميلاد أى منذ ما يزيد عن ثلاثة ألاف عام وخمسمائة عام، سوف أفكر وأخطط للعثور على إوزوريس القرن العشرين وسوف يساعدنى الله بالعثور عليه حيا أو مشوها أو ميتاً.

لقد عثرت إيزيس على إوزوريس ميتاً ومشوها لأن شقيقه (ست) قطع أجزاء جسده أربعة عشر جزءاً ولهذا فإن ضوء القمر يصبح فى أشد إضاءت ليلة الرابع عشر من الشهر العربى كأنه يضيىء لإيزيس ظلام الرفاق والوحشه بضوء الإهى كى يساعدها للبحث عن الحبيب.

لا أنسى فى المكالمة الأخيرة لعائلة حاتم حينما رددت أمه بكل حزن قولها النابع من القلب (لو كنتم إجوزتوا وحملتى كنت ولدتى لى الحفيد إللى هوه شبيه حاتم وإمتداد لوجوده على الأرض ويُسرى عنى وعن جده اللى دايماً يفكر فى إبنه وإبتعد وأهمل أى نشاط أو أى لقاء بالناس ... خلاص الكل حزين حتى الخيول حزينه والأفراس من يوم ما فقدنا حاتم لا فيه ولده ولا يحزنون).

سمعت حديثها بل أنين صوتها وقلت بنفسى : سأعمل كل جهدى لإنجاب الحفيد، نحن حرث الرجال وساكرس كل ما تبقى من عمرى لهذا العمل، دراسة التاريخ ليست للتسلية لكنها عِبر ودروس تستحق السير على منوالها، حاضر يا أم حاتم سوف تعلمين بعد زمن لا أستطيع تحديد ميقاته بأن إيزيس القرن العشرين أو إيزيس ٦٧ سوف تصبح حقيقة لا أسطورة ولأكمل أساطير بنات حواء وأساطير بنات مصر منذ عهد آسيا زوجة الفرعون التى دعت ربها أن يبنى لها قصراً فى الجنة.

إذاً البداية بآسيا مروراً بـ مصر الفرعونية وسنلتقي بـ (حتب، حُورس، إياح حتب، أحُمس، حتشبسوت، تيي، نفرتاري، نفرتيتي، كليوباترا

السابعة) وفى العصر الإسلامى (شجرة الدر) وفى العصر الحديث الملكات (نازلى) و (فريدة) و (ناريمان) هذا بخلاف العلماء أمثـــال (سنية موسى) والرائدات (هدى شعراوى) و (سهير القلماوى).

جميعاً هن بنات مصر الأفذاذ وهذا جزء من كل، ما يجب علىّ فعله الآن خطوتان فى غاية الأهمية، الخطوة الأولى ترتيب كيفية التوجه لسيناء والبحث عن حاتم أو أوزوريس العصر والثانية إقناع أسرتى بما رغبت القيام به.

أثناء عملى المعتاد بصيدلية مستشفى القصر العينى وفى حالات السكون وقلة أعداد المترددين من المرضى فاتحت زميلتى (بدور) فيما كنت أفكر به، فى البداية إتسعت حدقة عيناها الجميلة وكادت ترفع صوتها دهشة لكننى أشرت إليها بالصمت، إستكملت حديثى معها ورويت لها كل نماذج مصر القديمة والحديثة من أنشطة النساء بمصر، ظلت هادئة حتى إنتهيت من روايتى لها ثم تحدثت معى شبه متسائلة :

ـ أعرف من كده إنك عايزه تروحى سينا وتدورى على خطيبك؟

ـ بالظبط، ده كل مناياى وتفكيرى.

ـ أنا عندى فكرة وشوفى ح توافقى عليها وإلا لك غرض تانى؟

- قولى فكرتك يا بدور.

- عندنا فى القبيلة إتفقوا على جوازى من إبن عمى (سلامة) شهر نوفمبر الجاى وعشان كده بعتوا لنا رسالة بخصوص الحكاية دية وإللى وصّل الرسالة طبعاً الصليب الأحمر، كنت ناويه أروح مع سلامة مكتب الصليب الأحمر القريب من هنا والموجود فى الدقى ونسجل أسمائنا وإسم القبيلة وإننا عايزين موافقة الإسرائيليين ونعدى لسينا عشان الجواز، إيه رأيك تيجى معانا وتسجلى إسمك؟

- تفتكرى الحكاية دية حتنفع؟

- ح تنفع بشرط إنك من بنات القبيلة، قبيلة الترابين.

- الصليب الأحمر أول ما أعرفه إنى من بنات الترابين ح يوافق؟

- لا طبعا لازم تقدمى ما يثبت ده.

- إزاىّ؟

إحنا نقدم على أجازة من المستشفى ونكتب أسمينا بالطلب، أنا إسمى بدور عبدالله الترابينى وإنتى إسمك إيزيس حمدى الترابينى وطبعاً دى إجازة

جواز وزىّ ما أنتى عارفه إن كل أماكن الحكومة بالدولة صدرت لهم أوامر بتسهيل حركة أبناء سيناء.

- نجرب يا بدور رغم أنى مش متأكده من الحكاية دية.

هكذا تقدمت مع صديقتى بطلب لإدارة الصيدلة بمستشفى قصر العينى بطلب إجازة ستة أشهر لزيارة الأهل وزينت إسم قبيلة الترابين بإسمى وأصبحت أنا وبدور نحمل نفس الإسم، كنا نخشى أن يكتشفوا تلك الخدعة.

ورغم أن الموظف تحدث بأنه يعلم بأننى أقيم بمحافظة الجيزة وليست عائلتى تعيش وتحيا بسيناء مما دفع بدور لأن توضح له بأن إيزيس إبنة عمها ومن نفس القبيلة وعاشت بعض الوقت مع خالها بالجيزة وسوف تقوم بزيارة الأهل بسيناء وحضور حفل زواجى من إبن عمى سلامة الذى يعمل مترجما بهيئة الإستعلامات.

بعد تردد وقع الموظف وأرسل بالطلبات لرئيس الإدارة الذى وقع هو الآخر ووضع خاتم النسر الذى يحمل إسم مستشفيات جامعة القاهرة على الطلب، أسرعت مع بدور لمكتب الصليب الأحمر بالدقى وتقدمنا بطلب للمكتب نطالب فيه السماح لنا بزيارة الأهل بسيناء والذى سوف يتسلمه مندوب الصليب الأحمر (بتل أبيب) وبالتالى يُرسل تباعاً لمكتب القاهرة

بعد التصديق عليه بالموافقة من الجانب الإسرائيلى، وسوف يحدد لنا توقيت الزيارة ويسمح لنا بالعبور للجانب الآخر من ضفة قناة السويس.

إستغرقت تلك الإجراءات حوالى عشرة أيام خلالها لا أستطيع النوم وكان عقلى فى حالة من التيه وشعرت أسرتى بهذا وكانت الإجابة التى تدور بعقلهم وفكرهم بأن ما أقاسيه خاص بفقد خطيبى الذى ثبت أمامهم أننى كنت أقدره وأحبه بكل مشاعرى وأحاسيسى المرهفة، لقد تغلل حب حاتم فى خلجات نفسى وأحاسيسى وفكرى ولا أستطيع التخلص أو الفكاك من تلك المشاعر أو العثور على البديل أو إستبدال ما حدث.

لقد كانت رواية إيزيس التى أهدانى بها الضابط أسامة هى المنهج والنبراس الذى شجعنى بل وسرت على منواله ولا أعلم لماذا إختار أن يهدينى رواية بهذا الإسم وتسائلت هل لأن إسمى هو نفس إسم صاحبة الرواية أو أنه توارد خواطر لنا نحن الشباب فأعمارنا متقاربة وبالتالى كل تصرف نقوم به يقابله إمتنان وموافقه من الجانب الآخر لأن الموجه واحدة.

فى بعض الأحيان كنت أعتقد بأن أسامة أهدانى الرواية كى أقوم على تنفيذ خطواتها بما يتلائم مع هذا العصر فقد حارب وتمزقت نفسه وشعر بالذل والمهانة لهزيمة الجيش المصرى فى هذا العام الكئيب عام ١٩٦٧ أو عام النكسة الذى مازال يضرب فى نبضات مشاعر المصريين ونشر

الحزن وتعمق اليأس لدى الشعب الذى يعشق الحب والنكات والمرح أصبحت الكئابة هى حال جميع طوائفه.

فى بعض الأحيان كنت أتسائل هل ما قمت به حتى الآن أو ما نويته هو عمل صائب؟ وهل سيقتنع والدايّ بما قررت بما سوف أنفذه، وهل ستُصدق بدور فى تنفيذ وعودها لى بالتعاون ومساعدة قبيلتها لى فى البحث عن حاتم أو أزوريس العصر الحديث.

فى اللقاء الذى تم بالأمس الأول بينى وبين (سلامة) بحضور (بدور) تبين لى أنه شاب مثقف وعلى خلق أبناء البادية وأنه سيعمل كل جهده للبحث عن خطيبى كأنه خطيب شقيقته وإذا كان الله لطيفا به وبنا ومازال على قيد الحياة سوف نعمل كل وسعنا على إستعادته وإعادته لمصر.

مازالت أفكر، هل من الواجب علىّ أن أخبر والدايّ وشقيقتى إيناس لكنى تراجعت خشية الضغط على أعصابى ومشاعرى كما كنت أخشى أن تفشل هيئة الصليب الأحمر فى التصديق على طلب زيارة قبيلة الترابين رغم أنه منذ يومان وصل التصديق لسلامة خطيب صديقتى بدور بالعبور للجانب الآخر من القناة وتحدد يوم الخامس عشر من شهر اكتوبر من هذا العام ١٩٦٧ وسيعبر من مدينة القنطرة غرب إلى مدينة القنطرة شرق لن أقوم بإبلاغ عائلتى بموعد السفر إلا قبلها بيومين كى لا أدع مجالاً للنقاش والحوار.

الإندفاع نحو المجهول

مضت الأيام ثقيلة ووصل بى التوتر بأننى مُقدمة على مجهول وأن أجهزة الأمن المصرية والمخابرات تبحث عنى لما سمعته من أخبار فى تلك الفترة عما يحدث من تغييرات كبيرة فى المناصب الأمنية بالدولة والقبض على وزير الحربية شمس بدران ومدير المخابرات صلاح نصر وإنتحار المشير عبدالحكيم عام.

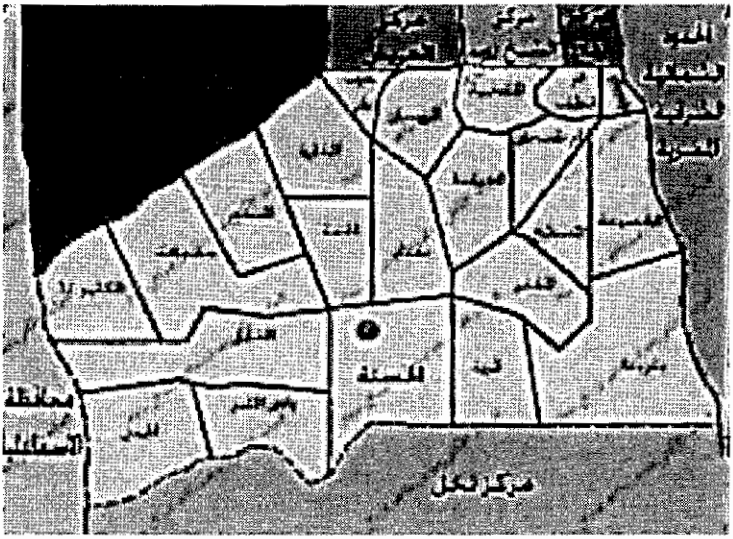

مركز الحسنة بوسط سيناء

أصبح رنين جرس الباب مصدر إزعاج لى، بل وصل الأمر إلى جهاز التليفون الذى يعمل يومين ويمرض أياما طويلة دون حراره أو إتصال ورغم هذا كانت الأمنيات تراودنى من حين لآخر حتى عُدت أحد الأيام من العمل ووجدت خطاب من مكتب الصليب الأحمر فى إنتظارى.

تسلمت الخطاب بين اللهفة والرجفة، هل ما أنتظره يكمن بداخل هذا الظرف المنمق أو أن أحلامى ستقع من أعلى الهرم الأكبر، هكذا فضضت ظرف الخطاب بهدوء خشية أن يخرج منه شىء يدمر سعادتى، كنت أشعر بأننى أقترب من جحر ثعبان خطير وأتلمس الحيطة والحذر.

الاحظ نظرات عيون أسرتى من حولى تراقبنى وأنا فى حالة الإضطراب تلك فضضت الظرف والخطاب بيدى أقرأة بعدم تصديق أعدت قراءه سطراه الإثنان المختصر العبارات للمرة الثانية والثالثة " :

السيدة / إيزيس حمدى الترابين .. مكتب الصليب الأحمر بالجمهورية العربية المتحدة يخبر سيادتكم بأنه تمت الموافقة على زيارة الأهل بسيناء تحت الإحتلال الإسرائيلى وتحدد الموعد الساعة العاشرة يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من شهر أكتوبر بالتواجد بمدينة القنطرة غرب وعلى السيدة إيزيس حمدى الترابين التواجد بعد غد بالمكتب لترتيب أسلوب التحرك وما يتم حمله من أمتعه شخصية.

صمت وجلست قليلاً وسمعت أحد أفراد الأسرة يتسائل عما يحويه الخطاب فتنبهت ونهضت فرحة وقفزت لأعلى مرددة " حصل .. حصل يا ماما .. حصل يا بابا .. حصل يا إيناس " وأسرعت بتقبيل الجميع الذين كانوا فى حالة من الذهول والصدمة لدرجة أنهم فرحوا وضحكوا لسعادتى أقبلت أمى نحوى تربت على كتفى متسائلة عن هذا الخبر السعيد الذى دفعك للقفز والضحك.

لم أرتب أفكارى فقد سبق السيف العزل ونظرت نحوهم موجهة سطور الخطاب ناحيتهم وأردد : خلاص الصليب الأحمر وافق أنى أروح سينا أدور على حـــاتم، كنت أقبل الخطاب وأقبل أمى " خلاص يا ماما ح أشوف حاتم إذا كان فى عالم الشهدا ح أقرأ الفاتحه على قبره وإذا كان حى ح أرجع معاه ونجوز، إيه رأيكم ؟

أسرعت لحجرتى سعيدة مرحة ونظرت فى المرآة فشاهدت نفسى وقد خضبت الفرحة خدودى وعيونى أصبحت لامعة وأثناء هذا شاهدت طيف حاتم باسماً سعيداً وطنين من صوته يردد " برافو عليكى يا إيزيس، عملتى

إلى ما عرفتش أعمله، جاية يا حبيبتى تدورى عليا وتشوفينى، أنا بأحبك خالص وربنا يقرب البعيد، انا معرفشى أرجع لكنى ح أعرف لما توصلى بالسلامة ومع السلامة يا أحب الناس ".

بكيت مرددة " أحب الناس يا حاتم ! أنا أحب الناس ؟ أنت أحب واحد ليا فاكر لما كنت عايز تبوس إيدى، حبيبى وخطيبى عايز يبوس إيدى، فى كتب الأثر والتاريخ عملية بوس الإيد بتكون للملك أو الزعيم أو من العبد لسيده، رفعتنى للقمة وتواضعت ونزلت لتحت، أنا جايه أبوس إيدك سواء شهيد أو مصاب أوحى.

خرجت للصالة ودموعى بعيونى تأثراً لما شاهدته وسمعته من حاتم فشاهدت أمى وإيناس ودموعهم غطت العيون المرحة وأبى هو الآخر بدا الألم على وجه وأصبحت تغطيه بعض تجاعيد لحظية والتى تظهر حين الغضب أو الحزن، سمعت أسئلة كثيرة فى صورة نداءات ورجاء بأن ألغى ما أخبرتهم به معددين المخاطر التى تنتظرنى دون الإلتفات إلى خوفهم والجزع الذى أصابهم من القرار الذى إتخذته، حاولت التوضيح والشرح والتقليل من الأثر المزعج بل والمرعب لهم مستندة لوجود زميلتى وخطيبها من أبناء سيناء والذين سوف يقدمان لى العون والمساندة.

ضاعت جميع توسلاتهم هباء فصمت أذنى وتوقف عقلى بل أن التاريخ توقف منذ الآن وسيبدأ من جديد يوم الخامس عشر من أكتوبر والمتبقى

عليه ثلاثة أيام يتغير حالى من حال إلى حال ولن أظل أسيرة منزلى وعملى أستجدى المعلومات وأدعو الواحد القهار لمعاونتى وهو الذى أمرنا بأن نعمل ونبحث وأن الله هو السند بعد هذا فى قوله تعالى : وقل اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ . صدق الله العظيم.

إتصلت بصديقتى بدور التى شعرت بسعادة طاغية للتصديق على رسالتينا نحن الإثنتان واليوم التالى توجهنا لمكتب الصليب الأحمر وهناك علمنا بالأشياء التى يمنع الإسرائيليون العبور بها للجانب الآخر مثل الأسلحة والمخدرات وأدوات التصوير والتسجيل وسوف نجتمع لدى مكتب الصليب الأحمر فى السادسة من صباح الخامس عشر من شهر أكتوبر.

هكذا أعددت حقيبة السفر الصغيرة التى تحوى متعلقاتى وجلست فترة طويلة مع عائلتى ومن حين لآخر أهديهم بعضاً من مشاعر طيبة تهدأ من توترهم وأننى معزومة على فرح صديقتى وهناك سوف أستفسر عن حاتم وسوف أعود مع صديقتى وزوجها والمسؤلين بالصليب الأحمر يعلمون أننا نعمل فى مستشفى قصر العينى، سنعود لحياتنا بعد أن أكشف كل شىء خافياً على شخصى.

هذا هو اليوم الموعود الذى سيبدأ صباحا بالتجمع لدى مكتب الصليب الأحمر وسينقلنا أتوبيس خاص بالجيش المصرى وعليه حراسه حتى مدينة

القنطرة غرب والتى سوف نصلها قبل التاسعة وهناك يقوم مندوب الصليب الأحمر بمراجعة شخصياتنا بعدها نعبر بلنش الصليب الأحمر إلى الجانب الشرقى للقناة.

لم ينسى مندوب الصليب الأحمر بأن نتقيد بالتعليمات وعلينا ألا نشاكس أو نستفز مشاعر الإسرائيليين بإشارات أو بكلمات، الفوج الذى معنا به الكثير من الطلاب العائدين إلى ذويهم للزيارة والعودة ثانية للجامعة.

وصلنا إلى شاطىء القناة من خلال مدينة القنطرة غرب وهناك فى مبنى إرشاد سفن قناة السويس نزلنا إلى اللنش بعد مراجعة السلطات المصرية والصليب الأحمر لهوياتنا وأحدهم تردد وهو ينظر لكارنيه نقابة الصيادلة بأن لقب القبيلة غير موجود فأسرعت بدور بالتوضيح بأنها هى الأخرى لم تكتب فى كارنيه النقابه لقب القبيلة مكتفين بالأسماء الثلاثة

جلسنا بالقارب وكانت هذه هى المرة الأولى التى أشاهد فيها قناة السويس بعرضها الضخم ومياهها الزرقاء الهادئة الجميلة، إقتربنا من الشاطىء الشرقى للقناة وهناك كان فى إنتظارنا بعض المسؤلين بالصليب الأحمر ورجال من جيش الدفاع الإسرائيلى الذين لم يعرقلوا زيارتنا لاقاربنا

.

كان فى إنتظارنا أتوبيس يحمل شارات جيش الدفاع الإسرائيلى وأمام وخلفه عربات عسكرية للحراسة ولتسهيل المرور على نقاط المراقبة الإسرائيلة التى كانت منتشرة على الطريق الأوسط الذى يتحرك من القنطرة مروراً بالإسماعيلية حتى يصل إلى منطقة القسيمة.

يمر الطريق من خلال جبال ضخمة بدأت بجبل الحلال والذى يقع يمين الطريق أى جهة الجنوب بينما يناظره من الجانب الآخر جبل ضخم أيضا هو جبل المغارة والذى يقع على يسار الطريق جهة الشمال، أعقب هذا جبل لِبنى وهو أصغر من سابقيه حجما ومن جهة الشمال، كل تلك المعلومات إستقيناها من مندوب الصليب الأحمر الذى رحب بنا كثيرا وقام معاونوه بتوزيع الأطعمة والمشروبات علينا.

تعدى الوقت حتى قرب موعد العصر وبدأت درجة الحرارة تخفت تدريجيا وفجأة قرأت يا فطة معدنية توضح الإتجاهات متعددة مكتوب عليها " الحسنة ويافطة أخرى القسيمة وثالثة العريش ورابعة الشيخ زويد ورفح.

أصابتنى الرجفة والفرحة وشعرت بى (بدور) التى كانت لصيقة بى بينما يجلس خلفنا إبن عمها وزوج المستقبل والإثنان يقومان على رعايتى والترفيه عنى وجميع من بالأتوبيس يضحك سعيداً بزيارة أهله التى حُرم منهم فترات طويلة وأبعدت الحرب بينهم ولا يدرون إلى أى وقت تنتهى وبالتالى تنتهى متاعبهم معها.

كان الأتوبيس يقف فى بعض الأماكن وتأتى سيارات صغيرة يستقلها أبناء وبنات تلك المنطقة المرافقين لنا والبعض كان ينتظره جمل أو أكثر هكذا توقف الأتوبيس ونهضت منه كل من بدور وسلامة نحمل أمتعتنا وأمسكت بدور بيدى وهبطنا من السيارة وردد مندوب الصـــليب الأحمر " التجمع للعودة بيكون فى مدينة العريش فى مبنى الحاكم العسكرى الإسرائيلى أو مبنى محافظ العريش سابقاً ".

جلسنا بعض الوقت على الرمال الناعمة نحرك أرجلنا التى تخشبت من طول الجلوس تلك الفترة الطويلة دون حركة، بعد قليل شاهدنا عدد من الجمال تهرول نحونا فتشجع سلامة وظل يقفز لأعلى مناديا على بعض الأسماء حتى وضحت ووصل أمامنا ثلاثة جمال بيضاء اللون.

بعد الترحيب والمجاملات الطيبة أشارات بدور لأحد الشـــباب تحدثه: " صديقتى وأختى الدكتوره إيزيس " جايه تحضر فرحنا وتجدى معانا وجت طيب، رحب بى شقيقها ثم قام بعملية التنخيخ للجمل أى جعله يهبط لأسفل كى نستطع ركوبه وساعدتنى بدور فى الركوب ثم ساعدها شقيقها وتسلم حقائبنا بينما قفز سلامه فوق الجمل الآخر وايضا شقيق بدور وهكذا أسرعت الجمال نحو القبيلة.

كنت فى حالة من الخوف والرهبة من ركوب الجمل الضخم الذى يصل إرتفاعه عن الأرض لأكثر من ثلاثة أمتار والذى يهرول ونحن

جلوس فوقه، كانت بدور تضحك سعيدة وتتشبث بى كى لا اسقط أرضاً مهدئة لتوترى ببعض كلمات طيبة لكن ما لا حظته من أول لحظة لركوب الأتوبيس الإسرائيلى أن جميع من يركب الأتوبيس إستبدل لهجة أبناء القاهرة بلهجة أبناء سيناء وكأنهم جميعا راغبون بالعودة لحضن الأم سيناء.

وصلنا إلى مكان فسيح تحفه أشجار النخيل الباسقة وبعض المبانى البسيطة ومن حولها بعض أشجار العنب وبعض نباتات وكان الشىء الواضح هو كثرة عدد الجمال وعلمت فيما بعد أن هذا هو مقر شيخ القبيلة الشيخ عبدالله الترابين شيخ القبيلة ووالد زميلتى بدور.

شاهدت العديد من النساء بل والفتيات من مختلف الأعمار يرحبن بصديقتى بدور ينثرن عليها كل كلمات المديح والثناء والتهنئة ولم تخلو واحدة منهن بحديثها من كلمة الدكتورة بدور، شاهدت بدور تصطحب سيدة كبيرة العمر وتقدمت نحوى للتعارف :

- زميلتى يا أمى الدكتوره ايزيس جايه ومكلفه نفسها تحضر فرحى.

- أهلا يا بنتى وعجبالك وربنا يهديك عريس زين وصالح كيف عريس بدور سلامة إبن عمها.

- شكرا يا طنط.

ـ بلاش طنط هنا يا إيزيس، الخالة أحسن أو جولى أم زين على إسم خُوى

ـ متشكرة يا خالة أم زين وربنا يتمم بخير.

بعد قليل أقبل الشيخ عبدالله والد بدور وعرفته من هيبته وهيئته والبعض كان يشير بجملة (وسعوا الطريج يا بنات الشيخ جاى نواحينا).

إستقبل إبنته بكل ترحاب وإحتضنها وقبل رأسها ونظر فى عيونها مردداً:

ـ كبرتى يا بدور وبجيتى دكتوره وكلتها كام يوم وتجوزى سلامه إبن خوى سـعيد ربنا يوفجكم وتجيبلنا الأحفاد المتعلمين كيف علامك انتى وسلامه.

نظرت بدور فى وجه أبيها والسعادة بادية عليها وغطت بعض دموع التأثر تلك العيون الجميلة التى كانت أحد أسباب جمال بدور الفاتن والواضح بيننا فى الكلية أشارت بدور إلىّ فتقدمت نحوها وعرفتنى بالشيخ :

ـ صاحبتى يا شيخ، الدكتوره إيزيس جايه مخصوص تحضر فرحنا.

ـ أهلا وسهلا يا بنتى، نورتى سينا وجبيلة الترابين كلها.

ـ شكرا يا عمى وربنا يتمم بخير.

- يا آبا .. إيزيس لها طلب عندنا.

- تأمر وإحنا علينا التنفيذ.

- نبعد شويه عشان محدش يعرف طلبها إيه.

هكذا إبتعدنا بضع خطوات عن تجمع النساء مما دفعهم للتراجع بعيداً بإشارة من الشيخ وتحدثت معه فى ما يخص حاتم والبحث عنه وأخبرته بالمنطقة التى كانت وحدته تحارب بها، نظر إلىّ الشيخ وصمت قليلاً ثم أشار إلى أحد الشاباب بأن يقبل مناديا عليه :

- جرب يا سعدون.

- نعم شيخنا.

- أعفيك من كل مشاغل الجبيلة وتدور على زلمه إسمه حاتم زوج الست الدكتورة زميلة الدكتوره بدور بنتى، جدامك أسبوعين تعرفنى بعدها إذا كان على جيد الحياه أما إذا عرفت أنه نال الشهاده فتعرفنى خلال يومين، أسرع يا سعدون وربنا معاك.

أوزوريس

هذا يوم هام فى حياتى، إنه يوم العشرين من شهر مايو عام ١٩٦٧ مضت الأيام واللحظات سريعة ولم أعد أدرى ما سوف يحدث، هرج ومرج وجنود تتحرك وعربات ولوارى عسكرية نحاول دفعها للسير رغم أنفها ولا تستجيب، سائقين عاجزين عن القيام بالإصلاحات لتحريك السيارات تنفيذا للأمر بالتحرك جهة طريق السويس.

تحركت بوحدتى إلى أول طريق السويس وشاهدت باقى لوارى الكتيبة تقف فى إنتظار وصولى، تأكد رئيس العمليات الرائد خليل تادرس من تمام وصول القوات فأسرع لقائد الكتيبة وأعطاه تمام بأن الكتيبة جاهزة للتحرك واصلنا التحرك، عبرنا للجانب الشرقى للقناة مستخدمين كوبرى للمهندسين العسكريين، تحركنا جهة الشرق، مقصدنا هو منطقة المحور الأوسط من سيناء علمنا بالمهمة الملقاة على عاتقنا، سوف نقوم بعمل خط دفاع ثان للقوات الأمامية لمعاونتها فى الهجوم أو صد هجمات العدو.

هذا هو موقعنا المحدد من القيادة، المرتفعات الشمالية المجاورة لسد الروافع وسط سيناء، إنشغلنا جميعا بإعداد المواقع الدفاعية وإستمر الجنود بحفر الخنادق وإنتشر الضباط للإشراف على أعمال الجنود بعدها تم توزيع الأسلحة بالموقع وتعيينت الخدمات والدوريات.

الثلث الأخير من شهر مايو أقبل بعض الأفراد من جنود الإحتياط للإنضمام على القوات، كان باديا عليهم الإرهاق من طول المسافة من القاهرة إلى محطة الأبطال بمنطقة بغداد غرب مدينة العريش، الوضع العام فى سيناء هادىء لدرجة غريبة مخالفاً بذلك ما كنا نسمعه من إذاعات صوت العرب والقاهرة التى كانت تحث الجنود على القتال وتدمير دولة إسرائيل.

بداية شهر يونيو أسرعت لسد الروافع القريب من موقعى وتخلصت من ملابسى وظللت بلباس البحر الذى كنت أستخدمه فى بعض الحالات لتأدية الألعاب الرياضية، تمتعت بعض الوقت بالمياه الباردة نسبياً بعدها خرجت وجلست بجوار السد فى ظل شجرة التوت الوحيدة أتمتع بالنظر للمياه العذبة التى لطفت من درجة الحرارة للمنطقة المحيطة به.

سرحت بخيالى وعُدت للماضى السعيد ولقائى بتلك العروس الجميلة إيزيس التى شاهدتها لأول مرة بعد توقف قطار أسوان بالقرب من مدينة قنا لإصلاح عطل بمحرك القطار، كانت تلهو مع زميلاتها بالكلية وتبين لى ولزميلاتها بأن لديها نصيب وافر من إدخال السعادة والبهجة عليهن.

ركزت مراقبتى لها وإعجابى بدا بزداد كل عدة دقائق من طريقة محادثتها مع الزميلات بالإضافة إلى ما حباها به الله من مواصفات جميلة تدفعك دون إرادة إلى النظر والتمتع بخلق وإبداع الله وتكوينه فى خلقه.

أثناء لهوها مع صديقاتها لمحتها تنظر ناحيتى وتكرر هذا عدة مرات ثم شاهدتها مقبلة نحوى ومدت يدها بكاميرا التصوير للحصول على بعض الصور الجماعية لها ولزميلاتها، قمت بما تريد وشكرتنى وتركتنى ثم عادت وتنبهت راغبة بمكافئتى بأن منحتنى صورة خاصة بى بين مزارع وحقول الصعيد الخضراء.

الآن علمت إسمها، إيزيس .. إنه إسم على مسمى فقد حصلت على بعض مفردات إلاه الحب والإخلاص لدى المصرى القديم حباً وإخلاصاً للحبيب وللزوج والتى إنتهت بقتله لكنها عملت على إنقاذ حبها له بإنقاذه من بين براثن أعداءه، تأملت لوحتها الجميلة وهى تداعب بأناملها الرقيقة رأس ورقبة الفرسة البيضاء التى رضخت لها سكونا وهدؤا وسعادة بدت على الفرسة بتحريك زيلها من حين لآخر دليلاً على السعادة والرضا بعد أن بدأت علاقتنا بها حانقة مضطربة لما أصابها من إهمال السايس لها.

تكرر هذا الموقف عندما أقبلت لزيارتنا فى قريتنا بجزيرة سعود وحينما هلت على الخيول صهل بعضها وحركت الإناث زيلها وقفزت المهور سعادة وحبا لقدوم تلك العروس الرقيقة.

كنت ألاحظ بعض المترددين على نادى الضباط يسترقون النظر إليها سواء رجال مع زوجاتهم أو نساء وفتيات، كانت إيزيس المعادلة الصعبة

فى الجمال والأناقة وبدا لكل ناظر أنه حاقد على شخصى لفوزى بها أو أنه يقدم لى التهنئة على الفوز بقلبها.

سعدت بخطبتى لها ولمست أناملها الرقيقة وبعد إنتهاء تلك الزوبعة سأعود وألتقى بها نكون أسرة صغيرة تنمو وتكبر يوما بعد يوم وننجب البنين والبنات وأشاهدها تتحرك بدلال فى شقتنا الجميلة وخلفها يحبو الأبناء تقدم لهم كل عناية مشفوعة بالحب والرقة والجمال.

أسرعت الأيام وتيرتها وهذا هو يوم الفصل، الخامس من شهر يونيو وبدأت الحرب بقصف مدفعى طال حدود موقعنا الأمامى وبدأ تصحيح الضرب حتى وصل إلى مواقعنا وتبادلت وحدات المدفعية القصف وأقبل سلاح الجو المعادى وامطر وحدات مدفعية الميدان بقنابل شديدة الإنفجار إضطرت على أثرها الصمت والسكون مما يعنى تدميرها.

أقبلت الطائرات تهاجم مواقع المشاة بالرشاشات أولا ثم بالقنابل وحدثت مقاومه لهم من قواتنا فألقوا بعبوات حارقة شاهدت بعضها فى القصفة الأولى، وفى القصفة التالية شاهدت طائرة تتجه نحو موقعى وتحيرت ماذا أفعل وتأكد لى أننى هدف محقق لهم لأن الطائرة كانت تطير بارتفاع منخفض فوق الرؤوس العارية من طائرات تحمينا.

ألقت الطائرة بعبوة حارقة إنفجرت وتطايرت لقطع من اللهب طالت العديد من رجالى الشجعان وبعض رزاز طالنى لكنه رزاز قاتل، شعرت بأن جسدى فوق نار الشواء وصرخت مثل جنودى لكن صراخى إستمر لأن جنودى لفظوا أنفاسهم من المرة الأولى فقد إحترقت الأجساد وأصبحوا مثل قطعة من البلاستيك وضعت فوق النار.

تقلبت على ظهرى وكنت أشعر بأننى أقفز من شدة الألم حتى وصلت لبعض الكتل الحجرية الضخمة التى كنا نسرع إليها هربا من ضوء الشمس أقبلت الطائرة للمرة الثالثة وتبين لى ان الطيار يراقبنى ويعلم من أنا فألقى بعبوات حارقة فوق الكتل الحجرية لكن لم يطلنى منها غير درجة حرارة مرتفعة ودخان يتصاعد من اللهب المشتعل.

تركت الطائرة ساحة المعركة وتأكد لها أنها أجهزت علينا حرقا وتقتيلاً سكن الموقع ولم أعد أسمع صرخات أو آهات لكننى كنت أشعر بآلام لا أستطيع وصفاً لها وتبين لى أن الإصابة لحقت بجزء من أعلى الظهر وساقى اليمنى لكن باقى جسدى لم تطله النار وظل وجهى كما هو وحمدت الله حتى أستطيع النظر والسمع والتحدث.

اليوم لثالث شاهدت بعض جنود العدو من المشاه يجوبون الموقع لمشاهدة من بقى على قيد الحياة، كنت أسمع من حين لآخر صوت طلقات رصاص وتبين لى وأنا فى هذا المكان أن بعض جنودى كانوا فى النزع

الأخير يطلبون العون والنجدة والبعض طلب إطلاق الرصاص عليه كى يتخلص من آلامه المبرحة.

لم يفكر أحد من جنود الأعداء بأنه بين تلك الكتل الحجرية الضخمة أحد من المصريين مصاب أو مختبىء وإلا لأسرونى أو أطلقوا على شخصى النار، غادروا الموقع وأقبل اليوم الرابع ومازلت أقاسى آلاماً مبرحة وتنبهت بان جنودى كانوا أشجع منى وطلبوا الخلاص من تلك الحياة المؤلمة، رجوت الله أن يرسل لى بمن يطلق علىّ رصاصة الرحمة كى تزول عنى تلك الآلام المبرحة.

اليوم الخامس دون طعام وماء وآلام شديدة الصعوبة لأن حروق النابالم بمضى الوقت عملت على جفاف الجلد الذى تشقق وانكمش مما يؤدى لأن يشعر الإنسان بشىء يمزق جسده بالإضافة لألام الحروق، قبل نزول ستارة الليل الحزين على جنود مصر بسيناء سمعت وشعرت بالبعض قادم فشعرت بأن النجدة وصلت وسوف أطلب من الجنود قتلى مثل ما حدث مع جنودى.

تبين لى فيما بعد بأنهم بدو من سيناء وسمعت الدعاء لله بأن يتغمد هؤلاء الشهداء برحمته، قرروا عمل حفر لمواراة جثامين هؤلاء الرجال حاولت الحركة لكن جزء من ظهرى إلتصق بقطعة من الصخور فصدرت منى

إستغاثة مؤلمة تردد صداها بين جبال سيناء وسمعت الرجال تتحدث والأقدام تتجه نحوى.

إستطاع البعض الولوج بين الصخور وفحص حالتى وأخبرهم أحدهم بأن الدفعة ظهره حرقه النابالم وإلتصق الجلد بالصخر وبالتالى أى حركة تدفعه للصياح، تناقشوا فيما بينهم وأحدهم ردد عبارة بأن هذا أصعب موقف يقابلونه منذ بداية الحرب أثناء البحث عن المصابين لمساعدتهم أوالشهداء لدفنهم، طلب منهم التفكير لإيجاد حل لتلك المشكلة.

قرروا أن يقدموا لى بعض الخمر من عرق البلح شديد القوة الذى يذهب بعقل ومشاعر الإنسان كأنه مخدر بعدها يعملون على تخليصى من تلك الحالة التى وقعت بها، لم يصمت الرجال وأحدهم أحضر لى ماء للشرب وكنت أتناوله لا أعى ما أقوم به من شدة العطش ومن شدة الحرارة التى بخرت الكثير من ماء الجسم.

عادت بى الذاكرة لنصف ساعة مضت والبدوى يخبرنى بأن حظى طيب فلم تقترب الحروق من منطقة ما بين الفخذين وإلا حرمتنى من الإنجاب، لا أعلم منظر ظهرى وكيف أثرت به الحروق لكنى شاهدت ساقى الأيمن وأصبح لونه بنياً وبه بعض الكتل من الجلد بل تشقق الجلد وأشعر بألام عندما يأتى تيار من الهواء البارد ليلاً.

أتسائل : هل ستظل إيزيس حافظة للعهد، وهل من المعقول أن أعود للجانب الغربى من القناة بعد أن أخبرنى بعض الرجال بالهزيمة المدوية للجيش وبأن الجيش الإسرائيلى وصل إلى ضفاف قناة السويس الشرقية.

يجب علىّ الإعتراف بالواقع المؤلم، الحقيقة الأولى أننى سوف ألقى حتفى بعد عدة أيام من جراء إصابتى بحروق دامية أشعر بها وأقاسى الآلام، ومن المحتمل فى أحسن الأحوال أن أظل على قيد الحياة وأجلس عاجزا لا أستطيع الحركة لأن ساقى اليمنى تيبست ولا أشعر بها وبالألم محدقة مؤلمة إذاً لا أمل وإيزيس سوف تستنتج بأننى لقيت حتفى من جراء الهزيمة التى تحدث بها هذا الرجل الساكن أمامى وما شاهدته لجنودى الأوفياء بأن تم قتلهم حرقاً وهكذا سوف يعلم الشعب المصرى بما حدث لنا.

إيزيس أعطيك العذر وحمداً لله إننا لم نتزوج ولم تحملى أو تنجبى وإبدأى حياة جديدة مع شاب صحيح معاف ونحن وجنودى أتينا للحياة كى ندافع عن الوطن ونفشل ونلقى حتفنا حرقا وتشوها.

صـــبر الجمـــال

الشيخ بركات : تجمع الرجال من حولى وطلبت من أحدهم الإستعداد لعلاج هذا الدفعه والذى أصبح قدره بين أيادينا والشافى هو الله وبدأنا فى التنفيذ بين دعاء البعض ومراقبة البعض للمكان حتى لا نفاجأ بقدوم الإسرائيليين وتحدث مشكلة كبيرة معهم بأننا نساعد الدفعة الجرحى لأن هذا مرفوض من جانبهم لأنهم يتركوا الجريح حتى الموت أو تلتهمه الحيوانات.

بإستخدام خوذة حديد من المتناثرة بالموقع وضعت الملح وعليه بعض الماء ثم غسلت الجرح بهدوء مرة وراء أخرى وفى كل مرة تقل كمية النزف حتى إنعدمت تماما ثم وضعت بعض مسحوق الشيح البابون على الجرح حتى يجف ويتطهر من أى تلوث وكان لمشروب عرق البلح فائدة.

حملنا الشاب بهدوء وركب أحد الرجال الأقوياء الجمل ونام الشاب على بطنه فوق ساق الرجل وسرنا بهدوء حتى أول خيمة إلتقيناها بطريق العودة، سُجى الشاب بداخل الخيمة على بطنه وبقطعة قماش لينه وبهدوء مسحت على الجرح بزيت الخروع أكثر من مرة كنت خلالها أشاهد تشرب الجلد واللحم الحى بالزيت، بعد نصف ساعة أعدنا الدورة، استضافنا أحد رجال القبيلة الشيخ عتمان ولديه قطيع من الأغنام وطلبت منه بعض اللبن لغذاء الدفعة فأسرعت زوجته بحلب إحدى إناث الماعز وأحضرت لنا كمية منه وظل أحد رجالى يضع اللبن فى فم الدفعة بجرعات قليلة بفمه .

الليلة التالية كانت الشابة (وجدان) إبنة عثمان هى المسؤلة عن الدفعة أفادت مادة كريم التجميل التى أتى بها أحد الرجال فى شعور الدفعة بالراحة وكان دائم الحزن حين النظر إلى ساقه المصابة التى تبين لنا أنها سوف تصبح عاهة مستديمة لا تساعده على السير ولابد من الإعتماد على عكاز أثناء السير ومازال أمامه وقت طويل حتى يصل إلى تلك المرحلة.

أفادتنا (وجدان) كثيراً فى علاج الدفعة، كانت تتفهم أمور كثيرة فى عملية تطهير الجروح وأيضا فى عملية توزيع الزيوت على الأماكن المصابة يضاف إلى هذا أنها كانت فتاة طيعة تتجازب أطراف الحديث مع الدفعة لتقارب الأعمار بينهم وتشجيعها له وحديثها المتفائل الذى ساعده على التحدث وتناول الطعام بل كانت تساعده على النهوض كى يسير بضع خطوات مستخدماً ساقه المصابة.

حـــاتم : تنبهت لمن حولى وتأكد لى أننى مازلت على قيد الحياة، أحاط بى العديد من رجال سيناء الأوفياء الأقوياء أصحاب المروؤة والشـــــــــهامة وعلمت أنهم من قبـــيلة (الترابين) وهذه منطقتهم ودائرة سيطرتهم كبيرة وتلك عشيرة من ضمن العشائر الكثيرة للقبيلة.

بدأت أشعر بأن ألام الظهر خفت رويداً وألام الساق اليمنى أيضاً، لكن ساقى أصبحت مشوهة، كانت أشبه بجزع شجرة إحترق ساقها وإقترب من

اللون البنى الداكن كما أن ملمس الساق خشن وفى بعض الحالات أشاهد قشور تتساقط منه خصوصا أثناء الحركة.

مازلت أرتدى الجلباب السيناوى بعد أن خلصنى الرجال من الملابس العسكرية أما عن أوراقى الخاصة والتى تثبت بأننى ضابط بالجيش المصرى فقد تخلصوا منها خشية الأعداء، أشاهد الفتاة التى تقوم على رعايتى وتمريضى، إنها فتاة صغيرة السن لم تصل بعد العشرين من عمرها تذكرنى فى بعض الأحوال بخطيبتى

تساءلت إحدى المرات هلى سأظل متواجداً هنا وسألت الفتاة والدها الشيخ عتمان الذى أقبل وأخبرنى بأنه من الأفضل لى البقاء عدة أشهر كى يستقيم حالى وأنجو من أثار الإصابة وتأكد لى من حديثه بأنه مازال أمامى بضعة أشهر، كنت فى حالة من الضيق، أجلس نهاراً بالخيمة أنام وأصحوا وأتناول طعاما مكرر يوميا يعتمد على ألبان الماعز أو الجبن .

سئمت تلك الحياة لكن ما هو البديل كما أن (وجدان) فتاة طيبة لا تجيد فتح موضوعات للحديث ولا بد لى من البدأ وفى كثير من الحالات لا تستطيع الإجابة وتستبدلها بالإبتسامة أو الضحك كما أن أمها تتركها طول الوقت بالقرب منى تنفيذاً لتعليمات أبوها الشيخ عتمان، شعرت بأننى مراقب وعينوا علىّ حرس نسائى جميل، أشعر بأننى مكثت فى ضيافة الشيخ

عتمان قرابة ثلاثة أشهر ورغم شعورى بالتقدم نسبيا فى العلاج بإشراف وعون (وجدان) وخالجنى شعور بالإحراج من تكليفها بعلاجى.

أرغب فى العودة لحياتى الطبيعية لكن ما باليد حيلة، ماذا أفعل؟ توقف تفكيرى ولا تساعدنى حالتى الصحية خصوصا ساقى اليمنى التى أسير عليها وكأنها قطعة واحدة فلا تنثنى الركبة كما فى السابق وأشعر بالتعب والإرهاق لأقل مسافة سير أو حين الجلوس والراحة.

تمضى بى الأيام حزينة تعيسه لا مستقبل أمامى، لقد أصبحت قعيداً كسيحاً وغادرتنى بهجة الشباب وعنفوانه، لقد ضاعت منى تغاريد الحب ومن إختارها قلبى لتصبح رفيقة حياتى وأم أبنائى، يهيم بى الشوق وأكاد أصرخ من الألم النفسى للبعاد عن حبيبة قلبى إيزيس، قبل منتصف الليل كان أحد البدو يستمع للراديو ورغم هذا فلم أهتم بما يسمعه لكننى فجأة تنبهت لما يسمع وخفق قلبى لتلك الأغنية المعبرة عن حالى

أحن إليك تقول لـــي علـيـك دمـوع عينـــي

نمت حزينا كسيراً بعد أن أصبحت عاجزاً لا أقوى على الحركة أو حتى على الإعتراض ولا استطيع طلب ما أبتغيه من طعام وشراب، لقد أصبحت سجينا بلا قيود وحراً بلا حراك وصامتا رغم عدم تكميم الأفواه وشعرت وقتها بأن الموت شىء عظيم يريح الإنسان من مصائب الدنيا.

شعرت بأن شباب جيلى من أبناء مصر كتب عليهم الحزن والألم والموت حرقا أو أشلاء لا يقوم على أحد بمواراة جثمانه التراب والصلاة على اروحهم الطاهرة التى لم تسعى فى الدنيا فسادا ولا غشا وخداعا فما زالت النفس البكر العذراء طافية على صفحة القلوب البيضاء لا تبغى سوى السعادة والفرحة والعثور على النصف الآخر شريكة الحياة.

عصر اليوم التالى الذى لا أعرف له تاريخ أخبرنى الشيخ عثمان بأنه وأسرته سوف يتغيبون عدة أيام لزيارة أحد شيوخ القبيلة لزواج إبنته وسيقام العُرس بمقر شيخ القبيلة ولهذا فهو يعتذر لتغيبهم عنى تلك الأيام.

شعرت بالجزع والخوف وتساءلت كيف أدافع عن نفسى وأنا على هذا الحال فإبتسم قائلاً بأنه سيترك الكلاب من حولى للحراسة ولا تخف فتلك المنطقة آمنة، شكرته وطلبت منه أن يضع بعض الخبز بجوارى وعبوة بها ماء، شاهدت الدهشة على وجهه وتسائل لماذا كل هذا ووجدان إبنتى بجوارك فهى لن ترافقنا.

شعرت بالسعادة لوجود ونيس وبالحزن لحرمان تلك الفتاة من حضور الفرح وتسائلت هل لأنها مازالت صغيرة لكنها أسرعت وأعلنت أنها أتمت تسعة عشر عاماً، خلا المكان وساد الهدوء وسمعت صفير الرياح التى تنبعث من بين الجبال والصخور عندما تخترق الفتحات والثغرات بها، هكذا ظلت وجدان جليسه معى لكنها لا تجيد الحديث.

وجـــدان : بعد أن غادرت عائلتى المكان قررت الحصول على حمام ساخن يزيل عنى آثار الحرارة ويترك بصماته علىّ ولأتعطر ببعض عطر المناسبات التى نستخدمها حين زيارة بعض العائلات، الحمد لله بعد أن حصلت على حمامى المفضل وأزلت عن جسدى الجميل بعض آثار العرق لحرارة شهر أكتوبر أشعر بأننى عُدت لرونقى أتحسس بشرتى وبدنى وأشعر بنعومتها، أشعر بأننى أندفع فى مشاعرى نحو هذا الشاب ومازال حزيناً لما أصاب ساقه وظهره الذى بدأ يتحسن بعض الشىء .

أعتقد بأننى أحمل له بعض مشاعر حب ورغبة بالتقرب منه، هذا هو السبب فى كل هذا، أرغب بمعرفة مشاعره نحوى وأريد أن أختبر تلك المشاعر فقد واتتنى فرصة طيبة بخلو المكان من عائلتى لعدة أيام لن تقل عن ثلاث ليال سوف أمكثها بجوار هذا الشاب أطببه وأختبر مشاعره التى أخبرتنى بها بعض صديقاتى حين ترتبط الواحدة منهن برجل تتقبله.

أثناء حديثى مع هذا الشاب أشعر بأنه مهذب ويتصرف بطريقة تخالف شباب العشيرة والقبيلة، أسلوبه فى الحياة يدل على مستوى عال من الرقى والمكانة وأعتقد أنه من عائلة طيبة مثلما ننظر نحن لأبناء شيخ القبيلة ونقدرهم ونشعر بأنهم أفضل درجات منا.

تـوتـر وإنتظـار

دكتور حمـــدى :

مضت ثلاثة أيام منذ سفر إيزيس إلى سيناء ونفذنا تحذيرها بألا نخبر أحد بذلك ولنستبدل حالة التغيب تلك بأنها مكلفة بالعمل بمدن القناة لإستقبال الجرحى العائدين من سيناء، كان هذا الرأى صائباً لكن مازال التوتر يخيم على الأسرة وبالأخص أمها التى دائما ما تتذكر تصرفاتها وأحاديثها المرحة التى كانت تملأ علينا المنزل سعادة وتفائل.

إبنتى إيناس قد تضع طفلها الأول الأسبوع القادم كما أفاد الطبيب وزوجها أشرف، قامت قيادة الجيش بتوزيعه على أحد الوحدات العسكرية بمنطقة الهايكستب القريبة من طريق السويس وتقع شرق مطار القاهرة.

إيزيـــس : قضيت قرابة الأسبوع بين حب وحنان ورعاية بنات القبيلة وعائلة زميلتى بدور وكانت الأفراح تحيط بنا من كل جانب وكل يوم يأتى يقبل العديد من المدعويين من عشائر القبيلة زائعة الصيت، أشعر بأن جموع الناس تزداد عددا ويقوم رجال القبيلة بإعداد الخيام للقادمين كما تقوم كثير من العائلات بإعداد الطعام للمدعوين وعائلاتهم.

سألت بدور رغم إنشغالها بالزفاف عن الرجل الذى كلفه أباها بالبحث عن حاتم، تنبهت وقدمت أسفها لإنشغالها بالفرح والمدعويين القادمين من مناطق كثيرة بشمال ووسط سيناء وإستدركت بأنها سوف تنتهز أى فرصة يخلو فيها آباها من لقاء الأقارب والمدعوين لتسأله عن أى أخبار وصلته بخصوص حاتم.

***

شعرت إيزيس بالمتعة من الجلبة والضوضاء التى أحاطت بها وإقتربت كثيراً من بنات ونساء شمال سيناء وقبيلة الترابين التى تشكل نسبة كبيرة من الشعب المصرى بسيناء، حدثت صداقات بينها وبين بعض الفتيات القريبات منها فى العمر وبعض السيدات الصغيرات اللائى تزوجن منذ أعوام قليلة.

أقبلت بدور على إيزيس تخبرها بأن هناك ضيفاً قريب لهم ولديه بعض معلومات عن بعض الشهداء والمصابين الذين كانوا فى الموقع العسكرى التى تحدثتى فيه مع والدى ولهذا سنتوجه إليه ونلقاه ونتحدث معه .

إيزيـــس : أسرعت أعدو خلف بدور وعبرنا الأرض الفضاء التى تفصل أماكن معيشة النساء بأماكن الضيافة حتى وصلنا إلى خيمة كبيرة فشاهدنا والد بدور الذى نهض مرحباً وسار برفقتنا إلى داخل الخيمة حيث كان هناك أحد الرجال وطلب منا أن نجلس ثم فاتح الرجل فى الحديث :

ـ شيخ عتمان، الـعَّب (المنطقة) نواحيكم كانت فيه وحده عسكرية وحدث عليها هجوم من الأعداء والست الدكتورة زميلة بنتى بدور خطيبها كان بالوحدة دية، تعرف حاجه حصلت هناك؟

ـ والله يا شيخ كان فى موت وحرايج يامه من اليهود وإللى عملوه فى الدفعة بالجرب من عشيرتنا يدوب مسافة سير ساعة ونص لكن كنا نسمع فرجعة الجنابل ودخان الإنفجارات نشوفه جاى من ناحية سد الروافع، هيا دية الحته إللى بتجول أن الست الدكتوره كان خطيبها بيحارب هناك.

ـ تفضلى يا دكتوره وجهى سؤالاتك للشيخ عتمان.

ـ بأسأل عن خطيبى كان فى الحتة دية وعرفت أن اليهود ضربوا المواقع هناك بالنابالم.

ـ الله ينور طريجك، والله ده إللى حُصل وشفناه وعَيناه، حاجه كده ولا جهنم لكن مجولتيش خطيبك إسمه إيه وكان رتبة ولا دفعه.

ـ خطيبى كان ظابط بتلات نجوم يعنى نقيب وإسمه حاتم.

والله ما عَدى علىّ هذا الإسم وكمان مشفتش ظباط لكن لما أخلص الفرح فيه دفعه حدانا فى الدار محروج وبيتعالج وكان من الوحدة دية ومكنش حاطط

رتب على كتفه ولحد دلوجتى ما تعرفت على إسمه، أرجع وأتعرف على إسمه وإن كان هو ح أعرفكم وربنا يبرد جلبك على جوزك.

هكذا شعرت بالإقتراب من الوصول للهدف ولم يمضى على وجودى سوى أسبوعين، أردد يارب يكون هوه حاتم ولو كان محروق زىّ ما الشيخ عرفان بيقول مش مهم لكن المهم أنه يكون فيه الروح فيه النفس ولو حصل لا بد أن أحقق أمنية أمه بالحصول على الحفيد قبل أن يلقى ربه وإذا كان قادراً على العودة معى فهذا شىء طيب، يارب أسترها وكمل عطفك علينا.

كبير الطحـاوية بجزيرة سـعود:

مضت أكثر من أربعة شهور ولا حس ولا خبر عن فقد إبنى، ماذا أفعل يارب؟ المتهم فى جناية بيعرفوا أهله بالسجن المتواجد به ويصرحوا له بالزيارة وأبنائنا ذهبوا للقتال ولم يعودوا ولم نعرف مصيرهم، من المؤكد أنه لاقى ربه مثل الألاف الذى أسمع عنهم، نعرف ماذا حدث وعزائنا أنه ضحى فى سبيل الوطن ولقى الشهادة ولم نشاهد الجثمان ولن نستطيع زيارة قبره مثل أى إنسان على قدر حاله، إتصلت أم حاتم بأسرة خطيبته وتبين لنا أنهم لا يعلمون أى شىء وأنهم يبحثون فى كل مكان وليس لهم أقرباء بالجيش كى يقدموا لهم العون حتى أن خطيبة حاتم وافقت على العمل بمنطقة القناة الخطرة كى تقترب من قيادات الجيش لتعلم أى أخبار عن خطيبها.

!Error

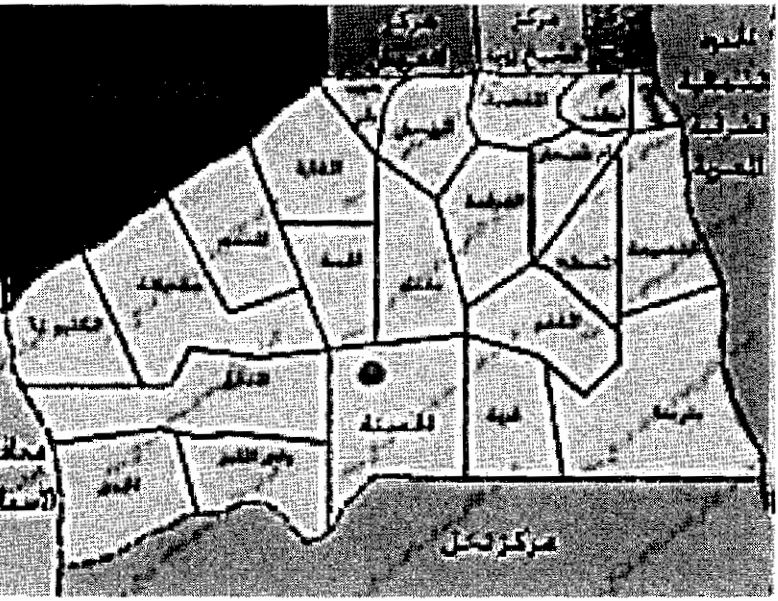

خريطة مركز الحسنة

ساظل ساكنا بالبلدة ولن أقوم وألف وأدور على القيادات العسكرية كما طلبت زوجتى، فأشقاء حاتم بحثوا فى كل مكان وكلت أقدامهم بحثا وسؤالاً وإستفساراً دون جدوى، بل كل فرد من أقاربنا له صداقات بضباط بالجيش توجهوا لهم للسؤال والإستفسار وعادوا دون أى شىء كأن الأرض إبتلعت إبنى الحبيب، عليه العوض ومنه العوض وكما قالت أمه لو كان قد تزوج

وأنجب لسهلت علينا الحياة بالتمتع بذريته وإستكمال حياته بعد أن إنتقل إلى جوار ربه.

إيزيـــس :

أنتظر بداية الفرح والإنتهاء منه لأن الشيخ أبو عثمان أخبرنا بأنه بعد الإنتهاء من الفرح سيعود بأسرته إلى مكان معيشتهم وهناك يتحفظ على أحد الجنود الذى إستطاع إنقاذه مع رجاله ويسألونه أين النقيب حاتم، إذاً نحن مرتبطون بموعد الزفاف وإنتهاء الإحتفالات حتى تعود العائلات من حيث أتت بعد حضور الفرح.

وجـــدان :

بعد أن أسدل الليل ستارة الأمان توجهت للدفعة لإيقاظه ولأرى ما يخبئه لى القدر ، ـ دفعه .. أنت يا دفعه .. على فكره إسمك إيه؟

ـ حاتم .. إسمى حاتم.

ـ عاشت الأسامى ، بس أحذرك متعرفشى حد بإسمك دلوجتى اليهود بيدورا على العساكر الحلوه إللى زيك.

ـ عساكر حلوه .. أنا ظابط .. عارفه ظابط يعنى إيه؟

ـ مش عارفه لكنى بأسمع البنات بيجولوا أن الظابط ده حاجه كبيره بيجى كده زى جمال عبدالناصر، مظبوط حديتى؟

ـ أقل شويه من جمال عبدالناصر ولما يكبر يمكن يكون زيه.

ـ طيب نام عشان أدهنلك ضهرك زى كل يوم.

حـــاتم : هكذا قامت الفتاة الجميله بعملها اليومى، إنتهت وجدان من عملها الذى إستمر قرابة الأربعة أشهر، أقبلت بوعاء الطعام وجلست بجوارى تحاول إطعامى بَغرف الطعام بأصابع يدها وتضعها فى فمى مثل ما تفعل الأمهات مع الأطفال الصغار، كانت لصيقة بى، وضعت الإناء بجوارها وإلتفتت قليلاً نحوى تنظر فى وجهى مركزة نظرات عيونها بعيونى أعقبها تسائل بصوت حنون خفيض الدرجة كأنه همس:

- حاتم موافج أنك تعجد علىّ

- زى ما أنتى شايفه أنا مصاب ولسه العلاج قدامه مده، يعنى لسه الدنيا ملخبطه يا وجدان.

- متجولشى كده وإذا كنت خايف إن إصابتك تمنعك من الجواز زى الرجاله السُلام فأنا عرفت من بُوى وهو بيكلم أمى أنك بخير من الناحية دية.

- يعنى إيه يا وجدان؟

- إنك لو جوزت حتبجى زى باجى الرجاله، يعنى ح تخلف فهمت وإلا لسه؟ فهمت شويه على قد مخى لأن الضربة كانت شديدة، وإزاى ح تشوفى رجلى المحروقة دية وضهرى كمان، دى حاجات تنفر أى إنسان.

- سيبك من الكلام ده، أنا ريداك وأنت رايدنى ولا كارهنى؟

- لا طبعا رايدك ويكفى أنك بقاللك مدة طويلة بتعالجينى، معروفك فوق دماغى من فوق.

- طيب خلى المعروف ده يعرفك أنى عايزاك تفاتح بُوى وأنك رايدنى وناوى تدخل بيا، أنا محتاجه راجل يا حاتم، المنطجه هنا صعب العيشه فيها لأى وليه من غير راجل، اسمك من اليوم مصطفى ؟ عشان بأحافظ عليك فى الأيام الجايه وح تعرف أن وجدان كانت فاهمه الدنيا ماشيه إزاى، بكره يا مصطفى ح تلاجى نفر وإلا إتنين بيسألوك عن إسمك وبلدك بمصر تعرف ده معناته إيه؟

- معناته إيه؟

- أن اليهود ح يوصلوا لك لما يعرفوا إسمك وبعد كده ح يحصلك حاجه من إتنين .. يا يسجنوك لحد ما تجب بالمعلومات إللى عايزنها يا يموتوك برصاصة واحده فجط.

- إيه الكلام ده؟ جيبتيه منين؟

- الكلام ده سمعت بُوى بيكلم أمى كام مره عن حاجات زى إللى بأجولك عليها وحصلت، خليك مصطفى وبس ومتدخُلشى فى كلام مع الناس، جفل على الحديت معاهم وأنك لسه مرضان وتعبان.

- حاضر يا وجدان وشكراً على مشاعرك وتعبك معايا.

- فكر فى حكايتى، أنا ريداك يا ابن الناس .

- أنتى ريدانى وأنا رايدك .

- بأدعيلك فى كل صلاة أن ربنا يزيح عنك وتخف وتبجى زلمه زين، كل ده مش كفايه أنك تحط حصوة ملح فى عينك وتجرى ورايا بالمشوار.

- حاضر يا وجدان .. ريحى نفسك وإحنا مع بعض والأيام جايه .

سـلامة : هذه ليلتى وحلم صباىّ، تلك هى ليلة الزفاف على عروسى الجميلة ابنة عمى بدور، تلك العروس التى نشأنا معاً أطفال صغار نلهو ونلعب، كنت أعلم أن بدور هى زوجة المستقبل فقد إتفق الأباء على هذا الفعل وتصدق عليه من العائلتين بل إن الكثير من أفراد القبيلة تلك عقيدتهم وأصبح هذا التقليد من الأمور الشائعة، الزواج من إبنة العم أو العمة أو الخال أو الخالة، من وقتها علمت إنها نصيبى وأنا نصيبها.

كانت فترة الدراسة بالقاهرة ممتعة ورغم أن بدور تقيم بالمدينة الجامعية للطالبات وأنا أقيم بالمدينة الجامعية للطلبة بحى بين السرايات إلا إننا كنا نلتقى فى أوقات كثيرة كل أسبوع تقريبا نقضى يوم الجمعة فى التنزه ومشاهدة معالم القاهرة الساحرة.

الحمد لله أن وفقنا الله ومساء هذا اليوم ستزف بدور إلىّ ونصبح زوجان نقضى بضعة أيام هنا ثم نعود إلى القاهرة لتسلم أعمالنا ونعيش ونحيا فى شقتى التى إستأجرتها لهذا الغرض بمنطقة المهندسين، يجب علىّ ألا أنسى الوعد الذى قطعته على نفسى بمساعدة صديقة بدور فى البحث عن خطيبها.

لقد مضى أكثر من خمسة عشر يوما ومازلنا لم نتخذ من الإجراءات ما يساعدنا فى العثور على جثمان هذا الشاب الذى راح ضحية الدفاع عن أرضنا كى نعيش حياتنا ولا نشعر بمن ضحوا براحتهم وهدوء الحياة بل البعض منهم فقد حياته من أجل أن نحيا ونعيش فى سعادة وهناء.

الشيخ عثمان:

أقبل الشاب سعدون المكلف من قبل الشيخ عبدالله الترابين وأسر فى أذنه ببعض كلمات نهض بعدها الشيخ وسار خلفه الشاب سعدون وبالداخل بعيداً عن أعين وآذان المتواجدين دار بينهما هذا الحوار :

ـ أخبارك إيه يا سعدون، وترتنى، باين عليك عندك أخبار بارده.

ـ أيوه ياشيخ، الزلمة إللى بتجولوا عليه ملجناش حاجه تعرفنى عليه، سألت كل الناس بتوعنا والشيخ بركات ومحدش عرف حاجه عنه.

ـ ما فيش حد من عشيرتنا جام بدفنه مع الشهدا؟

ـ ابدا يا شيخ لكن الشيخ بركات بيجول أنهم من أكتر من أربع شهور عثروا على دفعه مجروح وجاموا عالجوه وأخده الشيخ عتمان ولما رحت للشيخ دارهم ملجتوش ولجت الصبيه بنته فرجعت تانى.

ـ الشيخ عتمان موجود حدانا وح أسأله لكن ما تجيب خبر لحد.

***

تأكد للشيخ عبدالله أن الشاب الذى تبحث عنه صديقة إبنته لم يتم دفنه وإنما تم أسره أو أنه حى يرزق فى مكان ما ولهذا فمن الممكن أن يخبرنا الدفعه الموجود بدار الشيخ عتمان عن أى أخبار عنه ولهذا سأرسل بأحد الرجال لإستدعاء الشيخ عتمان للجلوس معى هنا.

أشاهد الشيخ عتمان قادماً وسيكون لديه الخبر اليقين.

ـ الدفعه إللى حداك إسمه إيه؟

ـ والله ما أعرف ولا سألناه ولا خبرنا وكل إللى عملناه أننا أخدنا محفظته وخبيتها جريب من دارنا ولا جريت إسمه ما أنت عارف لا بأعرف اقك الخط ولا بأجراه.

الشيخ عثمان :

بعد إنتهاء حفل الزفاف بدار الشيخ عبدالله، اليوم التالى إصطحبت زوجتى وإبنى عائدين إلى موطن عشيرتى وطوال الطريق أفكر فى مصير الدفعه المسكين الذى قررت إبعاده عن الدار خشيه الإسرائيليين لو إكتشفوا أمره تبقى كارثة لأن ردة فعلهم عنيفة، عصر نفس اليوم وصلت للدار وهناك رحبت بالدفعه وطمأنتنى ابنتى على حاله فسألته :

ـ إسمك إيه يا دفعه؟ معرفشى حاجه عنك؟ شاهدت ابنتى تسرع لتجيب.

ـ مصطفى، إسمه مصطفى يا بوى.

ـ عاشت الأسامى يا مصطفى، ومن أى بلد بمصر؟

ـ أنا من حى عابدين بالقاهرة.

ـ كنت بتخدم فى أى وحده جريبه منا لحظة نشوب الحرب.

ـ كنت بأخدم فى اللواء إتناشر مشاه بمفارق الحسنة.

ـ متعرفش حاجه عن ضابط إسمه النجيب حاتم؟

- لا والله، فيه حاجه تخصه؟

- فيه جماعه بتدور عليه، ربنا يسترها، ربنا يجويك وتشفى بسرعة وتعود لأهلك.

إنتهيت من سؤالى وإبتعدت عن الخيمة وجلست أفكر فى هذا الشاب المريض ومن يرأف بحاله، لو عثرنا على واحده تجبل تجوزه يبجى حظه زين، لكن مين ترضى أنها توافج على دفعه نص جسمه محروج وتفضل تعالج فيه؟

وجـــدان :

بعد أن غادر أبى الخيمة نظر إلىّ حاتم نظرة كلها معانى غريبة، كانت نظراته بين التقدير والإعجاب بذكائى ثم تبدلت إلى نظرة حزينة على إثرها نزلت بعض قطرات من عينيه فأسرعت نحوه أضمه إلى صدرى متسائله :

- بتعيط يا مصطفى وأنا ريحك، بلاش بكا وجدان ح تجف معاك للآخر

- ربنا يخليكى يا وجدان، أنتى إنسانة زكيه ومخك سابق عمرك، كل إللى قلتى عليه حصل، فيه ناس بتدور عليا، مين غير الأعداء، عايزين يقتلونى وأخف ضرر الأسر، ح أضيع يا وجدان.

- متخافش يا زلمة، أنت زين الشباب وحتشوف وجدان ح تعمل إيه، المره فينا لما بتعشج بتسوى الهوايل عشان حبيبها وجوزها ولما يتم المراد ح يكون أبو ولادها ، ناويه أخلف إصغار كتير منك يطلعوا زين وحلوين كيف الجمر ليلة أربعتاشر بتضحك؟ ربنا يبسطك ويسعدك على طول.

- بأضحك على قمر أربعتاشر، طيب أنتى تبقى إيه؟

- جول يازين الشباب.

- أنتى القمر كل ليله وكل يوم، أنتى زهرة سينا المفتحة وعلى فكرة لما بتقربى منى بأشم ريحه كويسه، جايباها منين؟

- دى ريحة زهرة الصبار، بنعصرها على إيدينا ونعبيها فى عبوات فخار عشان تمنع عنها النور تجوم ما تخصرشى، دايماً ح أستعملها عشان تجرب منى، أيوه كده خليك حاطط راسك على صدرى، ربنا يهديك ويتم المراد.

الشيخ عتمـان :

أنتبه عتمان من خيالاته التى هاجمته لكيفية التخلص من الدفعه الذى يستضيفه منذ فترة بخيمة مستقلة بين أهله وتسائل هل من الأصلح طلب عون أقاربه بإستضافة هذا الشاب، من المحتمل أن يخشى البعض هذا فكيف يا عتمان تخشى الإسرائيليين وترسل به إلينا، إن الذى سوف يصيبك

سيصيبنا نحن أيضا، إذاً الحل الأمثل هو التخلص من هذا الشاب بالبحث عن كهف قريب من سد الروافع ووضعه به.

لكن أخشى عليه من الذئاب والضباع والأفاعى وزياره كل صباح له لن تساعده وفى المساء لا يجب علىّ أن أرسل بإبنتى له ليلاً لخطورة الطريق وأيضا كيف يجتمع هذا الغريب بإبنتى فى مكان واحد ليلاً، أنا لا أخشى منه فهو فى حكم العدم من إقترانه بالنساء ولا يستطيع أن يضاجع أى إمرأة وهذه هى المشكلة التى ستقابلنى للبحث له عن عروس.

أشاهد أم الأولاد تنظر إلىّ من بعيد ولا تتحدث ولا تتحرك وهذا يعنى شىء هام حدث لنا أو سوف يحدث ولأشير إليها كى تقترب وتفصح عما بداخلها :

ـ إقبلى يا أم عبدالسلام.

ـ طلباتك يا شيخ؟

ـ مالى طلبات، عرفينى باللى بيدور فى راسك؟

ـ والله يا شيخ البنت وجدان خبرتنى من كام دجيجه بخبر ما هو زين.

ـ ما هو زين، إيش حصل.

- الدفعه وإحنا فى فرح بنت الشيخ طلبها للجواز!

- فسرى كلامك.

- الدفعه مستعد يعجد عليها ولو جه عيل ح يبجى ابن بنتنا ونسعد بيه ونربيه وكمان تاخد كل الثواب إللى عملته فى الدفعه.

- ياه .. تصورى من ساعة كنت بافكر أنى أجوز الدفعه لوجدان لكن جلت البت ما ح تواج عليه، الزلمة نص جسمه محروج.

- فيه ناس يامه بيحصل لها حاجات أكتر من كده وبتجوز وتخلف وربنا الشافى.

- لو حُصل مش ح نعرف إخواتنا وإخواتك ونبعتهم يعيشوا بعيد شوية جريب من بحيرة الميه بسد الروافع ومعاهم الجمل والحمار.

- الحمار بينفعنا ياشيخ.

- أيوه لكن الزلمه محتاج حاجه يجدر يركبها وتسير بيه وما يعرف يركب جمل بحالته دية.

- إللى تشوفه يا شيخ، ح أسيبك وأروح أبشرهم بالخبر المفرح، فرح إمبارح وفرح بكره حدانا.

تركتنى زوجتى أم عبدالسلام وتوجهت للقاء وجدان ومصطفى الشاب الراغب بالعجد عليها وشعرت بالسعادة أن وجدان وافقت على الزواج به رغم أن الشيخ بركات فى بداية علاجه أخبرنى بأن الإصابة لن تقلل من كفاءته للإنجاب

ضـــياع الأمـــل

إيزيـــس :

نقترب من نهاية العام وقد مضى علينا بسيناء شهرين ونصف الشهر أى ما يقرب من خمسة وسبعين يوماً، لم أصل لمعرفة مصير حاتم وتأكد لى أن حاتم فى عداد الشهداء لكنى كنت أرغب بمعرفة مكان قبره حتى أقوم على زيارته ثم أعود من حيث أتيت إلى القاهرة وأتسلم عملى بعد أن ضاع منى الحلم الجميل الذى تفتحت عليه مشاعر أنوثتى فى بدايتها.

كلما جلست مع بدور كانت تتحدث بجمل بسيطة بأن أباها مازال يبحث وكلف العديد من شباب القبيلة لأجل هذا الموضوع ولهذا إتفقت مع زوجها سلامة بأن نأخذ زمام الأمور بأيدينا ونتحرك باكر فى منطقة الحسنة والقسيمة للبحث عن مصير حاتم فأرجو منك تحمل بعض مشاق الرحلة وسوء الأحوال الجوية من رياح وبرودة فصل الشتاء.

أجبت عليها بأننى سأتحمل كل شىء ولاداعى للعناية بى فنحن صديقات وفى نفس العمر وما ستقومين به سأتحمله من أجل أن يطمئن قلبى، وفى الصباح سوف أستعد للقيام بتلك الرحلة والله هو المستعان.

صباح اليوم التالى فوجىء الشيخ عبدالله والد بدور بما قررناه ولم يتحدث كثيراً لكنه أخبرنا بأن الشيخ عثمان لديه دفعه مصاب بحروق وطلبت منه أن يخبرنا بإسمه ومنذ يومين أخبرنا بأن إسمه مصطفى وطلبت من الشيخ عثمان أن يحضر أوراق هذا الدفعه كى نحصل منها على بيانات أكثر قد تفيدنا فى مهمتنا تلك.

قدمت شكرى له وأخبرته بأن فترة تصريح الزيارة مضى نصفها ولنتحرك ونبحث وكل واحد يتحرك فى طريق قد يصل بنا إلى الإقتراب من مصير حاتم رغم تأكدى أنه نال الشهادة ودفن بالقرب من هنا وليكن عزائى وتجشمى تلك الزيارة زيارة قبره وقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة.

تحرك ثلاثتنا مستقلين جملين أنا وبدور على جمل بينما سلامة على الجمل الآخر ومعه الأمتعة التى تقرر إستخدامها فى تلك الرحلة غير المحددة المعالم والإتجاهات، كانت المفاجأة أن صحراء سيناء شاسعة فلا اشاهد سوى صحراء ما بين الممتدة أو الهضاب المرتفعة قليلاً ثم تفاجىء بجبال فى منتهى الضخامة والإرتفاع وذات أحجام غير محددة.

بعد مسيرة نصف يوم توقف سلامة مقرراً بأن تلك منطقة الحسنة ومنها تتفرع عدة طرق للعريش والقسيمة والعوجة للحدود الدولية ولنمضى أولى لياليا بهذا المكان الساحر رغم برودة الطقس الشديدة.

اليوم التالى إستكملنا البحث مع ترك الخيام والمقتنيات بنفس المكان سرنا مسافات طويلة وكلت الأقدام وقامت الرياح المحملة بالرمال بلفحنا بسياط رهيبة من الرمال السريعة المدببة ورغم إخفاء وجوهننا خلف الشيلان الكبيرة المصنوعة من الصوف إلا أننا كنا نقاسى لسعات البرد وذرات الرمال القاسية.

وجـــدان :

أقبلت علىّ أمى باشة الوجه وقبلتنى وأخبرتنى بموافقة أبى على ما طلبته منه بالعقد على الدفعة مصطفى الذى كان جالساً هادىء البال لم يظهر على ملامحه أى إشارات تدل على البهجة او السعادة.

اليوم التالى أقبل بعض الأقارب من الأعمام والأخوال وأخبرهم أبى بنية العقد على الدفعة مصطفى وتبين لنا ضرورة حضور شيخ القبيلة لإتمام العقد فأسرع أبى لإخباره وكنا نتوقع أن يطلب شيخ القبيلة حضور مصطفى إلى مقره لكنه كان حليما يقدر ما يعانيه مصطفى من آثار الحروق التى ألمت به فحضر من أجل هذا وتم العقد فى دارنا.

الشيخ عبدالله ترابين : بعد أن تم العقد بين الشاب مصطفى حسن حمدى ووجدان عتمان ترابين سألت عتمان عن حافظة الجندى التى قام بإخفائها

فنهض سريعا وغاب بعض الوقت وأحضر لفافة صغيرة وناولها لى شاكرا فضله فى تخليصه من تلك الوثيقة.

أخبرت الشيخ عتمان بأن إبنتى وزوجها وصديقتها التى قدمت من مصر غادرا القبيلة منذ أكثر من أسبوع بحثا عن خطيب صديقة إبنتى وحينما أعود للقبيلة سوف أتفحص تلك الأوراق لعلها تدل وتوضح أين هذا الزلمة الذى يبحثون عنه.

اليوم التالى تحرك عتمان مع إبنته وعاونا مصطفى على ركوب الحمار ومعهم الجمل وبعض الأغراض وعدد من الأغنام والماعز وتوجه بهم إلى منطقة سد الروافع وتخير لهم مكانا أمينا ولم ينسى الشيخ عتمان أن يزودهم بإثنان من الكلاب القوية والمدربة على الحراسة ومقاومة الذئاب والضباع.

أقبلت وجدان على مصطفى راغبة به كما أنه شعر بالتحرر من المكان الذى ظل به لأكثر من أربعة أشهر متصلة، كان المكان الجديد امامه مساحة من الرؤيا واسعة وفى نهاية النظر شاهد المياه العذبة التى هى خزين لأمطار العام الماضى.

لم يمانع مصطفى من الإقتراب من وجدان وشعر بسعادة كبيرة فى أول ليلة يقضيانها كزوج وزوجة وشعر بأن وجدان زوجة جميلة ورقيقة وقوية البنية وفى نفس الوقت كانت تراعى ظروفه الصحية ولا تثقل عليه

باللقاءات الزوجية بينهما، فقد شعرت فى اللقاء الأول أن زوجها يحاول إسعادها رغم شعوره بألام لحظية بمنطقة الظهر.

مضى أكثر من شهر على الإرتباط بينهما لكن وجدان شعرت بأنهما مراقبان من الأهل فكل عدة أيام يأتى أحد أقاربها كى يطمئن على حالها وحال زوجها وشعرت بأن هذا شيء مقيد لحريتها ومتعتها ولهذا قررت الرحيل لمكان آخر تتخيره بنفسها.

أخبرت مصطفى بأنها إنتوت الرحيل وأن مقصدها (جبل الحلال) لأن الكثير من البدو لا يرتادون هذا الجبل بعكس الحال لمنطقة السد التى تزخر بالمياه العذبة النقية، بالفعل ركب مصطفى الحمار بمعاونتها وشعرت بأن أباها كان ذكيا وحاذقا إذ أمدهم بالحمار الذى كان مصطفى يمتطيه بسهولة.

إستقر الزوجان بمنطقة بجرف بجبل الحلال بأحد الأودية وتخيرت أن يكون الوادى بعيداً عن مناطق تجمع المياه والسيول التى يزخر بها الجبل فى موسم الأمطار الذى أصبح على الأبواب، كان مخر السيول يمر من أمام الخيمة بعدة أمتار ولهذا نصبت خيمتها بالمرتفعات أعلى المخر وبالقرب من كهف صغير للجؤ إليه وقت الخطر.

شعرت وجدان بسعادة بالغة بينما مصطفى (حاتم) دفعته الوحدة واليأس من العودة لأرض الوطن وفقدان خطيبته التى مازال يتذكرها ليل

نهار إلى الإلتصاق بوجدان بل والذوبان بداخلها مما أسعدها أكبر سعادة ودفعها لزيادة جرعات الحب والعناية به ودللت على هذا بالقيام بتدليك مناطق الحروق ثلاث مرات يوميا بدلاً من إثنتان، إنعكس هذا على ليونة جسده وأصبح قادراً على الحركة والتحرك عدة خطوات بل ومقدرته على ثنى الركبة اليمين موطن العجز فى الحركة أثناء السير.

تنبه الشيخ عبدالله الترابين إلى الأوراق التى تسلمها من الشيخ عثمان منذ شهر أثناء عقد إبنته على الدفعه المصاب فطلب من زوجته إحضار الأوراق فأحضرتها إليه :

تركت الزوجة الشيخ عبدالله يفض الأوراق الذى بدا يتفحصها ورقة بعد أخرى حتى توقف أمام البطاقة العسكرية وشاهدته يقرأها بتمعن عدة مرات ثم صرخ مناديا عليها:

ـ خير يا شيخ.

ـ شايفة صورة الزلمة دية؟

ـ أيوه .. مالها؟

ـ ده الزلمة إللى صديجة بنتك بتدور عليه، ده الزلمة إلى كان ريحنا كام شهر، ده الزلمة إللى عجدت عجده على بنت الشيخ عثمان، يارب يكون

ريحنا وإحنا بندور فى حته تانيه، يا شيخ عتمان لوكنت تعرف الجرايه كنت جريت الإسم وعرفتنى ما أنا سألتك وإنت جلت معرفش الجراية، لا حول الله الجهل غُمة وكارثة.

- رايح فين يا شيخ؟

- رايح للشيخ عتمان نجيب الزلمة وأرجع بيه.

- مش عرفك أنه هو؟

- البنت جالت إسمه حاتم، الله شوفى كمان السطر التحتانى باجى الإسم الطحاوى شرجيه، ده من جرايبنا، العب التانى من الجبيلة إللى إستوطن الشرجيه.

هكذا غادر الشيخ عبدالله الترابين داره متوجها للشيخ عتمان مستقلاً حصانه عنتر حتى وصل لدار الشيخ عتمان الذى رحب به لتلك المفاجأة وقبل أن يترك صهوة الحصان سأل الشيخ عتمان عن إسم زوج إبنته فأجاب أن إسمه مصطفى، صرخ فيه بأن إسمه ليس بمصطفى وألقى إليه بتحقيق الشخصية العسكرية وقال له أنت لا تقرأ لكنك تستطع التعرف على تلك الصورة، صورة من يا شيخ؟

- الله أكبر إنها صورة مصطفى زوج إبنتى وجدان.

- ليس هذا مصطفى لكنه حاتم الطحاوى الضابط بالجيش المصرى والذى نبحث عنه منذ عدة أشهر، هيا بنا نبحث عنهم.

- عُد إلى دارك يا شيخ وسوف أجوم على زيارتهم وإحضاره.

- هذا لن يحدث، أنا معك فى كل خطوه، كفايه كام شهر ضاعوا وإحنا بنلف فى كل مكان.

فجأة شاهدوا البرق واتبعه سماع الرعد وهطلت الأمطار بغزارة وكادت تعصف بخيام الشيخ عثمان وعائلته لولا أسرع الرجلان بنقل الجمال والغنم أسفل الصخرة القريبة التى دائما ما تكون حماية لهم.

ظلت الأمطار تنهمر إلى أن أصبحت سيولا جارفة بينما الرجلان يرفعان أيديهما إلى الله بالدعاء بالستر من غضبة الطبيعة وقسوة سيول سيناء العنيفة التى تدفع كل شىء أمامها لأنها قادرة على تدمير كل منشأة عدا الجبال.

سـيول وذهـول

إيزيـــس :

بعد أن تحركنا عدة ساعات شعرنا بالإرهاق والتعب وهذا الشعور الذى طالنا نحن الثلاثة وليس أنا فقط، كنت أعتقد أن الإرهاق سببه تغير المناخ والطقس شديد البرودة والتى لم أعتاد عليه بحكم المنشأ لكن سلامة وبدور هم أبناء تلك المنطقة وقد اعتادا على هذا الطقس العنيف والرياح العاتية والبرودة القاتلة خصوصاً أثناء الليل.

اليوم التالى توجهنا إلى منطقة بغداد والتى تقع بها محطة السكة الحديد فقد علم سلامة من بعض أقاربه أثناء حفل الزفاف بأن بعض الجنود أسرعوا نحو محطة السكة الحديد هرباً من القصف طلباً اللحاق بأى قطار عائداً إلى الإسماعيلية تجنباً لمطاردة القوات الإسرائيلية.

كان الإعتقاد الخاطىء لدى بعض الجنود الذين أقبلوا على متن السكة الحديد بأنه يمكنهم العودة بنفس الطريقة وحينما وصلنا إلى محطة السكة الحديد شاهدت المحطة مدمرة تماما وأفاد سلامة بأن هذا ناتج من قصف الدبابات الإسرائيلية للمحطة وكان هذا باديا من آثار جنازير الدبابات بالمنطقة حول محطة القطار.

هبطنا من فوق الجمال وسرنا نتحرك بين الصخور وتبين لنا وجود العديد من مقابر الشهداء والتى كان يميزها كوم من الرمال المرتفع وعلى أحد جانبيه قطعة من سعف النخيل الجاف والتى قال عنها سلامة إنها الشاهد الذى يحدد المقبرة وإتجاه دفن الشهيد.

شاهدت بعض قطع من المعدن وإتجهت إليها وتبين لى أنها العلامات الألمنيوم التى يضعها الجندى حول رقبته وعليها بياناته، كنت أقرأ البيانات بلهفة حتى توقفت عند قطعة كتب عليها إسم يبدأ بالحرف (ح) ولم أستطع تمييز باقى الإسم لتلف القطعة.

إعتقدت أنه حاتم لكن سلامة حين إستكمل قراءة البيانات أخبرنى بأنها لأحد الجنود لأن مكتوب عليها كلمة (الدرجة جندى) والمعروف عن الضباط أن يكتب الرتبة وليس الدرجة، ما زلت أقلب فى القطع المعدنية دون العثور على إسم حاتم وطالنى الإرهاق مثل بدور وزوجها ولهذا توقفنا عن البحث إنتظاراً لليوم التالى.

اليوم التالى شمرنا عن سواعدنا فقد ظهر ضياء الشمس الذى قلل من سوء الأحوال الجوية، إتجهنا إلى أم قطف وتقع جنوب العريش وبالقرب من الحدود الدولية ولم نعثر على شىء سوى دبابات مصرية مدمرة وأيضا بعض قطع من المدفعية، حاولنا البحث عن مدافن للشهداء ولم ننجح فى هذا.

اليوم الذى يليه سرنا حتى منطقة (الجمة) ولم تكن أفضل من سابقتها ولهذا تحركنا وركبنا الجمال وبرفقتنا الأمتعة الخاصة بنا إلى منطقة أخرى وهى جبل (المغارة) مع إشراقة الشمس سرنا نتخبط بين مرتفعات ومنخفضات هذا الجبل الضخم لمدة تزيد عن أربع ساعات ولم نصل لنتيجة رغم أننا كنا نحاول الحصول على معلومات من أهالى المنطقة الذين كانوا راغبين بالمعاونة لكن النتيجة كانت سلبية.

اليوم التالى كان هدفنا جبل الحلال المواجه لجبل المغارة من الناحية الجنوبية فقد أخبرنا بعض البدو أن بعض الدفعة هربوا إليه للإختباء من طائرات العدو ودباباته، سرنا بالجبل عدة ساعات ولم نقطع سوى عدة كيلومترات وشعرنا بالإرهاق وبدىَ على بدور التعب وتبين لنا أنها حامل مما زاد من إرهاقها وقرر سلامة العودة باكر لديار القبيلة خشية على بدور لأنها فى بداية شهور الحمل.

صباح اليوم التالى نهضت وسرت عدة أمتار بينما كان سلامة ينهى وضع الأغراض فوق الجمل وسمعته ينادى علىّ بصوت مرتفع بأن أعود للمرتفعات نظراً لأن الأمطار سوف تتساقط بعد عدة دقائق.

قررت العودة فقد شاهدت البرق فى كبد السماء تلاه سماع الرعد من على الأجناب وإختفى ضوء الشمس وشعرت ببرودة شديدة ورياح قاسية أسرعت للهرب فى إتجاه المنطقة المرتفعة والتى تبين لى وأنا أشاهدها بأن

سلامة تخير أحد أجناب الصخور وإختبىء بها مع بدور والجمال تجنباً لآثار الأمطار.

أثناء الهرولة وخشية الأمطار إرتطم قدمى بقطعة من الصخور شعرت بعدها بآلام شديدة حاولت النهوض ولم أقوى ومازال صوت سلامة يحاول جاهداً التغلب على صوت الرياح العاتية حتى إنعدم تماما بأمطار لم أشاهد مثلها من قبل كأن سحب السماء قد رتقت وأنزلت مياهها دفعة واحدة.

لم تكن مياها عادية بل كانت مياه شديدة كثيفة تمنع أى إنسان أن يشاهد كف يده بل كانت قطرات الماء من شدتها تقفز بالرمال والحصى الصغير لأعلى، هكذا شعرت بأمواج من المياه المندفعة نحوى ولم أقوى على التحرك وكل ما شعرت به بأن رمال ومياه تحيط بى من كل جانب وأصبحت على وشك الغرق، كنت أتقلب بداخل المياه المندفعة شديدة القوة وتحيط بى بعض بقايا أعشاب ومهمات من ملابس بل وأغنام جرفتها المياه وأغرقتها وشعرت بأن تلك نهايتى.

حـاتم : لا أعرف لماذا تركتنى وجدان وأسرعت لدار أبيها رغم سوء الأحوال الجـوية ومن تجاربها أخبرتنى بأن مساء اليوم والغد تهطل أمطار غزيرة على سيناء، هى أمطار كاسحة تجرف كل من يقف أمامها ولا سبيل من النجاة سوى الهرب لبعض الكهوف المرتفعة البعيدة عن مخرات السيول

التى تكون فى العادة فى أسفل الوديان والمميزة برمال ناعمة بعيدة عن الزلط والصخور.

وجـــدان :

لم أستطع الصمود يومان آخران كى نتجنب الأمطار الشديدة المتوقع سقوطها فأنا أشعر بأن معدتى مضطربة وتقاينت عدة مرات وغير مستعدة لتناول أى طعام أو شراب، أنا أعلم من تجارب النساء من حولى بأن تلك بداية شهور الحمل ورغم قسوتها إلا أننى أشعر بسعادة لهذا الخبر السعيد أسرعت بالتوجه لعائلتى للبحث عن علاج لحالتى وتركت مصطفى فى مخبئنا بجبل الحلال.

فوجئت بعدم وجود خيام عشيرتى وتحيرت إلى أين ساروا أو إختفوا فى هذا الطقس العنيف، أسرعت بالعودة للقاء حاتم وحمايته من تلك الأمطار العاتية التى تنذر بالهطول بعد ساعة أو أقل، هكذا أسرع بى الجمل ينهب الأرض كى أعود للقاء حاتم وحمايته.

أشاهد برق يخطف الأبصار وأسمع رعد يخرق الأذان وهواء يقلب الجمال على ظهورها وهذا ما حدث مع الجمل فقد شعرت بأنه يترنح ويتمرجح وسمعت صوته العنيف حتى ركض منى وطرت فى الهواء وشعرت بأننى وقعت فى بركة مياه باردة تتحرك بسرعة كبيرة أدركت

لحظتها أن نهايتى الحتمية دنت فلا أعلم أن أحد جرفته مياه الأمطار وأنقذه الله إلا بأعجوبة.

إيزيـــس :

أشاهد ظلال شخص يقف أسفل المياه ينتظر وصولى نحوه، أسرع بفرد حبل ناحيتى وأشار إلىّ بيده بأن أقبلى، بمنتهى القوة جاهدت حتى أمسكت بطرف الحبل، حاول ان يجذبنى نحو المنطقة المرتفعة التى يقف عليها لكن سرعة إندفاع المياه لم تساعدنى أو تساعده، فجأة فقدت السيطرة على الحبل وإندفعت مع المياه وبعد أن تعديت الشخص الذى حاول إنقاذى ولحسن الحظ أن بمجرى السيل عدد من الصخور وبالتالى إصطدمت بها وتوقف جرفى مع مياه السيل المندفعة.

تأكد لى أن تلك آخر فرصة أمامى ولا بد من المقاومة وبذل الجُهد كى أتخلص من تلك الأمواج، الحمد لله إستطعت الإمساك ببعض الصخور بيداى وتسلقتها بكل قوة وعزم وإبتعدت عن المياه وأصبحت المياه المندفعه تسير أسفل أقدامى بعدة سنتيمترات ولا تؤثر علىّ.

زحفت على الصخور حتى وصلت لليابسة وبداخلى قلت الحمد لله، بعد أن حصلت على بعض الراحة نهضت وسرت فى الإتجاه العكسى فشاهدت الشخص الذى حاول مساعدتى يفرد الحبل لمساعدة شخص آخر كاد أن

يغرق، كان الشخص الآخر أكثر حرصا وحركة منى وإستطاع الإثنان أن يحققا النجاح وطفا الشخص قبل أن تبتلعه الأمواج ونام على اليابسه بجوار من قدم له يد المساعدة.

إنضممت لهما وجلست بجوارهما ومازالت الأمطار تذيقنا الألم وتلهب أجسادنا بسياط من أمطارها العنيفة، نمت مثل الشخصين وبجوارهما لكن أحدهما أسرع وأحضر ستارة من القماش وفردها فوقنا ونمنا نحن الثلاثة ورغم بلل ملابسنا وإنخفاض درجة الحرارة إلا أن تلك القطعة القوية من القماش حمتنا من تيار الهواء البارد وأيضاً من سياط الأمطار والسيول العارمة.

مضى الوقت بطيئا وشعرت بأننى عُدت إلى الحياة، سمعت صوت رجل يحدثنى ويهز جسدى مناديا علىّ بلهجة أبناء القاهرة :

- وجدان، قومى يا وجدان كنت ح تضيعى منى فى لحظة .. مازال يخاطبنى فضقت به ذرعا ولم أنهض من نومى ورددت عليه :

- أنا مش وجدان.

- ينهار .. طيب مين التانية دية؟

- أيوه يا مصطفى أنا وجدان الحمد لله.

- معرفتكيش، جسمك كله متغطى بالطفلة وكأنك تمثال من طين الصلصال.

- كنت ح أروح فيها يا مصطفى.

- متقوليس كده، أنا فداكى معدش ليا حد فى الدنيا، خلاص فضيت من كل حبايبى وما فيش غيرك وكنتى ح تضيعى منى.

صمت المكان ولم أعد أسمع حوار الإثنان، أثناء الحوار هاجمنى إعتقاد بأن الشخص المدعو مصطفى صوته مشابه لصوت خاتم، لا يفترق الصوتان عن بعضهما حتى فى الوقفات التى يضطر إليها للحصول على شهيق، تنبهت بأننى أسرح كثيراً ومازال شبح حاتم مؤثراً ويجب علىّ التخلص من تلك الآفة وما علىّ سوى الإنضمام لبدور وزوجها، لقد أثقلت عليهما وأتمنى أن يوفقنى الله كى ألتقى بهما ونعود أدراجنا للقاهرة فقد خاب أملى فى العثور على حبيبى حاتم.

نهض ثلاثتنا وتوجهنا أسفل الصخرة التى بها أغراض الزوجان، كانت الأوحال تغطينا ولا يظهر من وجوهنا سوى نظرات تعيسه لا تشفى ولا تعبر عن مشاعر من تشاهده.

جلس الرجل وبقطعة قماش بدأ فى تنظيف وجهه ويديه وحذت السيدة حذوة وناولتنى قطعة قماش جافة، رغبت فى الإقتداء بهما، غادر الرجل

المكان ومد يداه للحصول على بعض قطرات مياه يزيل عن وجهه ما علق به من أوساخ.

عاد ثانية وإقترب منى وأنا مشغولة كى يطمئن على حالى، رفعت رأسى نحوه كى أقدم له الشكر، لا أعلم حتى الآن ماذا حدث لكن كل ما أتذكره إننى صرخت صرخة قوية ولم أشعر ماذا حدث بعدها.

وجـــدان :

سمعت صرخة السيدة والتى كان من شدة صداها أن إرتدت من صحن الجبل، نهضت مسرعة وإعتقدت أن حية رقطاء لدغتها أثناء هروبها من مياه الأمطار، أقبلت نحوها وإبتعد مصطفى حين شاهدنى أحاول إفاقتها وفتحت قطعة ملابسها العليا كى تتنفس بسهولة ، قمت على نظافتها وشعرت بأنها بخير وشعرت بأن هناك شيء خطير دفعها للصراخ ومازال جسدها دافئاً.

قمت بإستبدال ملابسها حتى لا تصاب بإلتهاب رئوى، ساعدتها على النوم بينما إنهمكت فى إستبدال ملابسى وسأل عنها مصطفى فأخبرته أنها بخير ومن المحتمل أنها تذكرت مأساة الغرق فكان هذا هو رد فعلها.

هدأت الأمطار بعض الشيء وإنتهزت تلك الفرصة وأشعلت بعض العشب الجاف أسفل تلك الصخور المحمية وأعددت شراب الشاى المنعش الدافيء لنا، طلب منى مصطفى مساعدة السيدة على تناول الشاى كى تستعيد عافيتها بل وقرر الجلوس بعيداً بالجانب الآخر من الكهف المفتوح.

إستطعت إفاقة السيدة ومازالت تغطيها بعض أوحال من جراء الفيضان العارم ساعدتها على التخلصمن من تلك الشوائب فقد لاحظت أننى قدمت لها بعض العون بإستبدال ملابسها المبتلة وشاهدت بيدى كوب الشاى المنعش فبدأت ترتشف منه بعض الرشفات البسيطة ولا حظت أنها تجيل بنظرها من حولها وعلمت بأنها مازالت خائفة.

إيزيـس :

حين أقبل علىّ الرجل المدعو مصطفى زوج وجدان الذى كان يتحث معها محاولاً إفاقتها لم أشاهده مصطفى الذى لا أعرفه لكننى شاهدته حاتم الذى أعرفه وأبحث عنه، إلى هذا الحد وصل بى التداخل وشوشرة العقل بأن أشاهد شخص غريب وأشعر بأنه حاتم، إلى هذا الحد كنت أسمع صوته أثناء محاولة إنقاذ زوجته وإعتقدت بأنه حاتم، آه على مصاعب الحب وحمى الحب وكما قالت أم كلثوم سيرة الحب.

طول عمرى باخاف من الحب وسيرة الحب وظلم الحب لكل أصحابه

وأعرف حكايات مليانه آهات ودموع وأنين والعاشقين دابوا ما تابوا

طول عمرى بأقول لا أنا قد الشوق وليالى الشوق ولا قلبى قد عذابه

وقابلتك انت لقيتك بتغير كل حياتى

ما أعرفش إزاى حبيتك ما أعرفش إزاى ياحياتى

من همسة حب لقيتنى باحب وأدوب فى الحب وصُبح وليل على بابه

شعرت بأن ما تؤديه أم كلثوم ينطبق على حالى، لقد غير حب حاتم لى حياتى ورغم تمتعى بهذا الحب إلا أنه تسبب فى شقائى وعذابى، حتى هذا الرجل النبيل الذى قدم لى يد المساعدة تسببت فى إيذاء مشاعره بأن صرخت فى وجهه بدلاً من أقدم له شكرى وتقديرى.

أشاهد الرجال قادماً يسير بصعوبة وما إن إقترب منى وشاهدته حتى أطلقت صرخة لا تقل عن الأولى وسقطت من يدى كوب الشاى وسمعته يردد :

- ياربى، مش معقول، إيزيس وإلا شبها؟ أنا فى حلم وإلا علم، دا الملك سليمان لما حب ملكة سبأ طلب معونة الجان يجيبها له وأنا ربنا بعتها ليا من مصر قدامى بخطوتين وأساعدها من غير ما أعرف هيا مين؟

أكيد أنا فى حلم، أيوه يا وجدان أنا فى حلم، وإلا أنا صاحى وباخرف طيب قومى يا إيزيس مش معقول تيجى لحد هنا وتروحى عند ربنا واتعلق بكى تانى، تعبت والله يا إيزيس ولولا لطف ربنا والجماعة البدو الطيبين ووجدان أنا مكنتش عايش لحد دلوقتى.

وجـدان :

خبر إيه ما مصطفى، عمال تغازل فى الحرمه جدامى ولا خشى، الولية تجول عليك إيه، بتنتهز الفرص وتغازلها، جوزها لوعرف وإلا حد من عشيرتها ح تبجى نهايتك شينه، إحتشم يا راجل.

إيزيـــس :

زاد علىّ التوتر، أسمع زوجة الرجل تتحدث معه بأنه مصطفى لكنه كان يناجينى بأننى إيزيس وأنه قاسى الكثير، أصدق من، مصطفى وإلا زوجته؟ سوف أصدق قلبى الذى لا يكذب علىّ، نهضت بتململ فأسرعت وجدان نحوى فرحة سعيدة تبثنى بعض كلمات طيبة وترجو أن أكون أحسن حالاً وإعتذرت بالإنابة عن زوجها وحديثه معى بأسلوب لم نعهده نحن البدو.

جلست ونظرت نحو مصطفى أو حاتم الذى كان جالساً لا يستطيع الحركة فقد أصابه الإضطراب، أشرت إليه بأن يقترب، حاول لكن ساقه لم تطاوعه

فنهضت نحوه وجلست أمامه أنظر فى تلك العينان التى كانت السبب الأول فى تعلقى به :

ـ أنت مصطفى وإلا حاتم؟

ـ كده يا إيزيس، على كل حال ح أجاوبك لما تقوللى أنتِ إيزيس ولا واحده شبهها؟

ـ أنا إيزيس، أنا إيزيس خطيبتك يا حاتم، أنا إيزيس حبيبة الفرسة البيضة فى قنا.ـ

ـ الله أكبر، أنتى إيزيس، إنتى إيزيس، حمدا لله وشكراً يارب إنى قابلتك، كل ما يحصل سيل ح أشكر ربنا دُوناً عن الناس كلها، إيزيس حبيبتى، حمد لله على سلامتك.

وجـــــدان :

جلست أشاهد الحوار بين الإثنين ورغم الغيرة القاتلة التى داهمت قلبى إلا أننى شعرت بالأسى والحزن لهما ولهذا تعاطفت معهما فقد جربت الحب قبل هذا بعدة أشهر مع هذا الشخص والذى تبين لى أن إسمه الحقيقى حاتم وأنه خطيب هذه الفتاة الجميلة كما سبق وأخبرنى.

هل سيظل زوجاً لى أو يتركنى بعد أن حملت باجشائى طفلى الأول وأيضا طفله الأول، فهو مازال أعزب ولم يتزوج بعد، سأظل ساكنة ولأترك لهما العنان وسوف أرضى بما قسمه الله لى وإن الله يساعد كل إنسان لا يضر الآخرين، سأحصل على نصيبى وحقى الذى قرره الله ولا داعى لإحداث مشاكل، لن يأتى من ورائها أى فائدة.

حـــاتم :

تلك السيدة التى تجلس فى نهاية الكهف تنظر نحونا صامتة هى زوحتى وقد تزوجنا منذ شهر تقريباً، إنها فتاة طيبة قامت على العناية بى طوال الفترة السابقة منذ إصابتى، تخيلى لقد قاربت على الشهور السبعة تطببنى وأحبتنى وأنا لم أكرها لكن المشكلة أننى تعلقت بك قبل أن ألقاها، إيزيس مازلت مُحباً لكِ وراغباً فى الزواج بكِ وأيضا لا أريد أن أظلم إنسان برىء قدم كل عون دون مقابل وما زواجى بها إلا لإستمرار حياتى معها وعنايتها بى، أنا رهن إشارتك ولن أدمر حبا بحياة ولا حياة بحب قديم هو الأول والأخير.

إيزيس :

لقد أحببتك كما تعلم وأخلصت لك وقابلت الكثير من الصعاب كى آتى للبحث عنك، من يحب لا يكره ومن يكره لا يستطيع الحب، الحب والكره

خصمان لدودان وما أجل شيء فى الحياة غير الحب، حاتم ستظل خطيبى الذى أحببته وأسظل منتظره قرارك الذى كنت أود سماع تنفيذه قبل الحرب.

حاتم سأتقبلك الآن بكل شيء، ببطولتك وإصابتك المؤلمة وبعدالة السماء بزوجتك وجدان ولا أستطيع فعل أى شيء آخر وإذا كان من بُد للمفاضلة بينى وبين وجدان فهى الأولى وهى الأهم لأنها الزوجة وأعتقد أنها حامل الآن.

وجـــدان :

لقد تزوجت مصطفى وحاولت هذا تكراراً وكان صدة حبه نحوى هى لذكرى إيزيس الجميلة، إيزيس أنتِ أجمل فتاة شاهدتها عيونى حتى الآن وما أنا إلا فترة زمنية عَبر خلالها مصطفى زوجى أو حاتم خطيبك فترة من حياة كتبها الله على أبناء البشر.

إذا لم يتيسر للإثنان أن أكون الثالثة فأنا أفسح الطريق أمامكما للعيش الهنيىء وسوف يتولانى الله برحمته وأعيش هنا أقوم على تربية ونشأة ما وضعه الله من مولود بأحشائى، أنتما الأحق وأنتما الأهم وأنا فى زيل الإهتمام وأوافق على هذا.

حـــاتم :

لن يحدث هذا، أنتما الروحان التى ستمدنى بالحياة وتعيد إلىّ سعادتى التى ضاع بهاؤها من جراء الهزيمة المؤلمة والإصابة القاتلة غير القابلة للشفاء أنا معكما زوج مخلص مُحب ولا أستطيع التفريق أو المفاضلة بينكما، فإما ثلاثتنا معاً وإما كل واحد منا يختار طريقه ومازلت مستعداً لإحتواء حبكما وأيضا قادر على العطاء لكما.

أيزيس :

لا يجب علينا نسيان أهل الفضل وإلا نصبح مثل الضباع المفترسة، يجب أن نظل أوفياء مخلصين ونستلهم عطاء الحيوان الجميل للإنسان، نحن سنظل فرسَّتان لهذا الحصان القوى البديع وهو فارس بطبعه وفارس بحكم وظيفته، فهيا ننعم معا بالعيش الهانىء يظللنا الحب والمودة.

غداة لقاء إيزيس بأوزوريس

ســـلامة :

هدأت ثائرة العاصفة الممطرة بعد أن خلفت ورائها الدمار وبرك المياه العميقة بل حفرت أنهاراً وسط الرمال والصخور كما دمرت بعض المبانى والإنشاءات التى كانت فى طريقها كما إبتلعت المياه العديد من البشر بالإضافة إلى العديد من قطعان الماعز والأغنام ودفنت الكثير أسفل أوحال الرمال التى طمرتهم ولم يعد لهم وجود.

نظرت إلى زوجتى بدور والهلع مازال مخيماً علينا بفقد ضيفة عزيزة جاءت معنا من القاهرة من أجل مساندتها والبحث عن خطيبها لكن يد القدر خطفتها من بيننا بقوة اندفاع السيول الجارفة ولم تجدى محاولاتى للعمل على إنقاذها فقد جرفتها المياه ولولا بدور التى وقفت أمامى لمنعى من اللحاق بها وإنقاذها لكنت فى عداد الأموات الآن.

جميع متعلقاتنا الخاصة والمتبقية من تدمير السيول وضعناها فوق احدى الجمال وركبنا الجمل الآخر وسرنا فى الطريق المؤدى إلى دار شيخ القبيلة، مازال الوجوم والحزن مسيطراً علينا سيطرة تامة ولم نستطع مجرد التفكير فيما سوف نخبر به الأهل عن مصير الضيفة التى كانت فى حمايتنا وأهملنا رعايتها.

قطعنا مسافة السير إلى القبيلة فى عدة ساعات نظراً لأن الأوحال مازلت مؤثرة على طريق السير ولهذا كان الجمل حذراً أثناء السير خشية الإنزلاق ولو حدث هذا لن تقوم له قائمة لأن هذا سيسبب له كسور فى عظامه الضخمة ولن يعالج ولن يحمله أحد للقبيلة وسوف نتركه عرضة لهجوم الذئاب والضباع.

أسدل الليل ستارته ونشاهد عن بُعد أضواء خافته لخيام ودور أبناء القبيلة حتى وصلنا إلى داخلها وهالنا التدمير الذى لحق بالدور وببعض الأبنية الضعيفة التى تم بنائها مستخدمين الطفلة مع الرمال فتهاوت تحت مياه الأمطار القوية.

إستقبلتنا الخالة أم بدر والتى كانت متخوفة من حدوث مكروه لنا وقبلت أبنتها وضمتها إلى صدرها ورافقتنا لتناول طعام ساخن بعده إستبدلنا ملابسنا وخلدنا للراحة فى فراش دافىء وثير، تنبهت السيدة ونظرت من حولها وتسائلت بدهشة عن رفيقة إبنتها الدكتور إيزيس.

وصلها الرد من العلامات التى إرتسمت على وجوهنا وتأكد لها أن مياه الأمطار إبتلعتها كما إبتلعت العديد من أبناء القبيلة، شحب وجهها وضربت بيدها على صدرها وكادت تصرخ ونهضت مُسرعة وعادت بعد قليل بصحبة زوجها الشيخ عبالله الذى جلس أمامنا ورغب بأن نوضح له حقيقة ما حدث.

أخبرته بالتفصيل ومحاولاتى إنقاذها لولا أن بدور منعتنى من القيام بهذا للحقت بها فأكد على حُسن رأيها مؤكداً إننى لو حاولت إنقاذها للحقت بها على الفور وأصبحت فى عداد المفقودين أو الهالكين لأن ما قلته يؤكد وقوع الهلاك لمثل حالتها.

قرر الشيخ بأنه سوف يبلغ سلطات الصليب الأحمر بمدينة العريش بوفاة الدكتوره إيزيس حمدى بعد مضى يومين كى يسجل إسمها وتقوم بإبلاغ هذا الخبر لمكتبها بالقاهرة الذى بدوره سوف يبلغ أهلها.

بكت بدور تنعى صديقتها التى أقبلت معها للبحث عن خطيبها الذى ربطت بينهما قصة حب وكانت راغبة بتنفيذ رغبة والدة حاتم التى تمنت بأنه لو حدث زواج مع إبنها وحملت وجاء القدر وخطف حاتم لكان العزاء والسلوى فى المولود القادم الذى سوف يحيى ذكراه ويبرد نار حزنها على فقده.

تحدث الشيخ عبدالله حزينا وهو يظهر اوراق حاتم التى حصل عليها من الشيخ عثمان مشيراً لصورة حاتم بالتحقق من الشخصية العسكرية الذى كان يحمله وتحدث بحزن بصوت مرتفع بأنه قد عثر على خطيبها والذى سوف نرسل بأحد الشباب لطلبه من المنطقة المتواجد بها بجوار سد الروافع ووقتها سوف نبلغه بوفاة خطيبته التى جاءت للبحث عنه.

الشيخ عثمان :

أشعر بألم شديد فقد تسبب جهلى بالقراءة والكتابة من عدم الإستدلال على شخصية الشاب الذى كانت ابنتى وجدان تشرف على علاجه، ولأننى أجهل القراءة فقد دفع بى هذا لعدم مشاهدة الأوراق فلو شاهدتها لتعرفت على صورة الضابط الذى أخبرنى عنه الشيخ عبدالله.

ما هو الحل الآن؟ لقد ظهرت خطيبة الضابط وأقبلت من مصر وهى فى حماية وعون شيخ القبيلة للبحث عنه كى تعود به ويتزوج الإثنان، ابنتى تزوجته فما هو الحل؟ هل يستمر هذا الزواج أو ينفصلا كى يعود إلى مصر مع خطيبته ويستئنفان حياتهما الجديدة، لن أنسى نظرات الشيخ عبدالله التى شعرت بها حين تحدث معى وبأننى تعمدت إخفاء شخصية الضابط كى تتزوجه ابنتى رغم أنه من قام بإجراء العقد.

وجـدان :

الحمد لله أن الأمطار قاربت على التوقف والآن يجب علينا العودة لمقر العشيرة والعيش هناك نتنمتع بالدفء والطعام الجيد وأعرض على أمى ما جد بخصوص زوجى وظهور خطيبته التى جاءت للبحث عنه وعلمت أن الشيخ عبدالله هو من كان يَجد فى البحث عنه لأنها صديقة إبنته.

سوف أترك مصطفى (حاتم) بهذا المكان بجوار إيزيس خطيبته وأعدو فى إتجاه القبيلة كى أجلب الجمل كى ينقلنا إلى هناك لأن مصطفى غير قادر على الحركة بسهولة، كل ما نحتاجه الآن متوافر إلى أن آتى بالعون بجمل وحمار نستقله أنا وإيزيس وحاتم ونعود إلى العشيرة فقد تحطمت ضلوع الجمل بعد سقوطه أرضا كما هرب الحمار خشية أصوات الرعد وخوفا من البرق.

أعزائى إمكثا هنا وسوف أتوجه للعشيرة سيراً على الأقدام والتى تحتاج مسيرة ساعتين أعود بعدها برفقة جمل وحمار يساعدنا على العودة للعشيرة والإنضمام إليهم والعيش بكنفهم، برجاء عدم مغادرة المكان حتى لا تضلا الطريق.

هكذا تركتهما وأسرعت الخطى إلى العشيرة داعية الله أن تتوقف وتتجمد المياه بالسحب ولا تسقط أمطاراً إلا بعد عودتنا إلى العشيرة ويكفينا ما قاسيناه من شدة المياه التى جرفتنا كدنا نموت خلالها غرقا لولا عناية الله ومجاهدة وعون زوجى الحبيب الذى شعرت بمدى ما يكنه لى من حب وخشيته علىَّ بأن افقد طفلى الأول.

حـاتم :

أجلس بجوار إيزيس خطيبتى وحبيبتى ومن حين لآخر لا أستطيع تصديق حواسى كما أشاهدها تراقبنى ومن بين أهداب رموشها، أرى السعادة بعيونها واضحة وسعيدة لهذا اللقاء غير المرتب وهو لقاء تم بترتيب القادر مثلما إفترقنا شهوراً عدة بترتيب القادر أيضاً.

أشعر ببلل ومياه أسفل قدمى، نهضت فشاهدت تسرب مياه لداخل هذا الجرف وبدأت المياه فى الزيادة وتحيرت ماذا أفعل وهل نترك المكان لآخر أو نظل فى إنتظار وجدان التى حذرتنا من ترك مكاننا هذا كى تعود إليه وتصحبنا إلى عشيرتها.

إزدادت قوة اندفاع المياه مما دفع بإيزيس إلى النهوض والوقوف أمام الجرف خشية الماء وسرعان ما لحقت بها، فجأة إنهدم الجرف من شدة ثقل المياه التى دفعت بنا فى إتجاه لا نعرف إلى أين وكل ما فعلناه أن تماسكت أيادينا خشية الغرق والتيه ومما زاد الأمور سوءاً هى عودة الأمطار الشديدة التى من شدتها حجبت الرؤيا وظللنا نطفو فوق المياه حتى وصلنا لمنطقة فسيحة كانها نهر عظيم.

فجأة توقفت الأمطار وتنفسنا الصعداء لكن مازالت المياه تدفعنا للأمام فى طريق لا نعرف إلى أين، شعرت بأنى قواى تخور وأن روحى تُسحب من صدرى مع نهجان وإضطراب فى نبضات القلب ونظرت إلى إيزيس التى تبين لى إنها إبتلعت الكثير من المياه المعبة بالطفلة، صرخت قائلاً:

- إيزيس، ح أموت ولم أستطع التحدث، دخلت فى غيبوبة فى بدايتها كنت أسمع صوتها حزينا تنادى علىّ محاولة ترك مياه الأمطار المندفعة وأصبحت الغيبوبة كاملة.

إيزيـــس :

سمعت صرخة حاتم يردد كلمة ح أموت، إلحقينى صَمت بعدها وفقد النطق لكنى كنت متمسكة بالحياة أردد بداخلى : بعد أن عثرت عليه يغادر الحياة قبل أن أحمل منه وأنجب إبنا أو إبنة تسعد والديه كما أخبرتنى أمه سأحاول إنقاذه وإن لم أستطع سوف أعلم أين مكان دفنه فإذا تحسنت الأحوال آتى لزيارة قبره.

فجأة إصطدمت بجزع نخلة سقطت أمامى فجأة بعد أن إقتلعتها المياه من جذورها فكانت سنداً قويا لى ولحاتم، إستطعت بصعوبة التحرك نحو اليابسة أجر من خلفى جثمان حاتم حتى جلست بعيداً عن المياه ومازال حاتماً فاقداً للنطق والحركة، شعرت أنه مازال يتنفس فحمدت الله وقمت ببعض إسعافات أوليه بتدليك صدره ويديه حتى تنبه وأفاق.

شعرت ببرودة شديدة، فملابسى مبللة بالماء المختلط بالطفلة المشابة للطين مع سرعة الهواء البارد كل هذا أثر علىّ وعلى حاتم الذى كان يرتجف، إحتضنته بقوة راغبة بأن أعيد إليه بعض الدفء لكن حرارتى

كانت منخفضة للغاية ولم أستطع مواصلة دفع الحرارة والطاقة لشريينه ولدماءه التى كادت أن تتجمد.

صرخت راجية من الله أن ينقذ حبيبى الذى أمضيت شهوراً عدة أبحث عنه وحين ألقاه يكاد أن يخطفة الموت من بين ذراعىّ للبرودة الشديدة والتجمد والجوع، أكرر الدعاء وأقول يارب يا من قلت إدعونى أستجب لكم، أدعوك وأستجير بك أن تنقذ هذا الشاب الذى إحترق جسده فى الحرب وظل بعيداً عن أهله تلك الشهور.

يارب ياعادل كن منصفاً معى وساعدنى على رد تلك الأمانة إلى أهله كل أمنياتى البسيطة أن يعود لأمه وأبيه يناجيانه ولو لدقائق وإذا لم يكن فى حياته باق من عمر فليدفن بين أهله حتى تقوم أسرته بزيارته كأى إنسان بسيط فارق الحياة وتقوم إسرته بقراءة الفاتحة ترحما عليه وهذا الفارس النبيل لا يقل عن هؤلاء من ابناء قريته المدفونين بجوار أهليهم بل إنه يزيد عنهم قيمة فهو المدافع عن وطنه وأصيب فى الحرب ويعانى من إصابته.

وقبل كل هذا وذاك ساعدنى يارب ووفقنى فى أن أرتبط به وأن أنجب المولود التى تنتظره أمه الطيبة التى ألقت بتكالها وأحزانها عليك متمنية المولود الذى يُكمل مسيرة إبنها وأن تظل ذكراه قائمة فى الدنيا وينهج إبناءه وأحفاده نهج الأب الفارس الذى حارب وهُزم بشرف ولم يهرب من المعركة تحت وطأة نيرانها الدامية وتحمل أعباء إصابة الحرب القاتلة.

سكنت وخمدات قوايّ وشعرت بأن أنامل حاتم تتحرك كأنه راغب بأن يبثنى بعض آهات أو أنه يقوم بوداعى، تنبهت ونظرت فى عينيه فشاهدت السعادة والضوء يخرجان منها وعادت بى الذاكرة لليوم الأول للقائى به نفس النظرة الجميلة السعيدة وكان هناك فارق كبير بين الأمس واليوم لكنها إرادة الحياة.

صُمت وتشبس بملابسى وأغمض عينيه، إرتجفت يداه ولم أعد أشعر بحركة ولا صوت، تأكد لى أنه لاقى ربه، قرأت عليه سورة الفاتحة والشهادة على روحه الطاهرة وأيقنت أننى تابعه له وسألقى نفس المصير وتلك كانت سعادتى الأخيرة قبل أن أفارق الحياة.

شعرت بروحى تسحب من جسدى وإضطراب فى التنفس وشحوب بوجهى رغم عدم مشاهدة ذلك وإزدادت أطرافى برودة وملت لأحد الأجناب وبالتالى أصبح صدرى يغطى رأس حاتم وبدأ صوت صفير الرياح يبتعد رويداً حتى تلاشى ورحت فى الإغمائة التى تسبق توديع الحياة.

تنبهت لبعض أصوات من حولى وأيادى تمتد لى وشاهدت البعض يرفع جثمان حاتم ثم تلاه البعض برفع جسدى وكلمات طيبة سمعتها وتأكد لى أن هؤلاء من سبقونى بلقاء ربهم يستقبلوننا إستقبال طيب، تنبهت على صوت أنثى تردد :

- نشوف أجرب كهف وإلا مغارة ونبدل هدمة كل واحد بهدمة نضيفة وسمعت صوت رجل يؤيد هذا ويقرر بأنه سيتولى أمر الرجل وعليكِ تولى أمر المرأة، تسائلت فى خلال تلك الغيبوبة .. أنكم تقصدون إلبسانا أكفان ونزع ملابس الدنيا عنى وعن حاتم، أردد الحمد لله أن بعض السابقين بالبرزخ قرروا العون وإتمام كل إجراءات لقاء الله على أحسن ترتيب مثل السابقين وهم يعلمون حالنا.

شعرت بمن ينزع عنى ثيابى وشعرت بعدها بثياب جافة وتلك هى الكفن كنت أنتظر منهم تلاوة بعض آيات من القرآن ترحما علينا لكن لم يحدث هذا بل ما حدث أن نمى إلى حاسة الشم رائحة شاى يُعد ودخان يحيط بنا وشعرت بأن الدفء سرى فى بدنى، فتحت عيناى فشاهدت ملامح بشر تتحرك وتتحدث وتنثنى وتضحك وبالقرب منى حاتم يحرك ذراعيه.

الحمد لله أن حاتم عادت إليه حياة البرزخ نستطيع خلالها التحدث عن أحوال الدنيا ووداعا لما قاسيناه معاً، أقتربت منه أناجيه وأتسائل :

- حاتم إحنا فى حياة البرزخ؟

- برزخ إيه يا إيزيس!! ربنا بعت لنا ناس تساعدنا، أنا شاعر أنهم أهل وجدان مراتى.

- معقول .. يعنى إحنا لسه عايشين وفينا الروح.

- ايوه .. فيه واحد جاى ناحيتنا.

- حمد لله بسلامتك ياسى حاتم، والله الشيخ عبدالله خَّبرنى إنك الدفعه إللى بندور عليه عشان الست مرتك إللى قاعده ريحك جايه من مصر مخصوص تدور عليك دورت عليك فى كل حته حتى لما وصلت مرتك وجدان خبرتنى بمكانك لكنى ملجتكشى وفضلت أنا والشباب ندور عليكم لحد ما شفناكم محضنين على بعض من البرد وأهى أم وجدان معايا بتساعدنى والشباب راحوا العشيرة يجيبوا حمار عشان يساعدك فى الركوب، إشربوا شوية الشاى تدفيكم، الحمد لله إننا عترنا فيكم.

هكذا شعرت بأن الله أرسل إلينا بمن ينقذنا من هول وزهول السيول الجارفة التى لم نعهدها نحن سكان مصر المحروسة، شربنا الشاى على مهل وشعرنا فى كل دقيقة بالدماء تتحرك فى العروق وتحركت الأطراف وشعرت بالحاجة للطعام ولم ننتظر كثيراً فقد أقبل الشيخ عتمان والد وجدان حاملاً لنا بعض قطع العجوة التى ما إنتهينا من تناولها حتى شعرنا بالقوة والسعادة وتأكد لى كما سبق ودرست أن تناول الطعام يدفع بالسعادة للناس.

مضى أكثر من ساعتين وشاهدنا جمع من الناس وبعض الجمال تتقدم نحونا نهض الشيخ عتمان مرحبا بالقادمين وكان من بينهم وجدان التى

كانت فى شوق وخوف ولهفة على حاتم وإحتضنته أمام الجميع بين ضحكاتهم ودهشتهم لجرأتها فيما تقوم به مع زوجها أمام الغرباء.

تحركنا إلى مخيم عشيرة الشيخ عتمان وهناك كان باقى أفراد العشيرة رجالاً ونساءً فى إستقبالنا وكان إستقبالنا بفرحة كما إستقبلتنا رائحة شواء اللحم وما هى إلا دقائق حتى وضع أمامنا كميات من اللحوم والأرز المطهى بطريقة تخالف ما إعتدنا عليه فى القاهرة لكنه لذيذ الطعم.

الشيخ عبدالله الترابين :

أثناء إنتظارى للتوجه للصليب الأحمر للإبلاغ عن فقد الدكتورة إيزيس إذ بأحد غلمان الشيخ عتمان قادماً نحوى مُسرعاً يخبرنى بأنه قد تم العثور على حاتم والدكتورة وهم بحالة صحية جيدة، لم أستطع ستر إنفعالاتى فصحت طلباً فى بدور وزوجها الذين أقبلا وهما فى حالة تخوف لكنهما شاهدا الغلام وشاهدا الفرحة على وجهى فإنعكست عليهما وتسائلت بدور عما حدث، أخبرتهما بالخبر السعيد وسرعان ما قفزا فوق الجمل وتوجهنا لعشيرة الشيخ عتمان.

بـــدور :

لا أستطيع وصف مشاعر السعادة التى كنت أشعر بها، فبعد حزن دفين على فقد صديقتى الجميلة إيزيس القادمة للبحث عن خطيبها حاتم الذى تأكد للجميع خبر وفاته إذ بالإثنان يظهران معا ويجتمعان وها نحن نتوجه للقائهما، أى سعادة تلك بأن نعود جميعاً للقاهرة وقد إكتملت الفرحة بزواجى من سلامة ابن عمى وإيزيس التى ستتزوج من خطيبها حاتم بعد أن تأخر هذا الزواج عدة أشهر بسبب الحرب التى نشبت.

مجرد دخولنا عشيرة بنى عتمان قام سلامة بتنخيخ الجملين وقفزت أرضا أعدو صائحة (إيزيس .. إيزيس) شاهدتها تظهر كالقمر المضىء بعد أن هبط الليل بستارته السوداء لكن ضياء إيزيس أنار مكان العشيرة.

إلتقينا بالفرحة والأحضان والقبلات ودموع الفرح باللقاء وإنقاذها من براثن سيول سيناء القاتلة التى تجرف كل من يقف أمامها مهما كان حجمة وثقل وزنه، تأبطت ذراعها وإصطحبتنى ومعى سلامة إلى الخيمة ودخلناها فشاهدنا شاب يجلس هادئاً حاول الوقوف لإستقبالنا لكن إيزيس طلبت منه أن يستمر فى الجلوس بينما أسرعت وخلفى سلامة لمصافحته وتهنئته على سلامته وسلامة إيزيس وإجتماعهما معاً.

جلسنا جلسة طيبة فى نهايتها طلبنا منهما العودة معنا لكن الشيخ عتمان طلب تأجيل هذا للغد لأنه أرسل فى طلب الشيخ بركات للقيام بالكشف على الأثار السلبية التى سببتها الأمطار للشاب حاتم لأنه من المعروف أن وجود

إنسان فترة طويلة بداخل المياه وجسده به حروق شديدة قد يترتب عليها آثار سلبية ولهذا فسوف يظل منتظراً حتى يتم الكشف عليه.

الشيخ بركات :

حضرت بناء على إستدعاء الشيخ عتمان لى لفحص حالة الشاب المصاب حاتم زوج ابنته وجدان بعد تعرضه لتيارات هوائية باردة وغمر جسده بالماء لفترات طويلة وأعلم بحكم التجربة أن هذا قد يسبب بعض المشاكل الصحية للشاب.

قمت بفحص حاتم فى وجود إيزيس ووجدان وتبين لى أن الشاب تأثر سلبياً بمياه الأمطار، قمت بدهن جسده بعصير البصل لفترة ثم غسلت المكان وجففته بعدها قمت بدهن جسده بزيت الزيتون وطلبت من الشيخ عتمان زيادة جرعة هذا العلاج يوميا لتصل إلى أربع مرات كل ثلاث ساعت يدهن جسده ويترك المكان المصاب عار كى يتشرب الجسد الزيت.

***

بعد أن غادر الشيخ بركات المكان جلست أم وجدان مع إبنتها وإيزيس يتحدثون فى حال الشاب وأخبرتهن بالخبر الصادم الذى أخبر به الشيخ

بركات زوجها بأن مياه الأمطار أثرت سلبياً على جسد حاتم وقد يؤدى هذا إلى تقيح المكان المصاب بالحرق مما يؤدى لوفاته بعد عدة شهور.

بكت كل من وجدان وإيزيس وعادت تطن بأذن إيزيس كلمات أم حاتم (لو كنتى تزوجتى حاتم وحملتى منه لأمكنك أن تخففى عنى وعن أبوه قسوة وفاته بأن يشاهد حفيده أمامى الذى هو إمتداد لحياة ابنى الذى فقد حياته فى بداية الشباب).

بعد أن هدأت إيزيس قررت التوجه بالغد لمقر شيخ القبيلة والتحدث مع الخالة أم بدور فى هذا الأمر، فى الصباح تحرك الركب المكون من جمل حمل السيدتين والحمار الذى حمل حاتم حتى وصلوا لدار الشيخ الذى إستقبلهم بحفاوة مع حفاوة إبنته وزوجها سلامة.

عصر هذا اليوم إنفردت إيزيس بالخالة أم بدور وأخبرتها بنصيحة الشيخ بركات كما أخبرتها بأمنية أم حاتم التى سمعتها منذ عدة شهور حينما تأكد لهم وفاة حاتم بعد فترة تفكير أخبرتها الخالة بأنه من الممكن أن يقوم الشيخ عبدالله بإجراء العقد عليك وعلى حاتم وتزفى إليه وتصبحى زوجة له إلى أن يأتى وقت العودة وقد علمت من الشيخ بأنه بعد أسبوع، فقد توجه بالأمس وطلب من الصليب الأحمر تصريح زيارة حاتم لأهله بالشرقية.

أصابت إيزيس الدهشة والفرحة فى آن واحد، الدهشة لأن هذا الزواج مخالف لما يتم بالقاهرة وبالمدن الكبرى والفرحة بأنه يمكنها الحمل وإنجاب الحفيد لأم حاتم ووالده، لهذا سألت الخالة هل هذا الزواج شرعى وقانونى وأجابت السيدة بأنه شرعى وقانونى وقد شاهدت زواج صديقتك بدور بتلك الطريقة ويمكنك بعد العودة لمصر أن تسلكى مسلك بدور ويقوم المأذون الشرعى بالعقد ثانية بحيث يكون معك وثيقة زواج رسمية معترف بها فى تلك البلاد.

اليوم التالى أخبرت إيزيس صديقتها بدور بما تم مع أمها وأيدت تلك الفكرة وطالما أن حاتم مُعرض للخطر فيمكنك الإسراع بهذا العقد والزواج كى تحملى منه قبل أن يصبح عاجزاً عن أداء تلك المهمة التى خلقها الله للبشر الأسوياء.

مضت عدة أيام وتم عقد زواج حاتم على إيزيس عقدا شرعيا بحضور عدد من الشهود وموافقة الطرفين، كانت السعادة طاغية لكل من حاتم وإيزيس وبالأخص حاتم الذى توقع أن تتخلى عنه إيزيس عندما شاهدت آثار الحروق التى طالته أثناء علاج الشيخ بركات.

كانت وجدان سعيدة هى الأخرى فقد رغبت بأن تشاركها إيزيس فى تحمل المعاناة التى ستنجم عن وفاة زوجها حاتم وعلمت أن الشيخ عبدالله بناء على طلب من الشيخ عثمان والدها إستصدر لها تصريحا لمرافقة حاتم

وإيزيس وسلامة وبدور للسفر للقاهرة ولم يتبقى على هذا الموعد سوى عشرة أيام.

خلال تلك الفترة تأكد لها أنها حامل وأبلغتها أمها بأنكِ ستضعين طفلك فى شهر أغسطس القادم، بعد ثلاثة أيام من الزواج شعرت إيزيس ببداية الحمل من الأثار التى تصاحب هذه الحالة من غثيان وقىء، نظر حاتم لمن حوله غير مصدق أن هذا الجسد البالى الذى إقترب منه الموت بسرعة أكبر من سرعة إبتعاد الحياة عنه أنه سوف ينجب طفلين من زوجتاه.

أم حاتـم :

لا أعلم السبب وراء إنكار كلّ من أم وأب إيزيس لإبنتهم وكلما سألت عنها يأتينى الرد بأنها غير موجودة وأنها تعمل حاليا بمدينة السويس لمساعدة أسر العائلات المهاجرة لداخل الوطن تجنباً لآثار قذائف مدفعية العدو على المدينة.

لدىّ إحساس بأنهم كاذبون وأن ابنتهم تزوجت بشاب يعمل معها أو قريب لها وما المانع فى هذا فالحياة تسير والله يوزع رزقه والأعمار بيد الله ولا راد لقضائه رغم الحزن الذى يعتصر قلبى، أفكر بأن أشد الرحال وأقوم على زيارتهم زيارة مفاجئة لأعلم الحقيقة لكن والد المرحوم حاتم يمنعنى من هذا وأن هذا لا يليق بأبناء الناس المحترمين ولا يليق أن نتصرف بتلك الطريقة مع أولاد العائلات المحترمة.

أحمـد الطحـاوى :

لن أنسى مشاعر الدكتور حمدى والد خطيبة ابنى المرحوم حاتم حينما تحدثت معه منذ أكثر من شهر، لقد طلب منى عهداً بألا أخبر أحداً بما سيخبرنى به، أقسمت له بأننى سوف أكون أميناً على كل ما يقول وسوف لا

أخبر أحد حتى زوجتى، لقد طلب هذا خشية أن يزلف لسان زوجتى حُزناً وتأثراً على حاتم.

حاج أحمد، ابنتى إيزيس تنكرت فى شخصية سيناوية وسافرت سيناء للبحث عن خطيبها وقررت بأنها لن تعود إلا بعد معرفتها بأخبار عنه، فإذا كان حياً ومصاب وتلك الإصابة تمنعه من العودة ستظل بجواره وإذا كان أسيراً والجيش الإسرائيلى ينكر خبر أسره فستعمل كل ما تستطيع مع الصليب الأحمر لفك أثره وإذا كان شهيداً ولقى ربه فسوف تعلم أين قبره تقوم على زيارته تقرأ الفاتحة على روحه الطاهره حتى إذا أزال الله الإحتلال تستطيع أن تصحبنا لزيارة قبره والترحم عليه.

أرجوك يا حاج أحمد أن تقدر مشاعر أب فقد ابنته ولا يعرف عنها أى شىء بل هى من طلب أن نخفى عن الجميع أين ذهبت، برجاء أن تقدر حزنى على ابنتى وأخف ضرر قد يصيبها هو سجنها بإسرائيل والأشد خطرا فقدها لحياتها، وأصدقك القول إذا علمنا أى خبر بخصوصها أو بخصوص خطيبها سوف أتصل بك.

سمعت حديث والد إيزيس خطيبة ابنى، ما الذى تستطيع أى فتاة أن تقوم به نحو خطيبها أكثر من هذا، لقد ضحت بحياتها وعملها وأسرعت تعدو خلف سراب خادع فى جوف صحراء سيناء الرهيبة، الله معك ويصبر هذا الأب الملتاع على حياة ابنته الذى كان يبكى وهو يخبرنى عما قامت به وأن

أمها لا تنام الليل ولا تشعر بالراحة طيلة النهار متنبه لأن يصلها خبر حزين عن ابنتها الشابة.

إيزيـــس :

إقترب موعد عودتنا لأرض الوطن، مصر أمنا وسوف نترك الجزء الصغير والأصيل الذى تم نهبه العام الماضى وهى سيناء المحتلة، نحن الآن منتصف شهر فبراير من عام ١٩٦٨ وبالغد سوف نتحرك صباحاً إلى مدينة العريش كى نستقل سيارة تحملنا إلى نقطة تبادل الأسرى والنازحين بين مصر وإسرائيل.

لم يغمض لى جفن ورغم أن حاتم ينام بالقرب منى بعدة خطوات وفى الجانب المقابل من الخيمة تنام وجدان زوجته الأولى كما أن تصاريح العودة وصلت مع الشيخ عبدالله وكل شىء مرتب إلا أننى أشعر بأشياء غير طبيعية وإضطراب فى نفسى ما بين الفرحة والحزن والخوف والشجاعة.

هل سنصل إلى بر الأمان؟ أخشى الاعيب الجيش الإسرائيلى ومن الممكن أن يتشككوا فى حاتم أو فى شخصيتى ومن المحتمل أننا كنا مراقبين خلال الفترة السابقة التى تعدت خمسة أشهر بعدة أيام، بل أن الشيخ عبدالله حذرنا من إنتشار عملاء إسرائيل بين القبائل البدوية فى كل مكان من سيناء.

ما هو المبرر المعقول الذى سوف أعرضه على والدايّ وهل سيصدقان أن ما فعلته يطفو ويعلو عن قيم الحب بين إثنان تعاهدا على الزواج والإخلاص وأن كل ما فعلت من أجل إشباع حب وحنين الأم الثكلى على إبنها حاتم التى كانت تصحو وتنام تتمنى أن يعود الزمن بها كى تدفعنا للزواج والحمل من إبنها لأنجب لها الحفيد الذى يرطب قلبها على فقد ابنها.

هل عودة حاتم معى إلى بلدته ووالديه ستسعدهم رغم إصابته تلك، تلك الإصابة التى مازالت تؤلمه وتمنعه من الحركة بسهولة بل إن عملية لقائى به كزوج وزوجة كانت فى منتهى الصعوبة ولولا حبه لى وتشجيعى له بأن يكمل تلك العلاقة لإنتهت دون نتيجة لأنها كانت صعبة بل كان يشعر بألم شديد وحدثنى بعد هذا اللقاء بأنه كان يشعر بأن سكينا يقطع جلد ظهره الجاف المتيبس.

ما حدث قد حدث وأنا ابنة الغد ولا داعى للتعلق فى كلمة (لو) فليس لها محل من الإعراب أو التقدير، لأن كل ما قمت به كان من بنات أفكارى وكنت أعتقد به أشد الإعتقاد بل كنت أدعو الله فى كل خطوة بأن أصل للخطوة التالية حتى إلتقيت حاتم وإرتبطت به وحملت منه كرغبة أمه وسأعود به أسلمه لها تقبله وتسعد بسماع صوته حتى إذا جاء القدر لن يستطيع أحد منعه وفى النهاية سوف يصبح جسد فانٍ فى قبره بجوار منزل عائلته يقومون بزيارته والدعاء والترحم عليه.

وجـــدان :

منذ يومين حينما علمت أمى بأن شيخ القبيلة استصدر تصريحا لى لمرافقة زوجى حاتم وأمى فى إضطراب وأنا أيضاً، سأترك سيناء إلى عالم مجهول لا أعلم أى شىء عنه غير بيانات وحكاوى عن مصر الجميلة الكبيرة التى يستخدمون بها السيارات فى التنقل وليس بها جمال أو حمير أو أغنام أو نخيل، لو لحقت بزوجى هل من الممكن أن يبتاع لى بعض الغنم والماعز كى أستثمر وقتى وأستكمل باقى خبرات حياتى السابقة.

لقد أخبرتنى الدكتوره إيزيس بأن مصر بلد جميل وأن المياه نحصل عليها من الحائط بقطعة حديد يطلقون عليها حنفية مثل التى شاهدتها فى مستشفى العريش قبل عامين حينما حصلت على دورة تدريبية لمعاونة النساء فى البادية على العلاج والحصول على العلاج بالحقن نظراً لإمتناعهم عن الظهور أمام الأطباء.

بل شاهدت شيئاً مثل الحبل يتدلى من سقف المبنى يضىء بالليل دون كيروسين او شمع او زيوت، كلها أشياء جميلة، بمستشفى العريش شاهدت شىء مثل الصندوق الأبيض وله باب ويوضع بداخله الطعام والشراب وعند استخدامه نشعر ببرودة الطعم المقارب لمياه القربة الممتلئة مياه وتوضع خارج الخيمة حتى الصباح ونشعر بطعم المياه الباردة الجميلة.

الشيخ عتمـــان :

قبل أن يتوجه الشيخ عبدالله لمدينة العريش لتسجيل اسماء من يحتاج لتصريح للعودة للإسماعيلية وبأن ابنتى وجدان سترافق الزلمة حاتم زوجها توترت قليلاً لكنه أشاح فى وجهى بأن الحُرمه يجب أن تتبع زوجها وكيف ستتركها دون زوج مثل الغنمة الأرملة التى مات عنها كبشها وباقى الكباش الأغراب راغبين بها، إحتشم يا شيخ عتمان ودعها ترافق زوجها وهو من عائلة الطحاوية أحد بطون عائلة الترابين بمحافظة الشرقية وهو ضابط له دخل وقيمة بين الناس.

وجـــدان :

تلك هى الليلة الأخيرة بين العشيرة، رغبت فى لقاء زوجى وذهبت إلى مخدعة ونمت بجواره أبثه حبى وأشواقى لكنه كان جامداً لا يتحرك وطلب منى بهدوء أن أدعه لأنه مُتعب ولنؤجل هذا العمل إلى وقت لاحق بعد عبور القناة وهناك بالإسماعيلية يمكن إستئجار عدد من الحجرات نقيم بها وأقوم نحوك ونحو إيزيس بما يجب على كل رجل أن يقوم به نحو زوجته لكن حالتى الصحية اليوم متعبة للغاية.

تحطمت أحاسيسى ومشاعرى فأنا احبه ولم أجرب الحب مع أحد قبل هذا فأنا غنمة طيعة لم أترك حظيرة العشيرة قبل هذا ولم ألتقى بكبش يداعب

مشاعرى وأحاسيسى وبالطبع فأنا أصغر عمراً من زوجته الثانية التى تجيد الكلام والحديث وفى بعض الحالات تتحدث معه بلغه مشابه لما كنت أسمعه من أطباء مستشفى العريش، من المؤكد أنها كانت تطلب منه عدم إعطائى حقى كزوجة كى يظل لها وحدها ولا يصيبه الملل والتعب مثلما نلاحظ هذا على التيس الذى حوله العديد من الماعز الشابة وبالتالى يصبح مُجهداً.

شعرت بأن حاتم يقترب منى أثناء الليل فأسرعت أستقبله لكنه طلب منى الهدوء والسكون ومما أدهشنى أننى شاهدت الزوجة الثانية تستبدل ملابسها لقد خاننى الإثنان وإستمتعا طوال الليل أثناء نومى، بكيت لكنه أسرع يطيب من خاطرى وأقبلت إيزيس تطبطب على كتفى وتقبلنى وبأننا نستعد لمغادرة القبيلة، لقد سبقتنا بدور وزوجها وهما أمام الخيمة وعدد من الجمال التى سوف تحملنا إلى مدينة العريش، هيا إرتدى ملابسك كى تتحركى معنا.

نسيت ما كنت حزينة من أجله بل شعرت بأننى أسأت الظن بهما ولهذا سارعت بإرتداء ملابسى لكن إيزيس طلبت منى نزع ملابس النوم وإرتداء ملابس الخروج بمفردها ووضع الملابس الأخرى بحقيبة من سعف النخيل أتى بها أحد غلمان الشيخ عبدالله.

نهضت وغادرت الخيمة ومعى كلٌ من حاتم وإيزيس، كل واحدة منا وقفت على أحد الأجناب لمعاونة حاتم الذى كان يتحرك بصعوبة رغم سعادته، إستقبلنا الشيخ عبدالله وتحركنا إلى خيمة أخرى حيث كان الطعام

مُعد، جلس الجميع حول صينية كبيرة من النحاس لتناول الطعام الطازج الهنيىء.

بعد الإنتهاء من تناول الطعام تحدث الشيخ عبدالله بأننا سوف نتحرك بعد ساعة زمن ركوبا فوق الجمال وأعددنا حماراً للزلمة حاتم، سنقطع المسافة حتى مدينة العريش فى أربع ساعات، منتصف المسافة نحصل على راحة ساعة نتناول خلالها طعام خفيف نستكمل بعدها طريقنا للمدينة، لا أريد من أحدكم أن يتحدث مع أى فرد من دوريات العدو التى سنلتقى بها أو الكمائن الموجود قبل مدينة العـــريش ومعى التصاريح وأنا معروف لديهم وسأتولى الحديث إذا لزم الأمر.

مضى علينا الوقت بطيئاً لكننا كنا سعداء وكان حاتم أكثرنا سعادة فهو يعد الأيام بل والساعات منذ تلاقينا منذ تسعة أشهر على الأقل بعد إصابته بحروق شديدة أزعم أننى قمت بما أستطيع والحمد لله بدا يشعر بالتحسن لكن ساقه اليمنى يواجه بها مشكلة لعدم إستطاعته ثنى الركبة للحركة أو الجلوس أو النهوض.

فى أحد المرات صرح الشيخ بركات لأبى بأن الزلمة حاتم من الممكن علاج مشكلته تلك لكن بأحد المستشفيات ولو إستطعنا التوجه به لمستشفى العريش فمن الممكن أن يتم علاجه، لكن أبى تخوف بأن يكتشف الإسرائيليين أمره ويعتقل أو يقتلوه ولهذا فإنه تجاهل تلك النصيحة.

نقترب من مشارف المدينة وشاهدنا على مسافة مائة متر تقريباً دورية للجيش الإسرائيلى، توقفنا بالقرب منها بإشارة من أحد الجنود وطلب من الجميع ترك الجمال والحمار وإبراز التصاريح التى يحملونها، كان الجندى يتحدث العربية بلهجة أبناء العراق.

تخلينا جميعاً عن ظهور الجمال وتقدم الجندى من حاتم وصاح به ألا تنفذ ما أمرك به، إترك ظهر الحمار الذى يفهم أكثر منك، غضب حاتم وحاول ترك ظهر الحمار لكن ساقه لم تساعده فغضب الجندى وأسرع بدفعه من فوق ظهر الحمار فسقط أرضا يتلوى من الألم.

الشيخ عبـــدالله :

كان الجندى الإسرائيلى عنيف وبذيىء اللسان وهمجى وتمت حركته الإنفعالية بسرعة لم أتوقعها وشاهدت حاتم مستلقيا على الرمال من دفعة الجندى له فى نفس الوقت تحرك أحد زملائه الذى رحب بالشيخ عبدالله بداية اللقاء نحو زميله كى يمنعه من تصرفاته معنا لكن وجدان وإيزيس كانتا أسرعنا جميعاً فى ردة الفعل.

قفزت السيدتان على الجندى ضربا وصفعاً وناله الكثير فى وقت قصير ومما أهاج تصرفه بعض أظافر إيزيس التى مزقت وجهه فإذ به يضرب

السيدتان بمؤخرة البندقية فى الرأس فسقطتا على الأرض بعد أن أطلقت كل واحدة صرخة قوية.

كاد سلامة يتحرك للدفاع عنهما لكنى أشرت للجميع بالسكوت وتوجهت لقائد الدورية الذى قدم إعتذاره وإتصل بقيادته التى أرسلت سيارة إسعاف للجيش الإسرائيلى حملت حاتم وزوجتيه للمستشفى، طلبت من سلامه أن يصطحب زوجته إلى مقر مكتب الصليب الأحمر وسوف ألحق بهما.

بمستشفى العريش العام الذى أصبح مستشفى عسكرى إلتف الأطباء حول المصابين وبعد مُضى ساعة زمن أقر الأطباء ببقاء كل من حاتم وزوجتيه بالمستشفى لإستكمال العلاج، لقد تسبب عنف الجندى فى وضع سيىء لحمل وجدان وترتب عليه حالة إجهاض كما أن ساقها الأيمن يحتاج إلى غلالة جبس نظراً لشرخ بعضمة الساق تمنعها من الحركة، والسيدة إيزيس بها بعض الكدمات بالكتف الأيمن أما حاتم سيقوم الأطباء بعلاج آثار الحروق التى لحقت به نتيجة للحرب التى تمت العام الماضى.

تعقد الأمر بالنسبة لحاتم فقد إكتشفوا أنه مصاب بحروق نابالم وتشكك الطبيب هل هذا جندى؟ وكانت إجابتى بأنه من شباب القبيلة وكان يرعى الغنم عندما هاجمت الطائرات موقعاً للجيش المصرى وأصابت الكثير من الدفعه ومنهم هذا الشاب حاتم ابن أخى وإثنان آخران من القبيلة توفيا فى الحال.

شعر الطبيب (هانز) وهو ألمانى الجنسية بأن نيران المعركة وصلت إلينا دون ذنب وإقترب منى مؤكداً بأنه سيبذل كل ما فى وسعه لعلاج هذا الشاب وعلاج ساقه المتيبسة، أما علاج تشقق الجلد بمنطقة الظهر سوف يقوم به أطباء إسرائيليون وأخبرنى أن الكثير من تلك الحالات كان يساعد فى علاجها أثناء الحرب العالمية الثانية عندما كان طبيب صغير بالجيش الألمانى.

شاهدت على حاتم علامات الرضا من حديث الطبيب المترجم من إحدى الممرضات الإسرائيليات والتى تعمل معه وهى من أصول عربية، بدا الرجل عمله وقد بلغ الستين عاما من عمره ولديه خبرة سابقة، أخبرت الممرضة بأننى سأترككم ساعتين زمن أستكمل فيها التحقيقات التى يجريها قائد الوحدة التى تعدت على أهلى بالضرب.

كان الميجور شافيت قائد الدورية رجلاً هادئاً حكيماً لا يرغب فى إفتعال مشاكل مع البدو وكان لصيق الصلة بقبيلتى ومن حين لآخر يأتى للزيارة المعتادة ويعرض علىّ بعض أمور تخص أمن المنطقة، قدم إعتذاره وبأنه سيوقع العقاب على الجندى الذى تعدى حدوده رغم أن الجندى أسف لما حدث فلم يكن يعلم أن البدوى مصاباً بحروق جسيمة تمنعه من تنفيذ الأمر لكن قيادته أمرت بعقد مجلس تحقيق له للتسبب فى إجهاض السيـدة البدوية (وجدان).

هكذا غادرت مكتب القائد بعد أن خشيت من حدوث أى عواقب قد تحدث جراء هذا الإشتباك اليدوى مع جنود الدورية والتى شاهدت الجندى يعالج بالمستشفى بعد أن تمزق وجهه بأظافر زوجتىَّ حاتم اللائى دفعن عنه بإستماتة.

أمام مكتب الصليب الأحمر كانت الأمور تسير سيراً حسناً وسلمت تصاريح حاتم وزوجتيه للمكتب لإستبدالها بأخرى حين شفاء حاتم وزوجتيه وبأنهم متواجدون بالمستشفى العسكرى بالعريش، رغب مندوب الصليب الأحمر أن يكتب ما حدث فى تقريره لقيادته لكننى طلبت منه ألا يفعل هذا لأن ما حدث كان سببه سوء فهم بين أبناء قبيلتى وجنود الدورية.

صافحت كل من بدور وزوجها سلامة وطمأنتهما على حال المصابين الذين سيلحقون بهما بعد الإنتهاء من تلقى العلاج وأن القائد الإسرائيلى سوف يعاقب الجندى الذى تسبب فى كل تلك الإصابات وطلبت من بدور أن تتصل بعائلة إيزيس وتبلغهم نبأ عثورها على حاتم وأنهما خلال شهر سيعودان للقاهرة ولا داعى لإعلامهم بما حدث اليوم من التعدى عليهما.

فى السماء عُدت إلى القبيلة وأرسلت فى طلب الشيخ عتمان الذى أقبل مُسرعاً وأخبرته بما حدث من تعدى جندى إسرائيلى على حاتم وزوجتيه شاهدت الحزن الكامن على وجهه وبأن علاقة الزواج بين الزلمة وابنته قد

إنتهت، حاولت معه عبثا تخفيف أثر ذلك عليه لكنه كان صلداً وطلب منى بحكم الإبوة والصداقة عدم سفر إبنته إلى مصر بعد شفاء الدفعة حاتم.

وجـدان :

تنبهت من حالة فقد الذاكرة التى أصابتنى بسبب إعتداء الجندى الإسرائيلى علىّ بعد تعديه على حاتم وشعرت أن ساقى تؤلمنى وشاهدت حاتم وإيزيس معى بسيارة الإسعاف، وصلنا إلى المستشفى بمدينة العريش وقام الأطباء بالفحص وتبين لى بأن إصابة شديدة لحقت بساقى اليمنى وتحتاج إلى وضع لفافة الجبس من حولها والتى تمنعنى من الحركة لأكثر من شهر لكن الصدمة القوية بأن إحدى الممرضات أبلغتنى بأن حملى قد أجهض لدفع الجندى البندقية بظهرى.

لم أشعر إلا بالدموع تندفع من عيونى وكانت إيزيس تعمل على مواساتى ومؤكدة لى بأنه بعد مغادرة المستشفى تستطيعين الحمل مرة ثانية، لكنى كنت أشعر بأن علاقتى بحاتم فى طريقها للزوال فقد إنتهت بنهاية حملى لإبنه ومن المؤكد أن أبى سيرفض أن ألحق به وسأظل أقيم معهم بالقبيلة.

إيزيس :

هاجمنى شعور سيىء وأن فرحة اللقاء سوف تزول وسوف يظل حاتم حبيسا بسجون العدو الإسرائيلى رغم حالة الألم التى كنت أعانى منها للرضوض التى لحقت بى من دفع الجندى لى بظهر البندقية فى كتفى إلا أننى كنت فى غاية الحزن لما ألم بوجدان وفقدها لحملها الأول.

أشعرنى هذا بمسؤلية كبيرة وقعت على عاتقى، يجب علىّ الإحتفاظ بحملى هذا لأن حمل وجدان فشل كما علمت من الطبيب الألمانى عندما تحدثت معه بالإنجليزية وعرفته بوظيفتى بأن أطباء حاتم أكدوا له أن حاتم لن يستطيع الإنجاب مرة ثانية لحالة الإصابة التى لحقت بظهره وتسلل ميكروب إلى العمود الفقرى سوف يمنعه من ممارسة العلاقة الجنسية مع زوجته مرة أخرى.

الآن وضحت الرؤيا، حاتم لن يستطيع الإنجاب كما أن حمل وجدان فشل ولم يتبقى أمام أم حاتم سوى حملى الذى أتيت خصيصا كى أحقق تلك الأمنية لهذه الأم العظيمة بعد أن إستعوضت حياة إبنها وكانت كل أمنية حياتها التى تفكر فيها إنجاب الحفيد قبل هلاك الوليد.

حـاتم :

لقد كانت صدمة كبيرة لى عندما تعدى علىّ الجندى الإسرائيلى والذى دفعنى من فوق ظهر الحمار فسقطت أرضا شعرت أثنائها أن عظامى

تحطمت وتمزق جلد ظهرى ومن شدة الألم لم أستطع التحدث أو طلب المساعدة كدت أدخل فى نوبة إغماء لولا ما حدث وما شاهدته بجوارى.

شاهدت وجدان تقفز لأعلى تدفع الجندى فى وجهه وتسبه وتضربه بكلتا يديها ولحقت بها إيزيس، شعرت بخطورة شديدة عليهن، فجنود الجيش الإسرائيلى ما هم إلا من الرعاع من شباب الشتات من بقاع العالم ومن أدنى طبقات اليهود الإجتماعية والثقافية والأخلاقية ينتشر بينهم الفحش والرزيلة وتعاطى المخدرات.

لم يستكين الجندى فشاهدته يهوى على ظهر وجدان بدبشك البندقية فسقطت أرضاً بعد أن أطلقت صيحة مدوية حاولت خلالها النهوض لكنى شعرت بالعجز وعدم المقدرة للدفاع عن زوجتى بل لحقت بها إيزيس إذا تعدى عليها الجندى بعد أن مزقت وجهه بأظافرها الطويلة مما دفع الجندى للصياح والسباب وهوى على كتفها بدبشك البندقية فسقطت بجوار وجدان.

شاهدت شجار لفظى بين الشيخ عبدالله وبعض الجنود وكاد أن يلحق بهم كل من بدور وزوجها لولا تدخل قائد الدورية الذى إمتص غضب الشيخ عبد الله سرعان ما إتصل بسيارة إسعاف عسكرية إسرائيلية حضرت مسرعة وتم نقلنا نحن المصابين الثلاثة إليها ولحق بنا الشيخ عبدالله.

بالمستشفى قام بعض الأطباء بالكشف عن الإصابات التى لحقت بى ولم أتمكن من متابعة زوجاتى الإثنتين، مضى الوقت وبعد ساعة زمن بدأ بعض الأطباء فى علاج ساقى واليوم التالى قام بعض الأطباء بعلاج ما أصاب ظهرى من تسلخات وآلام، وبعد مضى عدة أيام علمت من زيارة سريعة قامت بها إيزيس لحجرتى بالمستشفى وبأن وجدان قد إجهض حملها متأثرة بتعدى الجندى عليها بالضرب.

لا أستطيع التعبير عما لحق بى من آلام نفسية فقد وطنت نفسى على ميلاد طفلين لى من زوجتاىّ، لقد حرمت وجدان من هذا الحمل الذى كان سيجعلها أم حنون ولقد شعرت بتلك العاطفة المتأججة فى تصرفاتها مع الأغنام التى كانت تشرف عليهم، دعوت الله أن ينقذ إيزيس من جريمة فقد وجدان لطفلها، لقد شعرت باننى سوف أصبح عاجزاً جنسيا من حديث لأحد الأطباء مع زميل له والذى أقبل نحوى يقدم مواساته فى هذا الألم النفسى الكبير.

الشيخ عبدالله الترابين :

بعد عشرة أيام عدت إلى المستشفى بناء على طلب الدكتور هانز وبأن حاتم والسيدتين تم علاجهما ويمكنهم ممارسة حياتهم لكن السيدة التى تم عمل جبس حول ساقها ستحتاج لعدم الحركة لمدة شهر تقريباً، كل هذا أخبرنى به الشباب الذى كان دائم الزيارة للمصابين بالمستشفى يوميا.

قبل مغادرة المستشفى أخبرنى الطبيب الألمانى دكتور (هانز) بأنه أنهى جراحة بركبة حاتم وأن العملية تمت بنجاح وأن الأطباء الإسرائيليون قاموا بكل ما إستطاعوا للتخفيف من أثر الحريق الذى عمل على هتك الطبقة الجلدية السطحية للظهر، بكلمات قليلة ونظرات مركزة تحدث هانز مع إيزيس بلغة أخرى فشحب وجهها، تسلمنا خطاب للخروج من المستشفى وخطاب آخر يوضح حالة حاتم الصحية.

شـيخ القبـــيلة :

عُـدنا إلى مقر القبيلة وإلتفت النساء حول السيدتين المصابتين وأدخلوا البهجة والسعادة على قلوبهم، أخبرت زوجتى بأننى طلبت من ابنتى بدور أن تخبر والد إيزيس بأنها بخير ومن المحتمل أن تعود خلال شهر كما تسلمت خطاباً من الصليب الأحمر موجه لمكتب القاهرة لمخاطبة مستشفى قصر العينى بأن إيزيس حمدى تعالج بمستشفى العريش الآن وسوف تتأخر بعض الوقت ولهذا فالمكتب يطلب مد فترة الإجازة شهراً آخر حتى تتحسن حالتها.

أما عن الشيخ عتمان فقد حضر بصحبة زوجته بعد أن أرسلت فى طلبه وشاهد ابنته وعلم بما حدث وبدا الحزن على زوجته لفقد إبنتها الجنين ولتصميم الشيخ عتمان على عدم سفرها للقاهرة ورغبته بطلاق وجدان من

زوجها حاتم، لقد كان راغباً فى عودة ابنته معهما لكنها فضلت البقاء بجوار إيزيس.

طلبت من إيزيس أن تلحق بى وبعد أن إبتعدنا عن آذان الناس سألتها عما أخبرها به الطبيب وبدى الإنزعاج على وجهها، صرحت لى بما قاله الطبيب بأنه من الواجب علينا بعد عودة حاتم إلى مصر أن يقوم الأطباء بفحص ظهر حاتم لأنه يتشكك فى علاج الأطباء الإسرائيليين الذين أكدوا له بأن هذا المريض هو من ضمن أفراد الجيش المصرى وبالمنطق لن نعيد لمصر أحد أفراد جيشها بحالة صحية تسمح له بمعاودة محاربتنا.

أصابتنى حالة من الفزع، فمازال الإسرائيليون القتلة لا يستثنون أحد حتى المرضى والأسرى من القتل والتعذيب، لهذا طلبت من إيزيس التكتم على الخبر حتى عودتها لمصر وتخبر المسؤلين بالجيش بما سمعت وشاهدت.

ردود الأفعـــال

بـــدور :

ودعت أبى ورافقت سلامة زوجى ونحن فى أسوأ حال، فما شاهدناه منذ ساعات قليلة آثار حزننا وضيقنا من تعدى الجندى الإسرائيلى على حاتم المريض الذى مازالت ترافقه آلام الحروق منذ عشرة أشهر تقريباً، بل مما زاد الطين بلة هو التهجم على صديقتى إيزيس ووجدان السيدة الصغيرة بالضرب بمؤخرة البندقية وسقوطهما أرضاً ومشاهدتى لأثار الدماء المندفعة من رأس كل واحدة.

لن أنسى تلك الأحداث وسوف أحزن لحال بدو سيناء الذين سيتعرضون لمثل تلك التصرفات يوميا من آلاف الجنود المنتشرين بسيناء وقد علمت خلال فترة وجودى بين أهلى بأن اسوأ جنود اخلاقيا بإسرائيل يدفعون بهم للجانب المصرى.

الحمد لله فقد عبرنا قناة السويس للجانب الغربى وأشعر بتحسن حالتى الصحية لشعورى بالأمان بوطنى وبين رجال الجيش والشرطة المصرية مازلنا فى الطريق للقاهرة وبالغد سوف أتحامل على نفسى وأقوم بالإتصال بوالدة إيزيس صديقتى كى أطمئنهم على حالها.

إستيقظت صباح اليوم أحسن حالاً رغم شعورى بالتعب البدنى الذى لحق بالتعب النفسى من جراء ما حدث أمس بمدخل مدينة العريش، سأبدأ إتصالى بوالدة إيزيس وأتمنى من الله أن يزيدنى قوة وتماسكاً ولن أتطرق لما حدث لها بالأمس.

والدة إيزيس :

كما هى العادة المؤلمة التى تنتابنى منذ سفر إيزيس عند سماعى جرس الباب أو جرس التليفون حتى أسرع متمنية سماع أى خبر عن ابنتى راجياً من الله ان يكون خبراً سعيداً لكن لم يحدث هذا ولم تصلنى أى أخبار عنها قرابة الستة أشهر، أسمع جرس التليفون وأسرع نحوه وأشاهد زوجى المسكين جالساً يرثى لحالى ويشير لى بأن أسير وأتحرك على راحتى ولا داعى للسرعة :

ـ أيوه؟ مين بيتكلم؟

ـ أنا بدور يا تانت فريدة.

ـ بدور مين؟

ـ بدور زميلة إيزيس.

- أهلا بدور والله رجعتينى لأيامك الحلوة مع إيزيس وربنا يفك غربتها متعرفيش حاجه عنها لأن خلاص حبل الصبر قرب يتقطع.

- أنا وصلت إمبارح من العريش وكل الفترة دية كنا مع بعض وحضرت فرحى وهيا بخير.

- طيب وأخبارها إيه؟

- ربنا وفقنا وعترينا فى خطيبها حاتم وكان مصاب فى الحرب ونقله شيخ القبيلة للمستشفى إمبارح وإيزيس قالت ح أفضل جنبه لحد ما ربنا ياخد بيده.

- بتقولى قابلت حاتم ولسه على قيد الحياة، ربنا يبشرك بكل خير يا رب يعنى إيزيس وحاتم مع بعض.

- أيوه يا تانت وطبعا عيلتى معاهم وعاملين لهم عزوة يعنى إطمنى ويمكن إيزيس وحاتم يرجعوا بعد شهر.

- ربنا يكرمك ويجازيك بكل خير لأنك دخلتى السعادة على قلبى وأنا ح أكلم أم حاتم أطمنها على إبنها، شكرا يا بنتى وربنا يخليك أهلك ودايما أسمع صوتك.

- من عينىّ الإتنين، مع السلامة.

ـ الله يسلمك من كل رضى ومن كل حاجه وحشه.

إنتهت المكالمة التى سمع زوجى كل تفاصيلها وإنعكست عليه وأضاء وجهه النور وإنشرح صدره وشاهدته ينهض بنشاط وفرد سجادة الصلاة وتوجه ناحية القبلة وأدى ركعتى شكر لله راجيا منه أن يكمل سعادتنا بعودة ابنتنا إلى منزلها بصحة وعافية، توجه بعدها إلى التليفون وطلب رقم والد حاتم الذى جاء صوته من الجانب الآخر حزينا خافتا مثلما يحدث كل مرة حين نتحدث معه منذ فقد حاتم بالحرب :

ـ الحاج أحمد الطحاوى.

ـ ايوه أنا أحمد الطحاوى.

ـ أنا الدكتور حمدى والد إيزيس.

ـ أهلا بسعادة الدكتور، لسه مافيش أخبار حداكم لحد دلوجتى؟

ـ أيوه عندنا أخبار حلوه زيك؟

ـ ربنا يفرحك جول يا سعادة البيه، أنا مستنظر كلامك الحلو.

دار حديث بين زوجى وبين والد حاتم الذى كان يقاطع كلماته بالصياح بالتكبير والدعاء مهللاً (الله أكبر) كما وصل إلى سمعى صوت سيدة

تتحدث بجوار والد حاتم تبكى وتردد نفس كلمات الأب التى وصلت لزوجى، ترك زوجى التليفون لى كى أستكمل مع والدة حاتم الحديث الذى دار بيننا تتخلله كلمات كثيرة والبكاء تارة والضحك تارة أخرى، هكذا أثلجت مكالمة صديقة ابنتى كلا من العائلتين عائلتنا وعائلة حاتم.

مكتب المخابرات الحربية بالقنطرة غرب :

أرسل رئيس المكتب لقيادته بالقاهرة تأكيد لما سبق ووصله من عملاء المكتب بسيناء بأن النقيب أحمد الطحاوى مازال على قيد الحياة وخلال الفترة الماضية كان فى كنف بعض العائلات البدوية ترعاه وتقدم له يد المساعدة حتى أنه إقترن بأحدى فتياتها، ومنذ عدة أيام كان يستعد للعودة للقاهرة بمعاونة شيخ قبيلة الترابين لكن أحد جنود العدو تشكك فيه وحدث توتر بينه وبين الجندى مما دفع الجندى للإعتداء عليه وهو الآن يعالج بمستشفى العريش بواسطة أطباء إسرائيليين.

المكتب ينتظر الرد بأن نظل على نفس الحال أو تقوم إدارة المخابرات الحربية بإبلاغ الصليب الأحمر للمساعدة على عودته من بين أنياب الإسرائيليين.

بعد مضى عدة أيام أفادت إدارة المخابرات الحربية مكتب القنطرة بأن نظل على نفس الحال فمن المحتمل أن الإسرائيلين لم يكتشفوا شخصية

الضابط حاتم وبإبلاغ الصليب الأحمر من الممكن أن تلفت نظرهم نحوه ويتخذون معه إجراءات أخرى بل من المحتمل أن تطال شيخ قبيلة الترابين بعض التصرفات الضارة لأنه تستر على جنود مصريين مخالفاً بذلك تعليمات الجيش الإسرائيلى.

مستشفى العريش العسكرى " هاداســا " :

مضى أكثر من عشرة أيام على إحتجاز حاتم الترابينى بالمستشفى وكل يومين يقبل بعض أبناء القبيلة للإطمئنان على صحة ابن العم وهل هناك ما ينبىء بقرب مغادرته للمستشفى، أقبل بعض شباب بدو سيناء وجلسوا بجوار السرير الذى أرقد عليه وتحدثوا معى بحديث طيب عن أحوال القبيلة وأحوال زوجتاى.

كان الحديث هادئاً وهم يعلمون أنه من الممكن أن يتصنت الإسرائيليون على هذا اللقاء وكنت أشاهدهم يركزون بنظراتهم نحوى مما يعنى تنبه فى حديثك.

أقبل الدكتور هانز المعالج وتحدث مع الشباب الزائر لى وبمساعدة الممرضة التى كانت تقوم بترجمة حديث الطبيب الذى أخبرهم بأنه قد طرأ تحسن على صحة زميلكم البدوى بنسبة تسمح له بالسير دون الإعتماد على مرافق أو الإعتماد على عكاز لكنه سيظل يزك بقدمه اليمنى ويحتاج لعلاج

طبيعى من الممكن أن نسمح له بالتوجه للقاهرة محملاً بخطاب عن حالته حتى يقوم الأطباء المصريين بإستكمال العلاج، وبالنسبة لمنطقة الظهر فالعلاج الذى تلقاه أثمر عن إزالة القشرة الجافة من طبقة الجلد السطحية وسيقوم الجسم بتعويض طبقة جديدة محلها وبالطبع سيكون الجلد الجديد طرى لين ويشبه الجلد الطبيعى وهذا يحتاج إلى وقت.

علمت فيما بعد أن كل تلك الأخبار كانت مدعاه للفرح والسعادة التى أثلجت قلوب القبيلة وبالطبع زوجتاى وأصبح الأمل بالنجاة من الموت الذى تحدث عنه الشيخ بركات سراباً بعد أن تدخلت عناية الله وتسببت فى علاجى لدى الأعداء الذين تسببوا فى تلك الإصابات المؤلمة التى قاربت على الأشهر العشرة.

كانت وجدان خلال تلك الفترة لصيقة بإيزيس تحاول جاهدة معرفة ما ينتظرها فى مصر كما طلبت توضيحاً منها عن قبيلة حاتم وهل لديهم العديد من الجمال والأغنام مثل الشيخ عبدالله الترابين والذى يعتبر أغنى أفراد قبيلة الترابين لما له من رؤوس الجمال والغنم.

العودة للقبيلة :

بداية شهر إبريل من عام ١٩٦٨ تلقى الشيخ عبدالله خبراً سعيداً من أحد رجاله الذى كان مرساله شبه اليومى للمستشفى للإطمئنان على حالة حاتم

لقد أقبل الشاب يخبر الشيخ بأن حاتم على أحسن ما يكون وسيغادر المستشفى غداً.

اليوم التالى أسرع الشيخ عبدالله وبرفقته الشاب الذى أخبره بالخبر السعيد بأن المستشفى قررت إنهاء علاج حاتم مع تحسن حالته الصحية ولهذا فقد ركب كل واحد منهما الجمل الخاص به مع اصطحاب الحمار المُعد بسرج مريح كى يركبه حاتم ولم يخبرا أى أحد من العائلة.

إلتقى الشيخ بالطبيب الذى أشاد بمقدرة حاتم على تحمل العلاج المؤلم بشجاعة وأنه تماثل للشفاء بنسبة لا تقل عن ٧٥% والباقى يقوم به الأطباء المصريين على نهج العلاج الطبيعى وإليك خطاب به حالة حاتم وما يحتاجه فيما بعد كى يصبح سليم معاف.

شكر حاتم الطبيب وهيئة التمريض وسار بجوار الشيخ عبدالله حتى مكان إنتظار الحمار والجمال وخلال الطريق كان الشيخ عبدالله يردد .. الحمد لله .. الحمد لله .. " أنا شاعر أنك بجيت أحسن من الأول وحالتك فى تحسن " أيده حاتم فيما يقول وأنه لا يشعر بألم أثناء السير كما فى السابق وأشاد بحسن تعامل الطبيب معه وخبرته الواسعة فى العلاج.

عرج الشيخ على مكتب الصليب الأحمر وحصل على تصاريح لكلٌ من حاتم وإيزيس لزيارة مصر وتحدد موعد الزيارة حسب موعد تحرك

السيارات من العريش إلى شاطىء قناة السويس نهاية الأسبوع أى بعد ثلاثة أيام.

شاهد الشيخ فى عيون حاتم الدهشة ولم ينتظر أن يسأله حاتم بل زوده بالمعلومة بأن الشيخ عتمان والد وجدان هو من رفض سفرها معك بعد أن فقدت حملها وأنه يفكر فى طلاقها منك والرأى الأول والأخير لك حسب الشرع، وإذا رغبت فى المشورة فأنا أؤيد قرار الشيخ عتمان لأن وراءك أشياء كثيرة بعد العودة إلى مصر من علاج وأسئلة كثيرة من قيادة الجيش عما حدث لك والمعلومات التى لديك خلال تلك الفترة التى قضيتها بيننا ولهذا فيجب عليك التفرغ لعملك وزوجتك إيزيس.

إكتملت عودة الثلاثة المصابين إلى القبيلة بعد أن غادرت كل من وجدان وإيزيس المستشفى منذ عدة أيام، وما زالت وجدان تتساءل وتستفسر عن قبيلة حاتم بمصر، بينما توضح لها إيزيس كيف تسير الحياة فى مصر وأبلغتها بأن عائلة حاتم عائلة سرية وأن حاتم ضابط بالجيش وليس دفعه فهو رئيس للعديد من الدفعه مثل الشيخ عبدالله فهو رئيس للعديد من البدو بالقبيلة.

وصل الركب إلى دار الشيخ وسمعت كلٌ من وجدان وإيزيس بعض عبارات طيبة من بعض النساء وبعض رجال القبيلة والتى ترددت أقوالهم بالتهنئة لحاتم وحمدالله بالسلامة مما دفع بالسيدتان لمغادرة الحجرة وشاهدتا

حاتم يقف مستقيما يتحرك بحرية أفضل من السابق فأسرعتا نحوه مهنئتين ومصافحتين ولم تخجل ابنة القبيلة من إحتضان الزوج بين تصفيق وتهليل من حولهم.

تلك هى الليلة الأولى التى يخلد فيها الشباب الثلاث فى نوم هادىء بعد عودة الزوج وتمام شفائه وكلها عدة أيام يعودوا بعدها إلى أرض الوطن أبلغت إيزيس حاتم بما قام به الشيخ من توصية ابنته بدور بالإتصال بوالديها وأيضا طلبت منها أن تقوم بالإتصال بعائلتك بجزيرة سعود كى يطمئنوا على حالك مما زاد من سعادته فقد كان فى أشد حالات الحزن لأنه غير قادر على التواصل مع عائلته يخبرهم بما إستجد عليه بعد القتال.

مأســـاة وجـــدان :

بعد الغد سوف يتحرك موكب العودة من العريش إلى شاطىء القناة، هذا صباح مخالف لكل صباح، بعد أن تناولنا الطعام مع الشيخ وباقى أفراد أسرته وبحضور كل من الشيخ عتمان وزوجته، تحدث شيخ القبيلة ومهد لما يريد ويرغب عرضه على الآخرين وأن ابنتنا وجدان فقدت حملها من أثر التعدى عليها بالضرب من الجندى الإسرائيلى والحمد لله فقد عافاها الله.

والدها الشيخ عتمان رفض أن تسافر وجدان برفقة زوجها حاتم لأن الزلمة أمامه مهام صعبة لن يستطيع معها رعاية وجدان بينما زوجته الثانية

سوف ترعاها عائلتها وأيضا حاتم أمامه فترة علاج طويلة بالمستشفى العسكرى بعدها يستعد للإنخراط فى عمله لأنه ضابط وأمامه مسؤليات ولهذا فإن السفر باكر لحاتم وإيزيس.

صرخت وجدان وفقدت الوعى وتعاطف معها الجميع ورق قلب كل من إيزيس وحاتم وأنهما مسؤلان عن رعايتها لكن والدها مازال مصمما على عدم سفرها على أن يقوم الشيخ عبدالله بإجراءات الطلاق.

كان والد وجدان فى غاية العنف ولم تلين مشاعره ولا عواطفه رغم إستجداء سيدات القبيلة وزوجته ووعود حاتم ولكن كل تلك النداءات ضاعت فى الهواء، بعد أن تنبهت وجدان نظرت لحاتم وإيزيس باكية وقبلتهما وأزرفت الدموع الغزيرة ونهضت تلحق بوالديها بين حزن وبكاء البعض لسماع ذكرياتها مع حاتم وهى تردد :

ـ تسع تشهر باعالجه وأطببه وأخفف عنه كل الألام وأساعده على الحمام والنضافة، تسع تشهر بأجهز له الأكل وأنضف ملابسه وأسليه وأحكيله حكايات مسلية، تسع تشهر والراجل ده الوحيد جدامى، حبيبته والحب ده بعيد عن سيطرتى، مليش حكم عليه وهو يستحج حبى، هوه شخص طيب متربى ما سمعتش منه كلمة تضايجنى، أحبه وإلا بلاش، ليه يا بوى تعمل فيا كده؟ مش كفاية أن ربنا حرمنى أن أكون أم بعد كام شهر، الأيام اللى

فاتت منيت نفسى أنى أعيش معاه ومع إيزيس، حسيت بحبهم وبانى مهمة بالنسبة لهم، حرام يابوى ... حرام .. حرام.

تنبه الجميع لوالدها الذى حملها عنوة فوق الجمل لكن الفتاة عادت لمرحلة الإغماء مرة ثانية ولم يهتز له جفن وأسرع بها نحو خيام عشيرته وحزن الجميع وزرف حاتم دموعه عليها وشاركته إيزيس مشاعره تلك وكان يردد:

ـ دى مكافئتك، ده الشكر بتاعى وبتاع العيلة، الحرمان من الحق اللاهى فى العواطف وحب الزوج لزوجته والعكس، لن أنساكى يا وجدان وجميلك فوق رأسى إلى يوم القيامة، أنا رجل ضعيف صحيا ونفسيا وحالى سيىء جداً ولو كنت فى تمام لياقتى ما منعى أحد من التمسك بك.

اليوم التالى تحرك الشيخ عبدالله مع بعض معاونيه برفقة كل من حاتم وإيزيس، ركب حاتم الحمار بطريقة أفضل وتذكرت إيزيس اللقاء الأول وكيف إمتطى ظهر الفرس البيضاء بالصعيد أثناء عودتها مع زميلاتها من رحلة أسوان.

وصل الركب مساء إلى العريش وهناك خلد الجميع للراحة ولم يتركهم الشيخ عبدالله ورجاله رغم أنه غير مسموح لهم بالمبيت بالإستراحة

المخصصة من الصليب الأحمر لعودة الزائرين والأسرى إلى ذويهم مما دفع الشيخ ورجاله إلى المبيت لدى أحد أفراد القبيلة المنتشرين بالمدينة.

صباح هذا اليوم أسرع الشيخ ورجاله ووقفوا بالقرب من الأتوبيس الذى سوف ينقل المسافرين ودفع الشيخ وأعوانه ببعض الأمتعة وهى عبارة عن هدايا من ملابس البدو وبعض منتجات سيناء من البلح والعجوة، كان مندوب الصليب الأحمر ينادى على الأسماء مع وجود بعض ضباط الجيش الإسرائيلى، إنتهى الجميع من الركوب وسار الأتوبيس مع تلويح المودعين لهم وهم قلة بعدها عاد الشيخ مع رجاله لقبيلته.

حـاتم :

أجلس بالأتوبيس وإيزيس بجوارى، مازلت أتذكر وجدان وصراخها وألمها وهى تشير نحوى تستنجد بى كى أنقذها وتظل برفقتى، لقد أحبتنى بكل جوارحها ولم تبخل علىّ بأى شىء تملكه.

من خلف زجاج شباك الأتوبيس أشاهد الجبال والهيئات المرتفعة التى شاهدتها منذ إحدى عشر شهرا أثناء توجهنا للحدود الدولية مع إسرائيل، هذا هو جبل الحلال على يسارى وأنا جالس وبعده بعدة كيلومترات يقع جبل المغارة على الجانب الأيمن أثناء جلوسى والجبلان فى منتهى الضخامة

بعدها بعدة كيلومترات شـــاهدت جبل (لِبنى) على الجانب الأيمن أثناء جلوسى.

هذا هو الطريق الأوسط والتى كانت بدايته تخترق موقع كتيبتنا بمنطقة مفارق الحسنة ودارت عليه معارك دامية بين جيش مستعد وجيش توجه للنزهة، كنت أتذكر ضباطى وجنودى وأيضاً الرائد خليل تادرس رئيس العمليات هذا الرجل حليم الخلق المتفانى فى عمله، الحمد لله فمن لاقى الشهادة فهو حى عند الله يرزق ومن نجا مثلى فقد لاقى الكثير من الألام وربنا يجعل ختامها مسك طيب الرائحة.

بدأت أشعة الشمس تغيب وأصبحت فى واجهة السيارة، بعد مضى نصف ساعة تحدث المرافق لنا وهو من رجال الصليب الأحمر :

ـ عشر دقايق ونوصل للمعبر بالقنطرة شرق، رحلة طيبة ودايما نشوفكم على خير، بالفعل بعد مضى عشر دقائق تقريبا وصلنا إلى داخل مدينة القنطرة شرق ومن هناك عبرنا الطريق حتى وصلنا إلى شاطىء القناة ومكان العبور.

شاهدنا العلم الإسرائيلى وبعض الجنود، هبطنا من الأتوبيس إلى خارجه ووقفنا صفا واحداً وأقبل أحد ضباط الإسرائيليين ومعه كشف ينادى على إسم كل واحد منا وينظر فى وجهه بعدها ينتقل للذى يليه.

هبطنا السلم وركبنا اللنش ولا ندرى ما هى مشاعرنا، لم نكن قادرين على الشعور بها، لقد كان شيئاً كبيراً فوق طاقتنا رغم أن البعض بدا يهلل أو يصفق ولكنى وإيزيس تماسكنا فمازالنا غارقين فى حزننا لفراق وجدان ولهذا كان الصمت هو شعارنا الوحيد.

شاهدت العلم المصرى يرفرف على الشاطىء الأخر ونحن نتجه إليه، لم أشاهد هذا العلم منذ قيام الحرب والآن أشاهده وبينى وبينه رباط مقدس فهو العلم الذى نقف إحتراما وتقديراً له نحن العسكريين ونؤدى له التحية العسكرية الواجبة.

الحمد لله، صعدنا إلى الشاطىء وإستقبلنا العديد من الأفراد مرحبين ورافقنا البعض وشاهدت أحد ضباط الجيش يقترب منى مرحباً مرتديا ملابسه العسكرية:

- أهلا بالنقيب حاتم.

- أهلا بيك وشكراً على مشاعرك.

- إحنا كنا متابعينك من لحظة ما رجال قبيلة الترابين أنقذوك وباقى المدة كمان تهنئة بالزواج السعيد.

- شكرا سيادة الرائد.

ـ فيه عربيه جاهزه حتركبها مع السيدة زوجتك ولو فيه حاجه تحب تقولها المكتب قريب بالخلف ممكن تقعد وتعرفنا.

ـ لا مافيش حاجه غير إستكمال العلاج.

ـ كل ده ح نشوفه لكن المهم تستريح يومين تلاته لحد ما نبعت لك مندوب بسيارة تشرفنا فى مكتب مخابرات الزقازيق وننهى كل متعلقاتك.

هكذا تركت الرائد الذى إستقبلنى والذى حيرنى بكلماته الأخيرة بإنهاء كل متعلقاتى ومن معى، ماذا يقصد هذا الضابط، من معى يهمنى أمرها فهى زوجتى ولا يجب علىّ التفكير فيما قاله فيكفينى ما طالنى من آلام وإصابات ومشاكل، علىّ التوجه الآن لمنزل إيزيس وأتركها هناك بعدها أتوجه لعائلتى أستعيد بعض حنان أمى وأبى الذى فقدته لشهور طويلة تعدت العشرة أشهر.

طلبت من السائق العسكرى الإنتظار حتى أنتهى من مهمة أعود بعدها برفقته كى يقوم بتوصيلى إلى أسرتى، لم يجب إلا بإشارة (حاضر يا فندم) تركت السيارة برفقة إيزيس وسرنا نحو باب العمارة فشاهدنا البواب الذى تنبه بعد غفوة مرحبا بالست الدكتورة ونظر إلىّ متسائلاً :

ـ مش برضه حاتم بيه؟

- ايوه يا مغاورى وعامل إيه.

بعد ضغطة صغيرة على زر جرس باب الشقة فتحت أم إيزيس الباب فشاهدتنا وكاد يصيبها الإغماء لولا أن لحق بها زوجها وإبنتها إيزيس الذين ساعداها على الوقوف والجلوس على أقرب كرسى وبعد أن تنبهت نظرت فى عيون إبنتها لثوان ثم بكت وإحتضنتها وشاركها البكاء إيزيس.

بعد جلسة قصيرة وترحيب من الدكتور حمدى غادرت الشقة على وعد بالحضور بعد عدة أيام، هبطت إلى الشارع وتلقفنى السائق وقاد السيارة حتى جزيرة سعود وقبل أن يتركنى تسائل هل هذا هو المكان الذى سوف أتى إليك كى تقابل سيادة الرائد فأشرت له بالإيجاب فإنصرف بينما سرت بضع خطوات لكن صوت السيارة نبه الجميع ومن نظر وشاهدنى أطلق العنان لمشاعره وهب الجميع للترحيب بى.

جمــع الشمل

إيزيـــس :

بعد الإنتهاء من حلاوة الإستقبال مع عائلتى إعتكفت بحجرتى بعد أن حصلت على حمام منعش وإستبدلت ملابسى، خلال هذا كنت أستعيد ذكريات الماضى راغبة فى الإبتعاد عن أحداث الحاضر مكتفية بذكرى عودة حاتم وشعورى من حين لآخر بحالة الحمل، كنت فى دهشة لما قمت به وإقدامى على الزواج بتلك الطريقة التى شب عليها جميع المسلمين منذ ظهر الإسلام على الأرض.

جلست على السرير وركنت ظهرى على ظهره الخشبى ومددت ساقاىّ وطار فكرى وسرح رشدى مع حاتم، هو فى بلدته الآن بين أهله وعشيرته وسوف تشعر أم حاتم بالسكينة والهدوء حين علمها بقدوم الحفيد مع عودة الإبن من مجهول غير معلوم.

لم يعلم أحد من عائلتى بما قمت به من الزواج والحمل، الجميع فى حالة من السكرة بعد حالة النشوة التى حدثت حين لقائى الأول بهم على مدخل الشقة، حتى شقيقتى الكبرى التى أقبلت بعد وصولى بعد أن أتصلت بها أمى فأسرعت بالحضور تحمل ابنتها الصغيرة وقبلتنى.

تعمدت أن تجلس بجوارى تنظر ناحية بطنى المنتفخة ثم ملست بهدوء على منطقة البطن أسفل الصدر، صمتت وحصلت على شهيق أتبعه زفير مسموع الصوت لأنه زفير حاد المعنى أو زفير الغضب وعدم الراحة لما إستنتجته من أخبار عن حالتى كما ظلت صامتة وتركت أمى تتحدث وأبى الجالس أمامى صامتاً لا يفتح فمه بأى كلمات مسموعة وكان يردد شيئاً غير مسموع ثم يصمت والسعادة تلفه من كل جانب بعد أن تخضب وجهه الأبيض بلون زهرة الفراولة.

رغبت إيناس بمغادرتنا وصحبتها حتى باب الشقة وبأنها من الباكر سوف تأتى لزيارتنا وتجلس معى جلسة طويلة فمازالت فى إجازة الوضع ولتعود كى تقوم على نظافة إبنتها وقبلتنى وأعادت وضع يدها على بطنى للمرة الثانية مما دفعنى للضيق وتوردت وجنتاىّ بغضب سريع تبعته بتركها ومحادثة أمى.

طلبت من أمى أن تعد لى كوباً من الشاى المضاف إليه اللبن فقد إعتدت على تناول كوب الشاى المضاف إليه اللبن بدار الشيخ عبدالله عدة أشهر وشعرت بحلاوته وتأثيره الطيب على راحة الإعصاب وتأثيره الفعال على تلافى الغضب من تصرفات البعض، أسرعت لحجرتى وجلست على السرير بوضع مريح.

أقبلت أمى حاملة كوب الشاى وجلست على حافة السرير وكنت قد عقدت العزم على أن أخبرها بما تم قبل حضور شقيقتى فى الصباح والتى ستعلم كل شىء منى، فلتعلم أمى ما قمت به قبل شقيقتى، لهذا بدأت حديثى معها :

ـ ماما، أنا وحاتم جوزنا فى العريش.

ـ مبروك يا إيزيس، يعنى كتب كتاب ودخله؟

ـ ايوه ياماما.

ـ ربنا يبختلك ويوفقك، أنا ملاحظة أن بطنك كبرت شوية.

ـ أنا حامل فى شهرين.

ـ الحمدلله على كل حاجه، المهم إنك تكونى مبسوطة.

ـ طبعا مبسوطة يا ماما.

ـ يعنى عقد ودفع مهر؟

ـ الحاجات دية مش موجوده عندهم، الجواز هناك قُبلى زى أيام الرسول شهود وإيجاب وقبول والشيخ بيكتب فى دفتر عنده آدى كل الحكاية.

- لازم يا إيزيس يكون فى عقد ومأذون.

- صح يا ماما، إحنا رجعنا وبعد ما حاتم يخلص زيارة أهله نعمل الحكاية دية.

- مبروك يا بنتى، ما أقوم أفرح أبوكى وأعرفه أن بنته الصغيرة ح تبقى أم بعد كام شهر.

هكذا تخلصت من نقطة هامة كانت تؤرق مضاجعى وكنت أفكر فيها ليل نهار فأنا أعلم تقاليد الزواج لكن الظروف من حولنا هى التى دفعتنا لهذا ولولا خشيتى من أن يتحقق ما قاله الشيخ بركات لكنت أجلت زواجى بحاتم حتى عودتنا لكننى إتبعت منهج القبيلة فى الحياة مثلى مثل بدور إبنة الشيخ.

خلدت فى نوم هادىء بسريرى هذا الذى ابتعدت عنه لأكثر من سبعة أشهر نمت خلالها فوق فراش مُعد من صوف الجمال الخشن وأنام أرضا فلا يعترفون بالأسرة ولهذا كنت أقاسى حين النهوض للوقوف وأيضا أثناء الرغبة بالنوم لكنها كانت حياة جميلة ممتعة، تسير الحياة بالناس بهدوء ورتم الحياة يتحرك ببطىء فلا تشعر به مثلما تتحرك الشمس من الشرق إلى الغرب.

صحوت هذا الصباح وكلى نشاط وحيوية وتعرفت على جدارن حجرتى ومفردات ما يحيط بى من أثاث ولوحات وتقسيمات الغرفة فنهضت بسهولة

من على سريرى وتوجهت للبلكونة الصغيرة وفتحت بابها وشاهدت حركة الناس فى الشارع وشعرت أننى أعرفهم جميعاً.

عُدت وجلست على سريرى ومازلت أسمع اصوات الناس تتحدث وتنادى وتصيح وانعكس هذا علىّ بالأمان والراحة النفسية عكس ما كنت أشعر به أثناء وجودى بخيمة الشيخ عبدالله حين الإنفراد بنفسى وأظل وحيدة أسمع صفير هبوب الرياح وتناثر ذرات الرمال من حولى.

سمعت صوت أمى الحنون ينادى علىّ أن إقبلى كى نتناول طعام الإفطار سوياً لأن أباكِ لا يستطيع الإنتظار، هكذا قفزت كالعصفور وإغتسلت وإستبدلت ملابسى وتهيأت للقاء ابى الحنون، فأنا أعلم أن أول شىء يطلبه منى فى الصباح أن أقوم على تحيته وأن يقبل وجنتاى وهو سعيد بهذا وقد حُرم من هذه القاعدة وتلك العادة أكثر من سبعة أشهر.

ظهرت عليهما بصالة الطعام وإشرقت الوجوه التى أثرت عليها السنون والأعوام توجهت لأبى كى أقدم له تحيته المفضلة، إبتسم ونهض يقبلنى سعيداً بى وبما أخبرت به أمى، كانت سعادتى واضحة وشعرت أننى عدت للوراء أكثر من عشرة أعوام خلال دراستى بالمرحلة الإعدادية رشيقة خفيفة يسعدنى ويطربنى كل شىء.

كان الطعام جميلاً رائعاً فهذا هو طعام أمى الذى نشأت وترعرت على تناوله لأكثر من خمسة وعشرين عاما، أشاهد أطباق الفول المختلفة " نوع بالزيت ونوع بزيت الزيتون ونوع بالزبد " بُهرت بأقراص الطعمية التى غادرتها منذ سفرى ورائحتها المميزة مع تشابه أحجامها وما وضع ونثر عليها من حبيبات السمسم المشابه لنجوم الليل بالسماء الصافية.

كان والدايّ يتباريان فى تقديم الطعام، " كلى هذا وقطعة أخرى وشاله تعدمينى أن ما أخدتى حتة طعمية زيادة " شعرت بالإمتلاء كما أن حالة الحمل لا تساعد فى تناول الكثير من الأطعمة، إنتهينا من تناول الطعام الهنيىء وساعدت أمى فى رفع الأطباق وإقتربت أمى من أذنى تحدثنى :

- عليكى قهوة أبوكى، كان متعود يشربها من إيدك ومن يوم ما سافرتى ملوش نفس يشرب القهوة ويقول محدش يعرف يعمل القهوة بتاعتى غير حبيبتى إيزيس، دمعت عيناىّ لمشاعر هذا الأب العطوف دائم التفكير فىَّ وفى إيناس لكنه كان يزيد جرعة حبه لى لأننى الأصغر.

هكذا شمرت عن ساعداى وأعددت فنجان القهوة وتوجهت لأبى الذى كان مشغولاً بقرأة الصحف، نهض وتسلم الصينية من يدى ووضعها بجواره ثم أقبل نحوى يقبل يداىّ، غلبت السعادة مشاعرى مما دفع بدموعى للنزول بسرعة لهذا الحب وذاك الحنان، أشار إلى بأن أجلس معه، جلست ولم

يتحدث، ينظر إلىّ باسماً سعيداً ثم فاضت الدموع من عينيه وشكرنى وطلب منى أن أعود لأمى.

بعد قليل أقبلت شقيقتى إيناس وأسرعت بوضع طفلتها على السرير بحجرتها قبل الزواج وعادت وركزت نظرها على بطنى فسرت معها حتى المطبخ حيث أمى .. طلبت منها أن تخبر إيناس بالخبر السعيد الذى أخبرتك به بالأمس.

لمعت عيون أمى بسعادة وهى تقص على إيناس ما حدث لى ولحاتم وزواجنا والزفاف وتوقعها الإنجاب خلال الصيف المقبل، سكنت شقيقتى قليلاً ثم قبلتنى متمنية لى السعادة والهناء والتوفيق، مرددة :

- ياه .. يا إيزيس، أخدتى طريق جدتك لما كانت بتدور على حبيبها أوزوريس، دهشت وتسائلت كيف علمتى هذا، أفادت بأنها عثرت على الكتاب الذى أهداك إياه الضابط الصغير الذى تعرفت عليه فى أول زيارة قمت بها لموقع عسكرى حين زيارة أشرف زوجى.

سرحت بخيالى أستعديد تلك الأيام وحبى للقراءة وتركيزى على ما قامت به إيزيس وما تعرضت له من مخاطر كادت خلالها أن تُنهى حياتها لمواجهة خطط شقيق أوزوريس للقضاء عليها لكن الله كان معها.

هذا ما لاقيته، لقد تعرضت للكثير من المخاطر ويكفى ما حدث يوم السيول التى كادت أن تزهق حياتى ويومها إلتقيت حاتم، إلتقيت أوزوريس ٦٧ وما أشبه اليوم بالبارحة بل وصل الأمر أن إعتدى الجندى الإسرائيلى علىّ وعلىّ وجدان بضربنا بظهر البندقية الخشب وأصبت بإغماء وشجت فروة رأسى وكاد أوزوريس أن يلقى حتفه ولا تكتمل الأسطورة الرائعة الجميلة التى لخصت معانى الحب والإخلاص بين الحبيبين " إيزيس وأوزوريس ".

جاء كل هذا من تتبع مسيرة الجدة العظيمة أيزيس، كل هذا كان من خفايا هذا الكتاب البسيط فى ثمنه لكنه شديد الثراء فى محتواه، لك الشكر أيها الضابط العزيز الذى أهديتنى هدية قيمة، كنت أتسائل أثناء قراءة الكتاب هل هذا الضابط يعلم أننى سوف أسلك هذا المسلك؟ لا أعتقد فهو صغير السن ولا يصل فكره لمثل هذا التفكير.

الطحـــاوية :

أم حاتم : سمعت صوت البعض يردد بأن هذا الشاب هو الضابط حاتم الطحاوى، ألقيت بكل ما فى يدى بل ونُزع عنى الشبشب الذى أرتديه عنوة وأسرعت وفتحت باب المنزل الكبير وخرجت إلى الفناء الخارجى شاهدته هو ابنى حاتم .. بل شاهدت حاتم الذى كبر ونمى وبدأ يسير بضع خطوات

لم أشاهده حاتم الشاب اليافع الضابط بالجيش المصرى بل حاتم الذى كان يسرع للحاق بى عندما أبتعد عنه.

هذا هو حاتم الذى إذا إحتاج لأى شىء يمسك بتلابيب جلبابى حتى أنتبه إليه فيشير إلىّ بأن أحمله وينام على صدرى ورأسه على كتفى ويضع إصبع إبهام يده اليمنى فى فمه ويظل يمص فيه ويخلد إلى نوم عميق ولا يفارق إصبعه فمه فأسرع إلى وضعه على فراشه وأغطيه وأترك باب الحجرة مفتوحاً كى أسمع صوته إذا استيقظ وطلبنى.

والـــد حـــاتم :

شاهدت زوجتى تسرع الخطى غير مكترسه بإندفاعها وتعرضها للإصابة أو الإصطدام غير المتعمد ببعض الأثاث، إنه حاتم إبنى الضابط الهمام الشجاع الفارس العظيم الذى كان دائما ما يفوز فى المسابقات الدولية للفروسية، لقد فقدته الخيول بالإسطبل ولم تعد الخيول ذات السمعة والصيت بمركز الحسينية.

سوف ألحق بزوجتى لكن على مهل كى أعطيها الفرصة للقاء إبنها التى فقدته فترة طويلة قاربت العام، ستعود إليها بهجتها وحياتها، ستعود تدندن ببعض أغان تطرب خلالها سامعيها، سيعود الغناء والطرب إلى الدار والنتيجة طعام رائع لا يضاهيه أى مطعم فاخر بالقاهرة.

أشاهده يقبل يد أمه يتحث معها، لقد شاهدنى ويسرع نحوى يكاد يسقط أرضا من فرط السعادة والحب، يلتقى بى وقلبه ملاصق لقلبى وأسمع ضربات قلبينا، يتحدث بصوت شجى باكٍ بتعبيرات تدل على الشوق وفقدانه للأسرة والحب، يقف أمامى ينظر فى وجهى يتأمل هذا الوجه الذى يتقفى أثره عندما نغادر المنزل لشراء بعض ما يخص الخيول أو المزروعات.

هذا هو حاتم الذى كان يرافقنى أثناء جمع محصول القطن وكان وقتها صغير السن لم يتجاوز السادسة من عمره، أفتقده وأبحث عنه فلم يبلغ طول ساقيه طول ساق عود القطن، يسرع بعض العاملين القائمين على جمع المحصول فيشاهدونه نائماً أسفل أعواد القطن وقد تفصد العرق من جبينه.

أحمله وأتوجه به نحو شجرة الصفاصف الجميلة التى يحرك أفروعها الطويلة الهواء الرطب القادم من جهة زراعات الذرة بسيقانه الخضراء أقوم بكشف غطاء الزلعة (جرة) المياه وأفرغ بعض من مائها فى وعاء من الألمنيوم وأقدمه له وأسقيه رغم أنه مازال غارقاً فى نومه، يتنبه ويعب من الماء الكثير ثم يعود للنوم بحجرى ويمسك بأصابعه الصغيرة يدى القوية الخشنة.

هذا صغيرى الذى فقدته، هذا هو حاتم الذى مازال ينظر فى عيونى تنبهت وأمسكت بيده متجهاً للداخل فقد أقبل البعض من أبناء القرية راغبين بتقديم التحية لإبن القرية الشاب الذى كاد أن يهلك فى الحرب.

جلسنا بداخل المنضرة، أمه من جانب وأنا من الجانب الآخر، قطع علينا تلك الجلسة رقيقة المشاعر دخول إخوته الذين إنهالوا عليه بالقبلات والأحضان ولم يتبقى سوى شقيقته الصغرى (عبلة) التى لم تتجاوز الأعوام الأربعة التى قفزت وجلست على ساقيه كما إعتادت، كما أقبلت بعض شقيقاته المتزوجات.

إيزيـــس :

مضى علىّ حوالى أسبوع منذ عودتى من سيناء خلالها تحدث معى حاتم مرتين بالتليفون وإطمئن على حالى وتسائل عن حالة الحمل كما بلغنى سلام وتحية عائلته وأنه سوف يأتى خلال يومين ننتقل خلالها إلى شقته التى إستئجرها قبل الحرب ونطلب حضور المأذون ليحرر عقد زواجنا.

اليوم التالى سمعت جرس الباب فنهضت لأرى القادم، شاهدت أحد رجال الشرطة يطلب منى الحضور بالغد أمام مأمور قسم العجوزة لسماع أقوالى فى الشكوى المقدمة من إدارة الصيدلة بمستشفى قصر العينى.

تعنت الإدارة

صباح اليوم التالى توجهت للقاء مأمور قسم العجوزة الذى حولنى لضابط نوبتجى الذى قرر فتح محضر لسماع أقوالى فى الخطاب المرسل من قسم الصيدلة بمستشفى القصر العينى يتهمنى فيه بالتزوير فى أوراق رسمية وأننى كتبت فى طلب الإجازة بأننى من أبناء سيناء كى أحصل على إجازة دون راتب لمدة ستة أشهر.

كان الضابط الذى يستمع لإجاباتى مستفز ولا يتمتع بأى نوع من اللباقة وحُسن التعامل معتقداً بأن أى إنسان يدخل القسم هو مجرم ولابد من إيداعه السجن، أجبت على أسئلته المنفرة وسرعان ما طلب أحد الجنود لإصطحابى إلى نيابة العجوزة.

أصابتنى الدهشة والصدمة، تلك الأماكن لم نعتاد عليها ولا على هذا الأسلوب السيء، إعتراضى ورجائى وتوسلاتى بألا يتصرفوا معى بتلك الطريقة ذهبت هباء وسرت مع جندى البوليس بعد أن وضع كلابشات الحديد بيدى نسير هكذا بشوارع القاهرة، شعرت أننى فقدت النظر من كثرة الدموع التى ملأت عيونى حتى وصلت للنيابة وخلال الطريق لم أشاهد أحد من الناس وكنت أسمع بعض تعليقات تدل على سوء ما إرتكبته من جرائم لا تناسب مظهرى وملابسى.

بمكتب وكيل النائب العام إستقبلنى شاب يبدو عليه علامات الخلق، أمر الجندى فك القيود والإنتظار خارج المكتب، أشار لى بالجلوس، جلست على الكرسى المواجه للمكتب بينما إنهمك فى الإطلاع على الأوراق المرسلة مع مندوب القسم، نظر إلىّ وهز رأسه وردد:

ـ معقول ده يا دكتورة؟

ـ أنا معرفشى حاجه لحد دلوقتى وإيه الجرم إللى إرتكبته، أحتاج إجازة بدون مرتب ست تشهر زى زميلتى يقوم يحصل ليا كل ده.

ـ يا دكتوره .. إدارة الصيدلة بتتهمك إنك قلتى لهم إنك من أبناء سيناء ومن قبيلة الترابين ولو ثبت صحة الكلام ده ح أضطر أحولك للنيابة الإدارية.

ـ محصلشى أى حاجه من ده، أنا كتبت فى الطلب أن إسمى إيزيس حمدى.

ـ طيب سؤال وننهى التحقيق، إيه السبب إللى خلاكى تروحى سينا فى الظروف العصيبة دى؟

ـ جوزى راح ومرجعشى روحت أدور عليه.

ـ جوزك راح فين؟

- أنا مرات النقيب حاتم الطحاوى وراح فى الحرب فى يوم خمسة يونيو وحضرتك عارف إيه إللى حصل، نكسة وفضل أربع شهور مفيش حس ولا خبر، قلت أدور عليه بنفسى.

- تدورى عليه بنفسك !! بدون زعل، أنتى يا ست مجنونة يا ست شجاعه !!

- أنا التانيه، إسمى إيزيس وقلت أقلد جدتى إيزيس لما راحت تدور على حبيبها أوزوريس!

- دكتورة إيزيس، أنا فى حالة من الإنبهار ولولا أنى مشغول كنت فضلت أسمع التجربة الفريدة لحد نهايتها لكن عرفينى بالنتيجة فى جملة بسيطة.

- لقيت جوزى متعور من الحرب وبدو سيناء بيعالجوه ورجعنا مع بعض من كام يوم والحمد لله.

- ألف مبروك وإسمحى لى أنى أرافقك لحد باب المبنى تحية وإحتراما لكى ولجوزك العظيم ومصر فعلا جميلة باللى زيكم وإعتبرى الموضوع منتهى وح أكتب على المحضر يحفظ ولا توجد أى تهمة ضدك، مع ألف سلامة.

غادرت مكتب النيابة غير مستوعبة ما حدث، شاهدت نفسى أقف على لسان رأس البر الذى يفصل ما بين المياه العذبة مياه النيل العظيم لفرع

دمياط وما بين مياه البحر المالحة التى لا يستطيع الإنسان تذوقها، هكذا كان الفارق بين من كانوا بقسم الشرطة وما بين وكيل النيابة.

عُدت إلى أبى وأمى عصر هذا اليوم وقد إرتسمت على وجهى كل علامات الدهشة والأحداث التى حدثت، إستقبلونى بأحسن إستقبال وبخبر لم يكن يدرى بخاطرى حيث قالت أمى:

- إيزيس .. الكابتن حاتم موجود من الضهر .. توقف تفكيرى لبعض الوقت وأنا فى دهشة وتسائلت :

- حاتم مين ياماما؟

- حاتم جوزك!

- مش معقول .. هو فين؟

- أنا هنا يا إيزيس، إوزوريس منتظرك من كام ساعة وجعان ومرضناش ناكل لحد ماترجعى بالسلامة.

- إلتقيته بداخل حجرة الصالون وكان يجلس معه أبى وأنكل أحمد الطحاوى والده وعلمت منه أن والدته مشغولة مع أمى فى إعداد الطعام، الجميع يشملهم المرح والسعادة وتسائلوا أين كنت ولماذا تأخرت إلى هذا الوقت

كانت إجابتى صادمة ولم يصدقوا المعلومة فى بدايتها وبأنه تشابه أسماء ولكن فى النهاية حمدوا الله على كل شىء ثم أخبرنى أبى بخبر طيب :

- إيزيس .. أنا بعت مغاورى البواب يندە الشيخ (صبحى) ماذون المنطقة وكلمت إتنين إصحابى الدكتور ممدوح والدكتور عادل عشان يشهدوا على عقد الجواز وطبعا بركة الحاج أحمد الطحاوى معنا، إيه رأيك؟

- شكرا حبيبى بابا الحنون ودى فكرتك وإلا فكرة حاتم؟

- فكرة حاتم أول ما جه وطلب منى عمك أحمد الطحاوى أن نعد انفسنا لكتب الكتاب عشان من بكره حاتم ح يروح مركز تاهيل القوات المسلحة لاستكمال العلاج الطبيعى.

- ايوه يا إيزيس، إمبارح كنت فى مكتب مخابرات الزقازيق وخلصت كل التقارير المطلوبة وهما إتصلوا بمركز تاهيل العجوزة وحجزوا ليا معاد بكره إنشاء الله والنهارده حنقضيه مع بعض بعد كتب الكتاب نروح نادى الظباط زى زمان، فاكرة؟

- فاكرة كل حاجه تخصك يا حاتم، نهضت وقبلت حاتم من وجنتيه ومن قمة رأسه وعدنا للجلوس إستعدادا لتناول طعام الغداء لأن موعد حضور الماذون والشهود حوالى السادسة أى بعد ساعة ونصف.

تركتهم وأسرعت لحجرتى وإغتسلت فأنا اليوم عروس سوف يعقد قرانها على الحبيب المهاجر رغم أنفه والمصاب فى حرب الشرف دفاعا عن وطنه، هذا الحبيب الذى نهجت خُطى جدتى إيزيس والتى قامت بها منذ حوالى عن أربعة آلاف سنة، لقد تشابهت الخطة بإستثناء أن أوزوريس مات بعد أن حملت إيزيس لكن حاتم حى يرزق وعفىً وربنا يديم عليه الصحة.

أنظر فى المرآة وأشاهد نفسى مازلت جميلة مقبولة يرغبها الجنس الآخر وهذا ما ضايقنى فى ضابط الشرطة الذى كان ينظر لى من أسفل لأعلى كأننى ارتكبت جريمة مخلة بالأداب أو أننى ساقطة وليست صيدلنية بأكبر مستشفى جامعى بمصر وزوجة لأحد أبطال الجيش المصرى.

سمعت نداء أمى الحنون فخرجت إليها فشاهدت مائدة الطعام وتقوم على مساعدتها السيدة التى تأتى للعمل بعض أيام الأسبوع فى أعمال المنزل بالإضافة إلى شقيقتى ومامة حاتم التى إلتقينا لقاءً عاطفى ساخن وخرجت دموع الفرح من عيونها الجميلة وهى تردد :

- ربنا يخليكى، مش ح أنسى كل إللى عملتيه عشان تسعدى جلبى وتطفى النار إللى كنت بأحس بيها كل ليلة، كمان عرفت من حاتم بموضوع الحمل مبروك، مخلتيش حاجه طلبتها منك إلا وعملتيها، أنتى نعم الزوجة الرائعة لإبنى حـــاتم، جلسنا حول المائدة ولم ينقص هذا الطعام سوى أشرف زوج شقيقتى التى كانت فرحتها غامرة بمناسبة عقد قرانى وعودة حاتم.

نظرت بجوارى فشاهدت حاتم ولا أعلم ماذا حدث فقد تهيأ لى أن الجالس بجوارى الضابط الصغير الذى أهدانى رواية إيزيس، سرح خيالى فيما قام به مع شقيقتى وتحمله الإيذاء النفسى ممن أكبر منه رتبة ورغم هذا كان رجلاً شجاعاً وإستمر يقدم لى كل عون وحدثت مقارنة سريعة بينه وبين ضابط الشرطة الذى إلتقيته صباح اليوم بقسم العجوزة، الإثنان فى نفس الرتبة ونفس العمر لكن كان هناك فارقا كبيراً بين الإثنين.

تمنيت أن ألتقى به وأدعوه للقاء حاتم وخلالها اقدم له كل شكر وتقدير على مساعدته المباشرة لى سواء بالحصول على المعلومات التى تخص حاتم أو غير المباشرة بتقديم رواية إيزيس كهدية لى وأسأله هلى كان يخطط لأن أقوم بتتبع خطى جدتى العظيمة أو أنها الصدف التى تعترض طريق حياتنا مثل صدفة لقاءة بشقيقتى إيناس.

الحمد لله .. تم عقد القران الرسمى وأخبر المأذون أبى بأنه سوف يأتى بقسيمة الزواج بعد يومان ولك نسخة العروس أما نسخة العريس فسوف يتسلمها حاتم الذى طلب منه أن يقوم بتسليمها لأبى أيضاً حتى ألتقى بوالده الذى سيغادر القاهرة اليوم هو ووالدته عائدين لبلدتهم.

تعدت الساعة الثامنة مساء ورغم هذا فقد صمم حاتم على الخروج للتنزه والتوجه لنادى الضباط بالزمالك وتعدى الوقت الثامنة والنصف ومن حسن الطالع كان هناك حفل زواج وزفاف بالنادى وغطت موسيقى الفرح والبهاء

على سكون الليل وظللنا لأكثر من ساعة زمن نجلس بحديقة النادى أسرعنا بالمغادرة وطلب حاتم من سائق التاكسى الذى توقف لنقلنا بالتوجه إلى حى الحسين الشهير (سيدنا الحسين) وصلنا بسرعة وتوجهنا لمطعم فاخر تناولنا بداخله طعام شهى وقضينا سهرة طيبة بجواره على ناصية أحد الكافيهات الشهيرة يحيط بنا بعض السائحين الأجانب.

إنتصف الليل وأسرع بنا التاكسى إلى شقة حاتم التى أشاهدها للمرة الأولى تجولت سريعا بداخلها وغمرنى إحساس طيب سعيد بأن تلك هى شقة الزوجية ونظرت لحاتم بعيون متسائلة هل سنبيت تلك الليلة هنا وكانت الإجابة عملية حيث أمسك بيدى بكل رقة ونعومة من التى ذكرتنى باللقاءات الأولى لتعارفنا ودخلنا حجرة النوم وفتح دولاب الملابس.

أدهشنى ما شاهدت، ملابس نسائية غاية فى الذوق والروعة والألوان المختلفة أسرعت نحوها وتأكد لى أن مقاسها مناسب لى، أشرت له بترك الحجرة كى أستبدل ملابسى بملابس النوم، إبتسم وغادر الحجرة .

أسرعت بإستبدال ملابسى وتعطرت وتأكد لى وقتها أن تلك هى ليلة الزفاف الرسمية أما الأولى بسيناء فكانت ليلة الزفاف الشرعية التى تم بعدها الزواج الفعلى ومن حولنا العشرات من أبناء سيناء يشهدون على زواجنا الشرعى الحقيقى وفى تلك الليلة حملت وبدا أن حملى يسير سيراً حسنا.

تمت ليلة الزفاف السعيدة وخلالها تأكد حبى وعشقى لهذا الزوج المحب الفارس والمقاتل الصلب العنيد ابن الأسرة العريقة الثرية فقد كانت الملابس التى إنتقاها سواء من النوعية أو الكمية أو الألوان تدل على الثراء وأيضا على الحب والإعتزاز والتقدير.

فى الصباح قبلنى فتنبهت وإستيقظت ونظر إلىّ بنظرات هادئة وربت على كتفى وملس على جبهتى قائلاً : صباح الخير يا إيزيس، كل تقدير من اوزوريس لحبيبته وأم ابنه فى هذا الصباح الممتع البهيج، خلاص بعد ساعة ح أروح مركز تأهيل القوات المسلحة بالعجوزة وإنتى ترجعى لبيت العيلة وتسنلمى شغلك ونكمل حياتنا لحد ما ربنا يجيب الشفا.

إستيقظت وتنبهت وبأن هذا الحبيب سيفارقنى لعدة أسابيع أو شهور كما قال الطبيب الألمانى لشيخ قبيلة الترابين قبل العودة وبأنه يتشكك فى علاج الأطباء الإسرائيليين لكنه يخشى أن يكتب هذا فى تقرير رسمى قد يؤدى به للسجن أو فقد حياته فهم قوم ماكرين خائنين.

بعد مضى يومان أحضر المأذون وثيقة الزواج وحينما قمت بزيارة حاتم بمركز التأهيل إستأذن رئيس القسم وركبنا تاكسى متوجهين لإدارة شئون ضباط القوات المسلحة وسلمهم عقد الزواج وأصبحت أمام جهة عمله زوجة النقيب حاتم الطحاوى.

دارت الأيـــام

تسلمت مهام عملى ورغم إعتذار مدير إدارة الصيدلة عما قام به من تصرف قانونى ضار لى إلا أنه حينما علم بقرار النيابة المشفع بما قلته من البحث عن مصير زوجى بسيناء دفع بالمدير ومن حوله إلى الإعتذار والإحترام لنبل المشاعر والتقدير لما قمت به ولما قام به زوجى من أجل الوطن.

كنت ألاحظ الحالة الصحية لزميلتى بدور، لقد إقترب موعد وضعها فهى فى الشهر الأخير من الحمل ورغم هذا مازالت ضاحكة مبتسمة تنير بحديثها الطيب أجواء مجلسها رغم صعوبة العمل وودقته من نوعية الأدوية وأسمائها الأجنبية.

ذات يوم همست فى أذنى بحديث أثار غضبى وحزنى :

- إيزيس، ضرتك عيانه خالص ويمكن تودع الدنيا.

- ضرتى! تقصدى مين؟

- وجدان بنت الشيخ عتمان، البنت مبتنساش حاتم، وحكاية منعها من السفر وتصميم أبوها لطلاقها من حاتم أصابها بحالة نفسية سيئة يمكن تروح فيها.

- متقوليش كده، دى إنسانة طيبة ومخلصة وعملت الكتير لحاتم وساعدته وتكون دى مكافئة المخلص والمحب، دا ظلم الأهل والأب العنيد.

- فعلا، ده ظلم من عم عتمان ربنا يسامحه لكن حالتها صعبة ومافيش علاج إتعمل لها ونفع حتى مستشفى العريش قالوا ما فيش فايدة، صدمة نفسية أثرت على أعصابها وبتخليها تهلوس وزادت الأمور تعقيدا أنها امتنعت عن الأكل وأنتى عارفه طبيا أن فى حالات زى كده لفقدان الأمل تعمل على الرغبة فى الموت.

- أعمل إيه دلوقتى، أنا باقوم بزيارة حاتم كل أسبوع مرة واحدة لمدة عشر دقايق لأن حالته الصحية فى النازل.

- بتقولى حالته فى النازل، إزاى؟

- الأطباء عرفونى بأن حاتم تعرض لنوع من العقاقير الضارة للجسم ومفعولها طويل المدة ومعندهمشى دواء مضاد رغم أنهم عملوا تحليل للعقار ده وبعتوه يوغسلافيا يمكن يكون عندهم علاج.

- اتعرض للعقار ده إزاى وفين؟

ـ قبل ما أسافر وأنا جايه مع حاتم الشيخ عبدالله الطبيب الألمانى همس فى ودنى بالحكاية دية وطلب منى أكتم على الخبر ماجور خشية على حاتم أو باباكى أو الطبيب نفسه إللى إكتشف الحكاية.

ـ عملوها الملاعين، وبعدين يا إيزيس؟

ـ ما فيش، منتظرة رحمة ربنا وعندى يقين أن العلاج معدشى فيه فايده وواحد من المعالجين عرفنى بأنها كام شهر وحاتم يقابل ربه.

ـ متقوليش كده.

ـ هما إللى بيقولا كده وكلامهم جاى من الحالة إللى قدامهم كمان حاتم بقى جلد على عضم وجسمه إنحنى يعنى يدوب يضحك معايا شوية ويقعد ويسند ظهره وبعد عشر دقايق ينام لأنه بيلاقى صعوبة أنه يقعد زينا.

ـ ربنا معاكى، طيب باباه ومامته.

ـ شعرين بالحالة وإللى مصبرهم أنه قدماهم ولو حصل النصيب حيندفن جنبهم وطاقة النور هيا موضوع حملى وقرب الولادة، أنا بعدك بشهر لو تفتكرى.

- صحيح، الحكاية بقت ملخبطة، يعنى حاتم حالته مدهوره وكمان وجدان حالتها فى النازل.

- تعرفى لو حالته كانت طبيعية كنت كلمته أنه يبعت للشيخ عبدالله ونجيب وجدان.

- ح تعيشى مع ضره يا إيزيس؟

- مع ميت ضره، ضرة إيه! دى خدمته وعملت له إللى أنا معملتوش وجدان بعد ربنا وهيا إللى وصلت حاتم للحالة الطيبة إللى شفناها عليه ولولا النصيب مكناش رحنا المستشفى العسكرى كان ربنا كتب له الحياة

- ربنا معاكى ومحدش بيهرب من قضاه، أنتى قوية زى جدتك إيزيس.

- باين عليا أن النهاية ح تكون زى جدتى إيزيس، أوزوريس بعد ما نجح أن إيزيس تحمل منه فارق الدنيا وساب لها إبن يكمل رحلة أبوه إللى أخوه تسبب فى موته نفس الحكاية، ولاد عمنا اليهود تسببوا فى موت شباب مصر

مضت علىّ الأيام بطيئة حزينة لحالة حاتم التى كنت أشاهدها عليه، لقد وصل به الحال بأنه لا يستطيع السير لكنه يتحرك على أربع أى مثل الدواب أو مثل الطفل الصغير حينما يحبو معتمداً على يديه وقدميه.

كنت أقاوم كل حزن تشاهده أسرتى على وجهى وأيضا كل حزن ينتاب عائلة حاتم التى كانت تغادر مركز العلاج وأمه باكيه ووالده يردد " حسبى الله ونعم الوكيل ".

شعرت بآلام المخاض وأسرعت أمى بالإتصال بالطبيبة التى كانت ترعى حالتى منذ عودتى من سيناء، أقبلت والبسمة على وجهها بعد أن فحصتى كانت تردد:

- بكره معادنا يا دكتوره إيزيس، خلاص من بكره حتبقى أم جميلة وصغيرة وحلوة وربنا يكرمك بولد جميل زيك، أيوه شاعره أنه ولد ومعندناش لسه فى مصر الأجهزة إللى بتتعرف على نوعية المولود قبل الولاده بمجرد تحليل بول الأم الحامل.

جاءت البشرى .. فقد تحققت نبؤة الطبيبة بميلاد طفل ذكر أشاد كل من شاهده بأنه سيصبح شاب جميل يلحق بأبيه وأمه، كنت أشعر بهذا وبنشاطه من حولى وأيضا أثناء عملية الرضاع، كنت أستعجل الوقت كى أقوم على زيارة حاتم ليراه قبل أن يأتى النصيب كما سبق وكرر هذا فى زيارتى الأخيرة له موضحا بأنها أقدار وأننا سعداء الحظ بزواجنا وننتظر المولود وأسبقكم إلى لقاء ربى وكل إنسان سيلحق بى فى موعده الذى حدده الله له.

كانت معنويات حاتم عالية ورغم صعوبة تحركه على أربع إلا أنه كان على أحسن الأحوال معنويا، هذا هو اليوم الموعود فقد أخبرتنى الطبيبة بإمكانية مغادرة المنزل وحمل طفلى للقاء حاتم ليرى ابنه بالمركز القريب من منزل عائلتى.

هناك بالمركز تلقيت خبرا غريبا بأن النقيب حاتم غادر المستشفى ونقل إلى عنوان والده، إلتقيت بالطبيب المعالج الذى قرر بأنه تشاور مع زملائه وبأن وجوده بالمستشفى لا طائل من وراءه وإستجابة لطلب والده بأن يقضى ابنه ما تبقى له من عمر بينهم ولهذا فقد غادر المستشفى أمس.

عُدت لمنزل أبى باكية وإستطاعت أمى الحنون أن تهدأ من مشاعرى وبعد عدة أيام يمكننى زيارته ببلدته، أثناء هذا رن جرس التليفون وكان حاتم على الجانب الآخر من الخط الذى عطرنى بكلماته الطيبة الجميلة وأنه بعد عدة أيام سوف يرسل لى بسيارة بسائق كى أتوجه لمنزلهم والإقامة معه لأيام وانتِ حاليا فى إجازة وضع لمدة ثلاثة أشهر حسب القانون.

شعرت ببعض السعادة وقررت بأن أتوجه بالغد إلى شقتى بعماد الدين وأحضر بعض أغراضى بالإضافة إلى ما إشتريته من أغراض لإبننا الذى إتفقت مع حاتم على أن نطلق عليه إسم (أحمـــد).

بعد قليل سمعت جرس التليفون وأسرعت كى أجيب إعتقادا بأن حاتم نسى شيئاً يريد أن يخبرنى به، جاء صوت شاب يرغب فى محادثة الدكتور حمدى ويسؤالى عن من يكون أجاب بانه الملازم أسامة الصادق.

لا أستطيع وصف مشاعرى التى طارت وغلبت عليها مشاعر السعادة والتفاؤل، هذا الضابط الذى رافقنى بمحنتى وقبلها شارك شقيقتى إيناس بمحنتها يتصل بنا، رحبت به وعرفته بنفسى وسمعت صوته عاليا سعيداً بعودتى سالمة من رحلتى للبحث عن حاتم، سألته من أخبره بعودتى وكانت الإجابة بأنه يلتقى فى بعض الأيام مع الشاويش أشرف زوج شقيقتى والذى زوده بآخر الأخبار.

طلبت منه القيام على زيارتنا لو أمكنه ذلك وأجاب بأنه يتصل بخصوص هذا لأن الدكتور حمدى طلب من الشاويش أشرف أن يبلغنى بدعوتكم لزيارتكم وها أنا أتصل بخصوص تلك الدعوة، عادت إلىّ مشاعر وأحاسيس الشهور السابقة على سفرى وذكريات هذا الضابط الذى كانت عائلتى تشعر نحوه بوقع طيب علينا.

أقبل والدى مرحباً به مؤكداً على دعوته يوم الجمعة القادم لزيارتنا وقضاء بعض الوقت معنا وخصوصا أن أشرف سيكون فى إجازة فى هذا اليوم، إنتهت المكالمة وأقبلت على أبى احتضنه وهدهدت على كتفه وشعرت بأنه يشعر بى ويعمل على إسعادى دون ضجيج.

صباح اليوم التالى رافقنى أبى إلى شقتى بحى عماد الدين وشاهد الشقة لأول مرة وأعجب بها وبمحتواها، جلس يراقب طفلى بينما إنهمكت فى جمع متعلقاتى بعد هذا غادرنا الشقة عائدين إلى العجوزة، رحبت أمى بعودتنا وأخبرتنى أن حاتم إتصل ليخبرنا بأن السيارة ستصل صباح السبت لتقلنا إلى جزيرة سعود لأقضى بينهم فترة طويلة.

عادت إلىّ سعادتى وبهجتى ورغم تأكدى بأن حاتم ماض إلى ربه إلا أننى أشعر بأن كل دقيقه أقضيها معه أو أسمع صوته ما هى إلا سعادة كبيرة بالنسبة لى وزادت سعادتى بأنه وعائلته سيشاهدون الحفيد القادم ليستكمل حياة أبيه.

عقدت العزم على التحدث مع ضيف الغد الضابط أسامة لأعرف منه كل ما يعلمه عن حاتم وأيضا أخبار الجيش وهل نحن سائرون إلى طريق إسترجاع الأرض التى فقدناها العام الماضى، لقد كانت تجربة سيناء بمثابة دافع قوى لكشف الكثير من ضآلة معلوماتنا عن جزء عزيز من تراب مصر وأيضا ما شاهدته من كرم ضيافة بدو سيناء ومن سوء تعامل المحتل الإسرائيلى.

هذا صباح يوم الجمعة، اليوم سأشاهد أسامة وأتعرف عليه عن قرب الشهور الماضية أنضجت تجربتى من ناحية الأشخاص الغرباء عنى فقد تعمقت بعض الشىء فى أمور الجيش والعسكرية وشاهدت مدى ضخامة

صحراء سيناء الشاسعة وما يجابهه أى إنسان من عوامل الطقس السيء وندرة المياه العذبة.

هذا ما واجهه هذا الضابط العام الماضى هو وبعض جنوده، لقد كان صغير السن عديم الخبرة ولهذا فقد تحمل الكثير من عناء تلك الهزيمة المفجعة، سأتحدث معه وأعلم إلى أين يسير هو وزملائه، أرغب فى أخ وصديق أعتمد عليه يتلقى أحزانى ومخاوفى ويكون دمث الخلق لا يطمع فىَّ حين اتحدث معه.

بعد إنتهاء صلاة الجمعة وعودة أبى وبرفقته أشرف جلسنا بعض الوقت ثم ترامى إلينا صوت جرس الباب فنهض أشرف وفتحه وسمعت صوته مرحبا بالضابط أسامة، لا أعلم سبب فرحتى ومشاعرى السعيدة، هل كنت أعده كى يحل لى بعض أمور حياتى المتعلقة بأمور الجيش حين يرحل حاتم فيكون هو العالم بأى خطوة تخصنى وتخص ابنى؟

لا أعتقد هذا فهناك فارق زمنى وأنا راغبة بأن أعده ليصبح الأخ والصديق الذى أرتكن إليه فى بعض ما يواجهنى من أمور وقد تأكد لى هذا من تجربتى السابقة معه بأنه إنسان مخلص يتعامل معى كأننى شقيقته بل كنت أشعر بأنه يرغب فى أن يرفع من قامتى لأننى أكبر منه عمراً.

بعد جلسة قصيرة نهضنا لتناول الطعام، أشرت له بالجلوس بجوارى وأعدت ما سبق وقمت به من قبل بتقديم الطعام له والترحيب به، شعرت بأنه كان فى حالة من التجاوب معنا وأعتقد بعد مضى تلك الأشهر وأيضا تناوب لقاءتنا التى قربته من العائلة مما سمح له بالتحدث والتجاوب مع الجميع بل كان يردد ندائه لأمى بلقب ماما وأبى بنداء عمى حمدى مقتفيا أثر أشرف.

بعد تناول الطعام جلسنا بعض الوقت وسمعت نداء أحمد فنهضت إليه فقد إستيقظ وأصدر أمره بالتوجه إليه لإطعامه، حملته وخرجت به للصالة فشاهده أسامة فنهض مرحبا سعيداً به ونظر إلىّ متسائلاً كيف يقبله أو يحمله فهو صغير ولا يتمكن منه.

عُدت به إلى حجرتى وقمت بدفع حلمة صدرى فى فمه فأسرع بإلتقاطه وظل يمص ما به من طعام إلاهى حتى تفصد العرق من جبهته وصمت وترك صدرى وذهب إلى عالم الملائكة.

عدت إلى إجتماع العائلة وجلست معهم وبدا أن كل واحد انشغل بشىء ما ووجدت الفرصة سانحة للتحدث مع الضابط أسامة فإقتربت منه وبدأت فى سرد ما حدث لحاتم وما ينتظره، شعرت بدموع الضابط تجرى فى عينيه لم أعتقد أن حديثى هذا سوف يثير أشجانه.

تماسك حينما لاحظ صمتى ثم علق بأن النقيب حاتم هو بطل وفى حالة وفاته فهو شهيد عند ربه وعند المسؤلين بالجيش لأنه مصاب حرب ولقى ربه متأثراً بإصابته، له كل الحقوق التى تعود عليكِ وعلى ابنه ووالديه وستحصلين عليها دون إرهاق أو تعب، فى نهاية زيارته دعا الله أن يخفف آلام الإصابة عنه.

قبل مغادرته طلبت منه بحق الإخوة بيننا أن يداوم على الإتصال بنا لأننا نلاقى المشاق للإتصال به ولأننى أرغب بأن يلتقى بزوجى حاتم، وافق على الفور وحينما علم بأننى سوف أقوم على زيارة بلدته باكر وعدنى بأن يأتى لزيارة حاتم الجمعة القادم.

وصية حاتـــم

اليوم التالى لهذا اللقاء الذى أعاد لذهنى ومشاعرى بداية علاقتى بحاتم حضرت سيارة بسائق كما وعد، ودعت العائلة وهبطت من الشقة حاملة ابنى أحمد بينما زوجة البواب تحمل حقيبة بها أغراضى وأغراض طفلى.

طول الطريق توارد على خاطرى علاقتى بحاتم وكان هناك سؤال يطن بإذنى راغبة بالحصول على إجابة شافية عليه، لماذا بدأت فى ربط أسامة بحاتم؟ لم يكن هناك قاسم مشترك سوى عملهما وما يرتديانه من زىّ مخالف لباقى الشعب لكن كانت هناك نقطة خافية علىّ لم أستطع كشفها

بالطبع لم يرد بخاطرى أن أستبدل زوج بزوج فليست تلك هى أخلاقى ولا هذا التصرف ما يستحقه منى حاتم بالإضافة إلى أن حاتم مازال حياً يرزق وأيضا لم يحاول أسامة أن يلفت أحاسيسى ومشاعرى نحوه لكن الأهم إجتماع صفة أخرى لهما وهى الإخلاص والشهامة وحبهما لى.

كان حب حاتم عبارة عن حب الحبيب للحبيبة والتى بدأت برحلة قطار الصعيد أما حب أسامة وشهامته فقد تولدت تلك المشاعر بداية لما قام به مع شقيقتى إيناس وإستمر معى يزودنى بكل ما طلبته منه لتحقيق رغبتى بمعرفة مصير حاتم.

كان هناك شيىء غريب أشعر به من حين لآخر، لقد تلاشت علاقة أسامة مع إيناس لكنها إستمرت معى ولم تكن إيناس تهتم بحضوره لقد شغلها زوجها وطفلتها بينما كنت مشغولة بهذا الشاب راغبة بمعرفة سبب إهتمامه بأسرتى وبى شخصيا بل وصل اهتمامه بحاتم والدليل على هذا أنه سيقوم بزيارته نهاية هذا الأسبوع.

وصلت إلى جزيرة سعود وهناك كان الجميع فى إستقبالى بإستثناء حاتم أسرعت والدته بتقبيل الحفيد وحملته عنى وذهبت به لجده فقبله وانهمرت عيناه بالدموع حدث صخب وضحك وإبتسامات طالت كل المتواجدين فى إستقبالى.

بالداخل كان حاتم فى إنتظارى، كان يجلس على الكرسى كبير الحجم وقد إنحنى قليلاً للأمام، إبتسم ورحب بى كثيراً، قبلته وهدهدت على كتفة قبل يدى وأسمعنى بعض كلمات جميلة من التى كان ينفحنى بها أثناء فترة الخطوبة.

قدمت له أمه هدية السماء كما قالت، أحمد ابنك يا حاتم، قبله بشغف ولم يستطع أن يحمله لصعوبة تحرك ذراعيه بسهولة، وضعته على حجره وأمسكت بالطفل الذى نظر نحو أبيه وأمسك بأحد أصابع يده وجذبها نحوه ووضعها فى فمه كأنه راغب بأن يقبل يد هذا الأب الشجاع قبل أن يلقى ربه

وأنه يعلم دون سواه مصير هذا الأب الذى وضع بذرته بأحشائى بصعوبة ونحن بسيناء بالقرب من جبل الحلال.

دارت أحاديث كثيرة وقدم الطعام ولم يشاركنا حاتم فيه وتناول بعض الحليب مضافاً إليه عسل النحل، أحضروا له كرسى متحرك وقام والده بحمله مثلما أحمل ابنى أحمد ولم يجد الأب صعوبة فى حمل ابنه فقد خف وزنه كثيراً.

تحرك بنا والده نحو الإسطبل، من على بعد سمعت صهيل الخيول وكأن هناك نوعاً من الإستقبال الحافل بالصديق والحبيب والفارس الذى قضى جزءاً كبيراً من وقته بينهم يقدم لهم الطعام ويقوم على رعايتهم وتدريبهم وكأنها تخاطبه قائلة انهض أيها الفارس فقد إشتقات ظهورنا لحملك والعدو بك بين الحقول.

عامل الإسطبل أحضر بعض الأمهار الصغيرة نحو حاتم الذى ملس على رقبة وصدر كل مهر يتقدم نحوه وشعرت بأن كل مهر يُقبل عليه يقوم بمقدمة فمه بلعق رأس حاتم يتبعها بصهيل رائع جميل أشاهد الفرحة على وجه حاتم وهو ينادى على كل مهر بإسمه.

نظر إلىّ حاتم ونظر نحو طفله وبصيغة آمره خاطبه :

- كل الخيول دية مسؤليتك يا أحمد، دول أصحابك وقرايبك فاهم، الخيول كلها خير وخليك لطيف وحنون معاهم، حتشعر أنك عارفهم وح يفهموك وحتعرف تتعامل معاهم زىّ زمايلك فى المدرسة، إوعى تضرب حصان وخصوصا المهور الصغيرة لأنها زيك وتكره العنف كمان أمهم تزعل أن حد يعتدى عليهم زى ماما الحلوة إيزيس إللى بتحبك كتير وعملت المستحيل عشان تشرفنا وتهل على الدنيا وتكمل سيرتى وسيرة جدك أحمد إللى إسمك على إسمه.

كادت الدموع تخوننى لولا مساعدة أم حاتم فى تقبيل رأس ابنها وحفيدها ودفع الكرسى بحاتم، عدنا إلى الفيلا الفسيحة ووجدنا بعض الأقارب فى انتظارنا للترحيب بى وبالحفيد، إنتهزت فرصة إنشغال بعض الأقارب بالحديث مع الجد والجدة وهمست فى أذن حاتم ببعض كلمات الحب والغزل وضحك منها وكل ما فعله إعادة تقبيل يدى للمرة الثانية فى هذا اليوم، قبلة البطل الذى سيصبح بعد أيام شهيداً وفارساً وقد ذاع صيته بين القرى المجاورة.

أمضيت عدة أيام بجوار حاتم وعائلته، لقد إستولت أم حاتم على حفيدها ولا تسمح لى بأن اتسلمه منها إلا حين بكاءه وطلب الرضاعة بعدها تأخذه جدته ولا تتركه، بعد عناء وإقناع من والد حاتم لزوجته التى سمحت لى بأن ينام طفلى بجوارى ليلاً نظراً لصغر سنه وإحتياجه للرضاعة على فترات متقاربة.

ودعت أم حاتم الحزن وتقبلت قضاء الله وقدره ورفعتنى بمنزلة عالية من التقدير والإحترام ولحق بها والد حاتم وكانت مشاعرهم فياضة، كان حاتم يراقب أمه بسعادة وفى بعض الحالات يطلب منى وضع طفلنا على الأرض ويقوم بالزحف على ركبتيه ويديه حتى يصل إليه ويصبح الصغير راقداً أسفل صدره مثل القط الصغير.

إعتدت على هذا المنظر وتأقلمت حياتى على تلك المشاعر والأحاسيس بأن حاتم مُفارق الدنيا بكل أحلامها ومساوئها ومُقبل على الله، كان يردد بعض كلمات طيبة حين ينفرد بى، يقبل يدى ويطربنى ببعض تعبيرات شجية لا تخرج إلا من فم المحب القادر على إسعاد حبيبته رغم أنه لا يستطيع خدمة نفسه والعناية بها.

كان الجميع فى إنتظار حدث مرتقب وأهل جزيرة سعود قد أعدوا العدة لوداع حاتم كما كان حاتم سعيداً بُمضى الأيام راغباً بلقاء ربه بأسرع ما يكون فقد إزدات حالته الصحية تأزماً وإزداد ضمور عضلاته التى أثرت على شكل جسده الذى أصبح شبه دائرة وقل وزنه بدرجة واضحة ورغم هذا كانت السعادة تحيط به.

سألنى عن زيارة الضابط الذى أخبرته بها ولم أجد مناصا من تبرير عدم تلبية الزيارة التى وعدنى بها وقد مضى على آخر لقاء بيننا أكثر من عشرة أيام، ورغم أنها فترة قصيرة لكن حاتم كان لديه شعور قوى بدنو أجله ولهذا

طلب منى أن أحضر ورقة وقلما كى يملى علىَّ ما يجب أن أخبر به الضابط حين لقائى به بعد أن يغادر الحياة.

طلبت منه التمهل ولترجىء هذا الأمر لنهاية يوم الجمعة القادم لأن تلك موعد خروجه من المعسكر، صمت قليلاً ولم يبدى رأىً معارض وكأنه شعر بأن ما يبغيه لم يعد ينفذ رغم أن هذا لم يكن صحيحا فالجميع يسرع فى تلبية طلباته البسيطة.

بعد صلاة الجمعة جاء أحد أشقاء حاتم يخبره بأن أحد الأشخاص يدعى (أسامة) قادم لزيارته، شعرت بفرحة حاتم وسعادته وزاد نشاطه وأسرع يطلب من شقيقه الترحيب بالضيف ومرافقته للحجرة التى يجلس بها.

بعد قليل أقبل أسامة كما عاهدته هادىء الطباع وحين شاهد حاتم أسرع نحوه ورفع يده بالتحية العسكرية مما دفع حاتم للضحك معلقاً بأننا نحن الإثنين لا نرتدى ملابسنا العسكرية فأسرع أسامة بالإنحناء وتقبيل حاتم من وجنتيه ثم قبل يده مما دفع بدموع حاتم للنزول على خديه.

أمسك بيد أسامة وأجلسه بجواره وطلب منى الجلوس بالجانب الآخر وتوسط حاتم المكان وطلب من الجميع مغادرة الحجرة وإغلاق بابها، نظر حاتم إلى أسامة وبصوت حنون يملأه الحب والسعادة خاطبه قائلاً :

ـ أسامة، كلها اسبوع أو عشر تيام وأقابل وجه ربى ذو الجلال والإكرام، أنا سعيد بكده رغم أنى ح أتحرم من مراتى حبيبتى وابنى أحمد وباقى العيلة لكن ح أكون فى مكان تانى وبالتأكيد أفضل من الدنيا بتاعتنا، أسامة عايز منك تساعد حبيبتى إيزيس فى تخليص كل مستحقاتها بإدارة التأمين والمعاشات للقوات المسلحة وأى إحتياجات أخرى لها، وبطاقة العلاج بالمستشفى العسكرى وإشتراك نادى الضباط وأى شىء يخص ضباط القوات المسلحة العاملين.

أسامة .. إيزيس متعرفشى فى الموضوعات بتاعتنا وأنا عارف إنك لسه يدوب متخرج من سنه وشوية وإللى متعرفشى حاجه عنه يمكن تسأل عليه وتعرف بيه إيزيس ومستحقات أبويا وأمى أنت فاهم كل ما يخص مستحقات الظابط المتوفى تعملها، خلاص إتفقنا.

ـ سيادة النقيب حاتم، ربنا يعطيك الصحة وطولة العمر، لن أتأخر عن والديك وكمان الدكتورة إيزيس ونور الدنيا احمد حاتم الطحاوى.

ـ أيوه كده، خليك عملى، انتى رايحه فين يا إيزيس؟

ـ يظهر يا فندم كلامك زعلها؟

- ممكن لكن الحقيقة متزعلشى أحسن ما تحتاس ومتعرفشى توصل لحقوقها وأنا عرفت منها أن كل إللى طلبته وكلفتك بيه عشان تعرف مكانى فى سينا عملته لها، لك منى كل شكر وتقدير يا أسامة وربنا ما يحوجك لحد، أيوه تعالى يا إيزيس سيبانا ورايحه فين؟

- أبدا مامتك كانت بتنده عشان الغدا جاهز وأسامة يلحق يتغدى ويرجع على مصر، أنت عارف المواصلات يوم الجمعة بتكون صعبة.

- ولا يهمك، الأسطى محروس سواق عربية الحاج أحمد الطحاوى يقوم يوصله لحد مصر.

- شكرا يا فندم، أنا عندى أجازة بكره وح أسيبكم واروح أزور عيلتى بالزقازيق.

- طيب الزقازيق قريبة وخليك معانا شوية.

هكذا أمضى أسامة أكثر من ساعتين تحدث خلالها مع حاتم وسمع كل وصاياه بشأن مستحقاتى ومستحقات إبننا أحمد كما تناول الطعام معى ومع والديه بينما حاتم تناول كوب لبن مُحلى بعسل النحل كنصيحة الأطباء.

غادر أسامة العزبة مستقلاً سيارة والد حاتم يقودها الأسطى محروس والذى أكد عليه حاتم بأن يقوم بتوصيله إلى منزل عائلته بالزقازيق.

شعر حاتم بعد سفر أسامة بالراحة وأشاد بما يتمتع به هذا الشاب وأنه سيكون الأخ والمعاون لى ولإبنى بعد أن يفارق الحياة وردد جملة صغيرة " بكدة إطمئنيت عليكى يا إيزيس .. من حبى لكِ بأغير ورغم أن كلها ساعات وأسبقكم للآخرة إلا أننى أخشى عليك من الشباب الراغبين بالجواز منك بعد موتى لكن أسامة سيقلل من تأثير الغيرة".

ضحكت لحديث حاتم ورغم ما يشمله من حزن كنت أردد " غيرة إيه يا حاتم أنت رايح للجنة تقوم تفكر فى ستات الدنيا، كفاية عليك حور العين" .

أسـامة :

تلك كانت المرة الأولى التى ألتقى بالنقيب حاتم وأعتقد أنها الأخيرة، لقد كان فى حالة صحية سيئة وقد تكور جسده الضعيف الواهن وعلمت منه ومن زوجته بأن هناك مرض خطير أصاب العضلات فى كل أجزاء الجسد فتآكلت ولم تعد تقوم بعملها الطبيعى وأدى هذا لإنكماشها كما تاثرت عظام الجسد فتقزم حجم البدن.

حـاتم :

شعرت براحة نفسية بعد لقاء أسامة، تلك هى المرة الأولى التى ألتقى به وسمعت الكثير من إيزيس عما قام به سواء مع شقيقتها إيناس أو معها حتى

إستطاع معرفة مكان وحدتى كما زودها بكتاب عن الجدة إيزيس وما قامت به مع حبيبها أوزوريس.

لقد خطط لزوجتى خطة محكمة مزودة بالمعلومات وبالتجربة الثرية التى تمت منذ ما يزيد عن ثلاثة آلاف وخمسمائة عام ووفق الله إيزيس فى تلك المغامرة بالإضافة إلى شجاعتها وعون أبناء سيناء الشرفاء.

إيزيس :

هذا يوم حزين حفرت أحداثه بعقلى وقلبى، قبل فجر هذا اليوم لفظ حاتم أنفاسه الأخيرة وكنت مع والديه فى اللحظات الأخيرة، نظر إلينا باسماً ورفع يديه علامة تلاوة الشهادة حتى إنتهى منها ثم أغلق جفنيه وأسلم الروح وسقط ذراعه بجواره.

حاول والده تنبيهه والنداء عليه لكنه أسلم الروح، أشد ما أدهشنى هى أمه التى ظهرت بسمة النجاه على وجهها وقبلته وهى تردد بأنك بطل هُمام وتحملت متاعب الإصابة لأكثر من عام بالإضافة إلى توابعها وفارقت الحياة أمامى ولا يعلم أحد مدى سعادتى لأننى لن أراك تتألم، إن آلامك كانت تعمل على تمزيق جسدى من الداخل أما اليوم فقد أراحك الله من عذابك وسلوتى العظيمة هى إبنك الحبيب الذى هو إمتداد لحياتك وزوجتك الجميلة المخلصة التى عملت ما لا تستطيع القيام به أى سيدة

لقد دخلت سيناء وطافت تبحث عنك بين الأعداء وتزوجتك وحملت منك وشاهدت إصابتك التى تثير الألم لدى أى إنسان لكنها تحملت كل هذا راغبة بأن تلد طفل منك يسعدها وأيضا تحقق أمنية حياتى حين غبت عنى وتحملت معك أحداث الحرب ونوائبها.

أقيمت جنازة عظيمة والتى خلت من كل ألوان الصراخ والعويل فالمتوفى هو بطل من أبطال الجيش المصرى وحارب على قدر القوه التى معه ولم يفر أو يهرب بجلده من أتون المعركة بل كان جسده هو وقود تلك المعركة وفى النهاية لم يكن اطباء العدو الإسرائيلى رحماء به بل قاموا بحقنه بنوع من العقاقير المهلكة والتى تؤدى للوفاة على الزمن الطويل.

أقيمت ليلة العزاء وحضر بعض ضباط القوات المسلحة وقدموا واجب العزاء وسلموا والده نوط الجمهورية الذى منحه الرئيس جمال عبدالناصر هكذا لم تغفل القيادة السياسية أو العسكرية عن تكريم أحد أبطالها وهو على فراش الموت وكان الإنتظار ليوم لقاء ربه لأن الشهادة المرفقة بالنوط والموقعة من رئيس الجمهورية تقول أن المنح تم لإسم البطل الرائد حاتم.

غادر المشيعون والمعزيون البلدة ومن بينهم والدى ووالدتى وشقيقتى إيناس ولم يتخلف عن واجب العزاء إلا المهومين بالدفاع عن الوطن وأقصد أشرف زوج إيناس وأسامة لكن بعد مضى عدة أيام أقبل الإثنان معا بعد أن علما بما حدث وقدما واجب العزاء لوالديه ولى وقبل مغادرة المكان نظر

أسامة لى ولوالد حاتم وطلب تجهيز شهادة اعلام وراثة والتى ستوضح للمسؤلين من هم المستحقون لميراث الشهيد.

أمضيت حوالى الشهر بعد وفاة حاتم بين حب وحنان أسرته وأقاربه وأصدقاء الطفولة، كنت أقوم مع والدته وشقيقاته بزيارة قبره بالعزبة وهناك تتناثر سيرته الطيبة ومآثر الموتى الذين ملؤا الدنيا صخبا وأحداثا ومشاكل وخلافات لكنهم الآن أصبحوا بين أيادى الخالق ولهذا قرر المصريون أن يتبعوا منهج عال القيمة مرددين " أذكروا محاسن موتاكم ".

خلال تلك الفترة أعد والد حاتم وثيقة اعلان الوراثة وفى أحد الأيام أسر بأننى بأنه ووالدة حاتم قد تنازلا عن حقهما فى ميراث إبنهم للحفيد أحمد حاتم أحمد الطحاوى وأعد بهذا وثيقة مسجلة بالشهر العقارى كى تقدم للجهات الرسمية.

وافقت العائلة على مغادرتى للعزبة على وعد بالزيارة على فترات متقاربة وحين تحديد موعد الزيارة سوف يرسل والد حاتم بالسيارة والسائق إلى منزل والدى كى تحملنا إلى جزيرة سعود.

عُدت إلى منزل أبى الذى قرر أن نبحث عن شقة قريبة منه حتى يمكن متابعتى ومتابعة طفلى بديلاً عن شقة عماد الدين، وفقنا الله وعثرنا على

شقة جميلة بالقرب من شقة إيناس شقيقتى وهكذا أصبحت بالقرب من والدىّ ومن شقيقتى وقمنا بنقل كل متعلقاتى إلى الشقة الجديدة.

الشيخ عثـــمان :

إلتقيت الشيخ عبدالله وعرضت عليه حالى ومأساة ابنتى وجدان، ألاحظ عليها تغير شديد فى سلوكها بعد سفر حاتم بل وتسبب هذا فى ألم كأنها سقطت أرضا من فوق الجمل، ودائما تردد اسم حاتم.

ـ أعمل إيه فى حالة وجدان، مرتى بتجول نسفرها للزلمة حاتم ونخلص من الشبكة دية.

ـ والله يا شيخ عتمان ما ينفع لأن وصلنى مرسال من عشر تيام بأن الزلمة حاتم إنتجل لجوار ربه يعنى مات يعنى بجى مرحوم.

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون، عن أذنك أروح أشوف ح أتصرف كيف؟

وصلت للديار وشاهدت زوجتى تقف أمام الخيمة وعلى وجهها الخوف وأسرعت نحوى تتسائل بلهفة :

ـ الشيخ وافج أن وجدان تسافر للزلمة؟

- الزلمة مات، الله يرحمك يا حاتم.

- بتجول حاتم مات!! ضاع آخر أمل،، إجرى يا شيخ البت بتصوت وبتصرخ، مالك يا وجدان بتجطعى جلد وشك كده ليه، حرام يا بنتى.

- خلاص، سمعت بُوى يجول أن حاتم مات، أنا محصلاه، محصلاه.

- وجدان، ردى علىّ يا وجدان، البت جطعت النفس.

- سيبيها، يظهر أن دى آخر كلمة جالتها، يلعن العشج وسنين العشج إللى ضيع ناس كتيره من شدة حبهم وعشجهم، ح أعرف الشيخ عبدالله.

الشيخ عبدالله :

الله يرحمك يا وجدان، بنت أصيلة فضلت تداوى حاتم اكتر من خمس شهور وتحسنت حالته لكن الخونة الإسرائيليين حجنوه بدوا فاسد أو نجول سم خطير ملوش علاج، وآخرتها ماتت وجدان ولحجت بحاتم الحبيب إللى حارب وإنصاب وإتبهدل، الله عليكم يا بنات مصر.

واحدة تفضل تعالج وتداوى وتعشج وتتجوز، البنت التانية إيزيس إللى تيجى لسينا وتعيش بنا لحد ما تعتر فى خطيبها وتجوزه وتحمل منه جبل ما الصهاينه الأعداء يسموه بسم طويل المفعول زى ما جال الدكتور هانز الألمانى.

وتمضى الحيـــاة

مضى على وفاة حاتم أكثر من ثلاثة أشهر خلال تلك الفترة لم أتلقى أى إتصال من أسامة ولهذا راودتنى الظنون بأنه شعر بأننى حمل ثقيل لا يناسب عمره الزمنى ولا خبراته فى الحياة العسكرية ولهذا فضل الإنسحاب والإنزواء، شعر والدى بما أقاسيه وهون علىّ الأمر وبأنه سوف يقوم بعمل إتصال بأسامة مساء الخميس القادم.

حاول والدى الإتصال بأسامة ولم يجب أحد على التليفون من الجانب الآخر ولهذا فقدنا الأمل فى عونه ومساندته رغم تعهده لحاتم قبل وفاته إلا أنه أخل بهذا التعهد وإنسحب من حياتى وتركنى نهبا للصراع النفسى فى كيفية إنهاء متعلقاتى بالقوات المسلحة.

زاد الأمر سوءا ورود خطاب مسجل من إدارة التامين والمعاشات للقوات المسلحة تطلب منى موافاة الإدارة ببعض أوراق كى تنهى متعلقاتى المالية كزوجة شهيد بالجيش المصرى.

جاءت إيناس لزيارتنا وأخبرتنا بأن زوجها حصل على يوم إجازة بالأمس وأخبرها بأن وحدة أسامة إنتقلت لجبهة قناة السويس أمام العدو وأنه علم بهذا الأمر من أسامة الذى قام بزيارة أشرف بوحدته العسكرية وأخبره بهذا الأمر وطلب منه أن تتقبل إيزيس إعتذاره عن إنهاء متعلقاتها وسوف يأتى

فى أول زيارة لهذا الغرض، مضى على هذا اللقاء شهرين ولم يستطع أشرف أن يبلغنا بهذا الأمر.

شعرت بسعادة وراحة نفسية وأن أسامة لم يتخلى عنى ولم يعد أمامى بعد الله فى ما يخص علاقتى بالجيش سواه وقد إختبرته أكثر من مرة وكان صادقا ويأتى لى بما أطلبه من بعض الجهات البعيدة عن تخصصه وعمله.

مضى على حديث شقيقتى عشرة أيام وفوجئت بحضور أسامة دون سابق إنذار وكانت دهشتى كبيرة ممزوجة بفرحة طاغية خشيت من أن يلاحظها أحد من أسرتى وتترجم لمعنى آخر، أخبرنى أسامة بأنه حصل على إجازة خمسة أيام تمنح لمن فى مكانه كل شهر وأنه قدم مباشرة لإنهاء مستحقات حاتم.

إتفق معى على الحضور صباح الغد وعلىَّ أن استعد بالمستندات المطلوبة التى قرأ بياناتها بخطاب إدارة التامين والمعاشات وبحمد الله كانت معدة، صباح اليوم التالى أقبل أسامة يرتدى ملابسه العسكرية كى تسهل لنا إنهاء الإجراءات المطلوبة، أشار إلى تاكسى الذى أسرع بنا على عنوان الإدارة بمنطقة كوبرى القبة.

بالإدارة والمكتب المختص قدم الأوراق التى قام بمراجعتها أحد الضباط وبعد أن إطلع على بطاقتى الشخصية طلب منى التوقيع على بعض الأوراق

وإستمرت تلك الإجراءات حتى الثانية بعض الظهر قام خلالها أسامة بالتحرك حاملاً الأوراق من مكتب إلى آخر حتى إنتهى اليوم وتسلمت الشيكات المستحقات الخاصة بزوجى النقيب حاتم،

بنفس الطريقة أسرع أسامة بإحضار سيارة تاكسى وركبت بجواره حتى باب العمارة وهناك مد يده لمصافحتى، طلبت منه الصعود للراحة وتناول الطعام فإعتذر لأنه يرغب فى زيارة والديه فقد تغيب عنهم فترة طويلة.

لم أستطع التحدث أكثر من هذا ومددت يدى مصافحة وتمسكت بيده وهبطت الدموع من عيونى وشعرت بانه فى حالة من الحرج لأن بعض المارة نظر جهته بضيق وهو يرتدى ملابسه العسكرية وأحدهم ردد بعض عبارات ناقده لتصرفه معى مما دفعنى للبكاء، فككت يدى وأسرعت بالدخول للعمارة وصعدت إلى شقة أسرتى.

عندما شاهدتنى أمى وأبى على هذا الحال أصابتهم الدهشة وتسائلوا أين أسامة وكانت الإجابة زيادة قطرات دموع عينى، إحتضنت أمى باكية بينما تسلم أبى الأوراق التى كانت بيدى وشعرت بان أمى قد أصابها الخوف وإبتعدت قليلاً متسائلة :

- أسامة ضايقك فى حاجة؟

- هززت رأسى علامة الموافقة وبصوت خافت .. أيوه يا ماما.

- إخص على الناس، إللى تقول عليه موسى يطلع فرعون .. وضعت كف يدى على فم أمى مرددة :

- لا يا ماما .. موسى كان أعظم إنسان .. أيوه .. أنا زعلانه أنه تعب معايا وخلص كل الأوراق ودفع مصاريف التاكسى رايح جاى وإعتذر أنه يطلع يريح ويتغدى معانا، تأثرت من لمسة الوفاء والإخلاص إللى أصبحت نادرة، إدعى له يا ماما ربنا ينقذه ويساعده ويفضل ليا أخ يعاونى على كل مشكلة مقدرشى أحلها.

سارت بى الحياة على وتيرة واحدة شعرت خلالها بالإستقرار والسعادة رغم فقد الحبيب والزوج، لقد كان أوزوريس هام فى حياتى ورغم عروض الزواج التى إنهالت علىّ لم أوافق على أى شخص فلم يعد هناك من يضاهى أو يقارن بحاتم هذا المحب وهذا الفارس الرائع، رحمك الله يا حاتم.

أحد المرات وقبل أن يغادر أسامة منزلنا جلس بعض الوقت وكانت تلك عادته أن يأتى من جبهة القتال يقوم على زيارتنا والإطمئنان على أحوالى خلالها يحمل ابنى و لا يتركه إلا إذا نام على يديه أو حين مغادرته منزل والدى وبالطبع كنت اقيم مع والدى ووالدتى وكل شهر تقريبا أحصل على يومين أجازة بالإضافة إلى يوم الجمعة أقضيها مع عائلة حاتم حيث يسارع

والده بإرسال السيارة بالسائق فى الذهاب والعودة وبالطبع لا تخلوا السيارة من خيرات الأرض أو كما كان يردد بأن هذا من خير حاتم.

جاءت إلىّ أمى متسائلة :

- ليه موفقتيش على كل العرسان إللى اتقدموا لكى؟

- مافيش ياماما، ح أكرس حياتى عشان ابنى أحمد.

- يا بنتى أنتِ لسه مكملتيش تلاتين سنه .. يعنى لسه صغيرة .. بلاش تترهبنى.

- ماما .. مافيش حد ح يهتم بابنى غير عيلة حاتم أو أسامة.

- أيوه .. إيه حكاية أسامة؟ ناويه عليه؟

- لا يا ماما، أسامة ده أخويا.

- سيبك من حكاية أخويا، هوه كلمك فى حاجه زى كده؟

- لا يا ماما وأسامه مشغول بحاجه تانيه وريحى نفسك من حكايته وخليه بالوضع ده، كل شهر نشوفه ساعتين وربنا يحميه ويحمى شباب مصر، سارت بى الحياة واستطعت تحمل مصاعبها ولم تكن بها لحظات جميلة سوى ما أقضيه مع طفلى الصغير عدا هذا كانت الأيام سيئة على الشعب

المصرى من هزيمة عسكرية قاسية وأصبح شباب مصر جميعاً تحت السلاح واحتلت البنات مكان الشباب فى أعمال كثيرة كى يتفرغ الشباب لمقاومة العدو وإسترداد الأرض.

أحد الأيام تحدثت معى زميلتى بدور كعادتنا بعد أن أصبحنا أمهات وتحملنا مسؤلية الأمومة بجوار مسؤلية العمل وأخبرتنى بالخبر الصادم الذى علمته من عائلتها وهو وفاة وجدان بعد أن ساءت حالتها وأصابها الصرع ولم يتمكن أحد من علاجها والسبب فى هذا منعها من اللحاق بحاتم.

ظل هذا الخبر ماثلاً أمام عيناى وكنت دائماً ما أتذكر الحالة التى كنت عليها بعد إختفاء حاتم بصحراء سيناء رغم ما تلقيته من التعليم والثقة بالنفس بحكم الوضع الأجتماعى وتقدمى بالسن عن وجدان بخمسة أعوام على الأقل ورغم هذا كادت أعصابى تنهار وكنت أتخيل حاتم أمامى فى حجرتى بل فى العمل وحين يفاجئنى شخص اثناء العمل بالحديث وأنا مشغولة بمراجعة بعض الأوراق يخيل لى أنه حاتم وكدت لأكثر من مرة أن أقع فى هذا الخطأ وأتسرع بالإجابة بأنه حاتم.

أعطيت وجدان العذر وقررت بينى وبين نفسى أنه فى حالة تحرير الأرض سوف أقوم بزيارة لقبيلة الترابين وهناك أتوجه لزيارة قبر تلك السيدة الرقيقة التى قامت على علاج زوجى وأبو ابنى لعدة شهور وظلت

صابرة وتحملت فى هذا الكثير ولم ترتكب خطأ إذ وقعت فى حبه وتزوجته لكن القدر كان ضدها لصغر سنها وللجهل الذى خيم على عقل والدها.

ماذا سوف يضير الشيخ عثمان لو وافق على أن تلحق بنا وجدان وكان حاتم مرحباً بهذا فهو لم ينسى أو يتجاهل ما قامت به من اجله بل أنه تعلق بحبها التى عرضته عليه فمن كان سيحنو عليه فى تلك البقاع القاسية وهو بعيد عن عائلته ويقاسى آلام حروق الحرب التى تعرض لها.

بدأت حرب الإستنزاف وكنا نسمع ونقرأ عنها الكثير وكانت حربا قاسية قذرة تعرض خلالها سكان محافظات القناة الثلاث للهجمات الجوية ونيران المدفعية ووقعت بينهم بعض الخسائر ولهذا قررت الدولة القيام بعملية تهجير للسكان إلى داخل الوادى لتأمينهم من مخاطر ضربات العدو .

مازلت أسير على نفس المنوال بزيارة عائلة حاتم ثلاث أو أربعة أيام كل شهر مما أثار ضيق والدة حاتم برغبتها بأن أقيم معهم حتى يشب ابنى بين عائلته ويسير على نهج الجد والأب من التعامل مع الخيول ليصبح فارساً له من المجد والفخار الكثير، وحين تحججت بالعمل لم يتأثروا بهذا وأن الخير لديهم كثير ويمكن إنشاء صيدلية خاصة بالبلدة أقوم بالعمل بها على أن تحتوى أدوية خاصة بالخيول وباقى الحيوانات بدلاً من تجشمهم عناء شرائها من القاهرة أو الزقازيق.

لم يبدى والدايّ أى إعتراض بل أنهما شعرا بأننى سوف أصبح أحسن حالاً بوجودى بينهم فقد شاهدوا مدى ما يكنه هؤلاء الناس من حب ومودة نحوى ونحو ابنى كما أن العيش بين الحقول والطبيعة الهادئة يدفع بالسعادة.

هكذا وافقت على رغبتهم بالعيش بينهم وهناك يمكننى زيارة قبر حاتم بإستمرار والتمتع بالطقس الجميل وتنفيذ وصية حاتم بأن يسلك ابننا مسلكه فى التعامل مع الخيول بالإضافة إلى أننى لم أعد أرغب فى الخروج والتنزه كسابق عهدى فما واجهته من أحداث أذاب رغبتى فى مباهج الشباب.

تقدمت بطلب إجازة دون راتب لجهة العمل لتربية الطفل وبعد الموافقة إتصلت بعائلة حاتم التى اسعدتهم بدرجة عظيمة بل وجاءت أم حاتم برفقة السائق الخاص كى ترافقنى برحلتى إلى بلدتهم وظلت طوال الطريق تحمل الحفيد وتقبله ومن حين لآخر تحدثه كأن إنسان عاقل يعى ويفهم .

أعُد لى سكن خاص بالدور العلوى لمنزل العائلة وأسرت أم حاتم فى أذنى بأنهم شيدوا هذا المبنى كى يقيم به حاتم بعد زواجه لكن الأحداث أبدلت كل رغبة وكل خطة.

شعرت بالدفء العائلى وبأننى لم أفقد حنان والدايّ فقد قامت أم حاتم ووالده بالإغداق علىّ وعلى الحفيد بكل حب وإعتزاز، من ضمن سعادتى

أننى كل أسبوع تقريباً أقوم على زيارة قبر حاتم وأتحدث معه كأنه مازال يحيا بيننا ولم يفارق الدنيا.

الحمد لله، بعد مضى ثلاثة أشهر تم الإنتهاء من إعداد الصيدلية وأطلقت عليها إسم حاتم وقامت شركات الأدوية بتوفير ما تحتاجه من منتجاتها بالإضافة إلى قسم خاص بالعلاج البيطرى وأشيع فى جزيرة سعود أن صيدلية حاتم الطحاوى بها أدوية لعلاج البهائم والأغنام بل والطيور

كنت فى منتهى السعادة بأن أشاهد سيدة قروية قادمة للصيدلية لإحتياجها لعلاج حالة عندها وأفاجأ بأنها تحمل " مقطف " وهو وعاء صنع من سعف النحيل وبداخله بطة مريضة أو كتاكيت وأضطر لفحصهم وتحديد الدواء .

كانت أثمان تلك الأدوية البسيطة زهيدة ولكنها تعتبر عبء على القرويات ولهذا كنت أجاملهن وأرفض الحصول على مقابل وكانت تكفينى سعادتهن ودعائهن لى ولأولادى بالسعادة والهناء، ولهذا تماديت فى الإطلاع على بعض مذكرات أحد الأطباء البيطريين للتعرف على الحالات المرضية وتحديد العلاج اللازم لها وبالطبع كان من بينها الخيول التى كانت الشغل الشاغل لوالد حاتم واخوته.

مضت عدة أشهر ونسيت حى العجوزة وعائلتى وإكتفيت بالمحادثة التليفونية وخلال تلك الفترة قامت حرب الإستنزاف بين مصر وإسرائيل

ونظراً لقرب منطقة جزيرة (سعود) من (بورسعيد) و (قناة السويس) كنا نسمع ونعلم بعض أمور الحرب الخافية على بعض المصريين.

كنت أشاهد شباب البلدة يرتدون الزىّ العسكرى متوجهين لوحداتهم يحدوهم الأمل بالإنتصار على العدو وروحهم المعنوية عالية، كنت مثلهم مشاعر فياضة، فأنا زوجة شهيد وزرت سيناء تحت الإحتلال وشاهدت جنود العدو أثناء إعتدائهم على زوجى المريض وعلىّ وعلى وجدان.

لقد اظهر الجندى الإسرائيلى شجاعته على الشاب المصاب وعلى السيدات وتلك خصالهم القضاء على الضعيف والأيام بيننا أبناء صهيون كنت أنظر نحو ابنى الذى بدأ يحبو ويتحرك ويشير بيديه واحدث نفسى الطائعة لمصير زوجى وأن ابنى حين يصبح شاباً سوف يكمل رسالة الأب مثلما فعلت الجدة إيزيس مع وليدها (حورس) بعد وفاة اوزوريس.

لا أملك تحقيق ما فكرت فيه لكن الأحداث تحركنا والحياة عبارة عن دائرة من حولنا لكل مخلوقات الله من العباد وما تناسخ الأرواح التى أسمع عنها وقرأت بعض الأبحاث بخصوصها ما هى إلا حقيقة ثابتة ولن تنسخ روح جدتى إيزيس فىّ لأصبح مثلها، العادات والتقاليد والتصرفات لو كان الشخص حيا حتى الآن لأقر بصحة تلك الأبحاث أو بعدم جدواها لكن فى الحياة العامة دائما ما نردد جملة " عمرك أطول من عمرى" حينما يتصرف إثنان نفس التصرف فى أن واحد سواء فعلاً أو حديثاً.

سارت بنا الحياة وأصبحت اتلقى نقداً من والدتى بأننى نسيتها وأيدت هذا أم حاتم ولهذا صممت على أن أقوم بزيارتهم مرة كل شهر على الأقل وفى المناسبات الدينية والأعياد مقررة بأن ما نطالب به الأخرين بالتعامل معنا فالأولى أن نبدأ به ونصبح قدوة ومعى السيارة بالسائق ولن اواجه مشاق كثيرة لهذا التحرك.

تعددت زياراتى لعائلتى بالعجوزة والتقيت بشقيقتى وإبنتها وشاهدت ابنى أحمد وأثنت على نموه وحالته وتحدثت معى ببعض أخبار زوجها أشرف الذى انتقل مع وحدته إلى منطقة قريبة من الإسماعيلية بل انه شاهد وتحدث مع الضابط أسامة الذى حَمله كل تحية لكِ ولطفلك ولروح المرحوم حاتم.

طلت الفرحة على وجهى ولاحظتها إيناس وتسائلت هل ما زلتى حتى الآن تفكرى ببعض طلبات من أسامة كى ينهيها لكى؟ وكانت إجابتى ليس هناك ما أطلبه منه وهو شاب أشكره على كل ما قام به معى لكنى أتنكر تلك الأيام الصعبة التى لم نكن نعلم فيها أى شيء عن حاتم.

أثناء جلوسى بالصيدلية ولم تكن حالة الشراء قوية لهذا كنت أبدد وقت الفراغ فى القراءة والإطلاع على ما يخص الحيوانات والطيور ولشدة ما أبهرنى أن كل ما كنت أطالعه أذهب على الفور لإسطبل الخيول كى أشاهد

وأعاين ما قرأت، تطور هذا إلى أننى كنت أصطحب ابنى وأخلى بينه وبين جدته التى كادت أن تعلقه فى صدرها من شدة حبها له.

كنت أشير لأحمد عن كل ما قرأت وأعاينه بنفسى ورغم أنه مازال طفلا صغيراً لم يتجاوز عمره الثلاثة أعوام إلا أنه كان شغوفاً بالخيول والأمهار الصغيرة المقاربة لحجمه والتى كانت تقبل نحونا راغبة بأن تُحمله رسالة ما أو ترحب بقدومه بعكس زيارة الإسطبل حين أشعر بتجاهل الخيول الكبيرة.

إشتدت وطأة الحرب بين مصر وإسرائيل خلال جبهة قناة السويس وما أطلق عليها حرب الإستنزاف أى أن مصر ستواصل قتال قوات العدو دون هوادة حتى يرتدع ويترك سيناء أو لحين استعداد القيادة العامة للقوات المسلحة بإعداد خطة تحرير سيناء كاملة.

كانت الخسائر البشرية كبيرة على الجانبين وبالأخص الجانب المصرى لكثافة القوات وندرة الهجمات الجوية على العدو بعكس غاراته الجوية المستمرة على جنود الجيش بل والمدنيين ولقد طالت تلك الغارات منطقة مدرسة بحر البقر القريبة من جزيرة سعود وبالطبع إستشهد العديد من أطفال المدارس الأبرياء واغلبهم لهم صلة قربى مع العائلة الطحاوية.

مضت عدة أشهر تعدت العامين خلالها كنت أطمئن على حال أشرف زوج شقيقتى والتى كانت متوترة الأعصاب لما يقاسيه زوجها مع زملائه

الجنود من نيران العدو الكثيفة وما تولده من خسائر بشرية بين الجنود فجأة، دون سابق إنذار إندلعت الحرب بين مصر وإسرائيل خلال شهر رمضان المبارك، وضع الجميع أياديهم على قلوبهم فنحن مازلنا ننزف الدماء منذ حرب يونيو ١٩٦٧ والتى من جرائها نال حبيبى وزوجى الشهادة متأثراً بالإصابات التى ألمت به.

كنا فى شهر الصيام مع إرتفاع درجة الحرارة رغم أنه شهر أكتوبر ولكن تأثير الصيام يعطى هذا الأثر الشديد لإرتفاع الحرارة تأثراً بحالة العطش من جراء الإمتناع عن الشراب، ورغم هذا كان الإعتقاد السائد بأنها إشتباكات بين بعض الوحدات على الجانبين سرعان ما تتوقف تحت تأثير القوى الكبرى التى قررت الإسترخاء العسكرى وجعل المهزوم يلعق جراح هزيمته والمنتصر يزهو ويتمتع بنصره على المهزوم .

لم تتوقف الحرب وإزدادت تأثرا وقوة وسمعنا بالإذاعات وشاهدنا على شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد أثر المعارك من تدمير للعديد من دبابات العدو وطائراته التى كان يتباهى بها أمام المصريين والعرب.

كانت سعادتى لا توصف فقد حق علينا الجهاد والفدى والأخذ بالثأر لمن لاقى حتفه أو أصيب بإصابات بالغة أو إصيب نفسيا وهم غالبية الشعب المصرى الذين ذاقوا مرارة الهزيمة وألم الحزن على الشهداء والمصابين لقد نالنا هذا الحزن بإستشهاد أشرف زوج شقيقتى إيناس وتركها أرملة شابة

تعانى الوحدة وتقوم على رعاية طفلتها الوحيدة ذات الأعوام الستة، ليلاً تنامى إلى أذنى نشيد الجهات بصوت الموسيقار محمد عبدالوهاب :

هَتَفَ الدَّاعَـــي وَنَادَى بِالجِهَاد أَيُّ بُشْرَى يَوْمَ نَادَى بِالنَّفِير
نحنُ شَعْبٌ حَكَمَ الدُّنْيَا وَسَـــاد ونَمَا وَالدَّهْرُ في الْمَهْدِ صَغِير

كُلُّ مِصْرِيٍّ يُنَادِي أَنَـا مِلْكٌ لِبِـــــلادِي
قَلْبي يَمِيني لِسَـانِي رُوحِي فِدَى أَوْطَانِي
كَانَ الجِهَادُ أَمَانِـي وَاليَوْمُ يَوْمُ الجِهَـاد

لقد قالها أبى، تلك الحرب جعلت إبنتاى الوحيدتان أرامل وأحفادى أيتام وزرعت الحزن والسواد بداخل المنزل بعد أن كنت سعيداً بقدوم الشابين للإقتران بكريمتاى وهما أشرف وحاتم لكن يد المنون الموجة من العدو الإسرائيلى إغتالت فرحتنا وأودتها فى مهدها.

خلال الحرب كنت تواقة للإطمئنان على جميع جنود مصر وغادرت جزيرة سعود لأقيم مع والدى كى أشد على أزر شقيقتى إيناس فى مصابها الفادح وعلمت منها الإصابة الشديدة التى لحقت بزوجها وإستطاعت زيارته بمستشفى المعادى للقوات المسلحة اثناء تلقى العلاج وتحدثت معه وتحدث معها وأخبرها بأن أسامة تعرف عليه أثناء نقلهما للمستشفى.

تنبهت حواسى لهذا الإسم، هذا هو الضابط الذى إلتقيته منذ ستة أعوام ووقف بجوار إيناس وزوجها أشرف وعُومل جراء موقفه الإنسانى بأسوأ ما يكون، هذا هو أسامة التى طلبت منه إقتفاء أثر حاتم بسيناء وهو جاهل بتلك الأمور لأنه مازال يحبوا فى بداية حياته العسكرية.

ورغم هذا لم يتوانى وظل يبحث ويتقصى الأخبار حتى إستطاع معرفة أين موقع حاتم أثناء الحرب ولولا هذا ما إستطعت الوصول إليه ولولا أنه أمدنى برواية جدتى إيزيس ما إندفعت للسير على منوالها ولولا كل هذا ما إلتقيت بحاتم وتزوجته وأنجبت إبننا أحمد نوارة حياتى وما إستطعنا إعادة حاتم لأسرته والقدر سيلقى ربه بعيداً عن أهله لا يتذكرونه ولا يقومون على زيارته وقراءة الفاتحة على روحه الطاهرة.

أسرعت بالتوجه لمستشفى المعادى العسكرى ورغم شهر رمضان إلا أن جموعاً غفيرة من الشعب كانت راغبة فى زيارة الجرحى سواء لصلة القربى أو للتهنئة بالنصر والتخفيف على هؤلاء الرجال الأبطال الذين إنتزعوا النصر من بين أنياب هذا العدو الكاره لمصر وللمصريين الراغب فى تدمير بلاد العرب والمسلمين.

شعرت بالحيرة داخل المستشفى ووقفت أحاول معرفة القسم الذى يعالج به أسامة وأثناء هذا جاءت سيدة صغيرة جميلة وصافحتنى مرددة إسمى :

ـ أهلا إيزيس، فين أيام الكلية؟

ـ أهلا .. أكيد أنتى نسرين!!

ـ فعلا .. نسرين طلعت .. والجميل بيعمل إيه هنا؟

ـ جاية زيارة بس مش عارفه القسم والمكان.

ـ زودينى بالإسم والرتبة وتعالى إستريحى عندنا فى الصيدلية.

هكذا أنقذتنى نسرين من الموقف الشائك الذى وجدت نفسى فيه وكاد يثنينى عن تأدية واجب وطنى عظيم ورد معروف وخدمات جليلة لى ولشقيقتى، لم تمضى نصف ساعة زمن حتى أقبلت نسرين ورافقتنى إلى غرفة بها إثنان من الضباط يتلقيان العلاج، تسائلت الضابط أسامة فشاهدته يرفع يده رغم أنه مغلف ببعض الأربطة الشاش.

تركتنى نسرين كى تواصل عملها وظللت أقف بجوار السرير الذى ينام عليه هذا الضابط الذى أعتبره إنسان يعطى بلا مقابل، تعرف علىّ ولم أستطع التعرف عليه وجلس يحادثنى مستفسراً عنى والدائ وشقيقتى وكانه قد علم بمصير أشرف زوج شقيقتى.

أشار إلى الكرسى المجاور فجلست عليه وتحدث معى بصوت بطىء هادىء ذكرنى بحاتم فى أخريات أيامه وخشيت عليه أن يكون مصيره هو

نفس المصير، قدمت له التهنئة على النصر وبأننى سعيدة بما حققه جيشنا ومن جانبه قدم التهنئة على قيامى بمغامرة السفر لسيناء والوقوف بجوار حاتم حتى إنتقل لجوار ربه، سألنى عن ابنى وطمأنته على حاله وأنه يشب وسيلحق بأبيه فارسا خيالاً وبأبيه فارسا بالحرب وضحك لهذا مما دفعنى للضحك بل من شدة سعادتى دمعت عيناىّ بدموع الفرح والسعادة.

غادرت المستشفى تحفنى الأشجان والأحلام والسعادة بالنصر المبين على العدو، بعد أن وصلت لمنزل عائلتى وتخلصت من ثيابى قدمت الطعام لإبنى جلست منفردة أعيد ما شاهدته اليوم، لم أقم على زيارة الرائد أسامة بل كنت أقوم على زيارة حاتم الطحاوى الحبيب والزوج.

إختلطت الأمور على عقلى وشعرت بأن جميع الضباط والجنود الذى شاهدتهم جرحى بالمستشفى اليوم هم من أخذ بثأر حاتم وإنتقم له سواء ممن تسبب فى إصابته أو من الأطباء الخونة الذين حقنوه بمادة أودت بحياته.

كان لدىّ إحساس وشعور بأن مشاهداتى ولقائى بأسامة والتحدث معه يدفع بدماء الشباب والحيوية بداخلى، تبادر لذهنى أن تلك بداية لقصة حب اخوى قد تتبدل لحب حقيقى رومانسى، تراجعت بسرعة وخشيت غضبة الحبيب من تصرفى هذا بل أن مجرد التفكير فى مثل هذا الموضوع يعتبر نوعا من الخيانة.

أقلمت نفسى على السير نحو منوال واحد، الضابط أسامة المعرفة القديمة وآخر من شاهد حاتم وأول من قدم خدمته لى قبل لقاء حاتم وأيضا بعد أن فارق الحياة ومرافقتى لإنهاء متعلقاتى المالية لإدارة التامين والمعشات للقوات المسلحة.

تكررت الزيارات وشعرت دون قصد بالتفكير يعود إلىّ مرة أخرى وهامس يدق على أوتار قلبى الذى لم يتشبع من حب حاتم فقد حصل على جرعة صغيرة ويحتاج لملىء فراغ وليكن أسامة وما المانع، روادتنى الظنون والأحلام وكدت أقع فى ورطة كبيرة تدمر علاقتى به وتنقلها من الأخوة والصداقة النزيهة إلى علاقة حب بين رجل وإمرأة.

هذا يوم الإعتراف، طيلة الليل كنت أقلب الفكرة على كل الأوجه وقررت مفاتحة أسامة فى جزء يسير من مشاعرى لأن خجل حواء يمنعها من الإفصاح بمكنون قلبها لصاحب النصيب، كنت أسير نحو غرفته بالمستشفى وأشعر بأنه بعد دقائق قصيرة سوف تتحدد أمور وعلاقات هامة فى حياتى نحو أسامة ونحو عائلتى.

أدرت أكرة الباب بهدوء تنفيذا للتعليمات كى لا نزعج الجرحى، شاهدتها فتاة جميلة تجلس على حافة السرير بجوار أسامة تمسك بساعده نظرا لإصابته الشديدة بكف يده، تحدثه بحنان وبهدوء وتملس على وجهه بيديها

شعرت وقتها بأنه ليس لى نصيب فيه وليس هذا مكانى وأسرعت للخلف أجر أقدامى المتعثرة.

لقد خمدت فرحتى التى كانت فى أشدها ولم أضع فى خيالى وحساباتى أن يحدث لى ما حدث أو أن أشاهد ما شهدت، كنت مثل طالب بالسنة النهائية بالجامعة وقد أعد العدة لتخرجه كى يعمل ويكافح ويعيش وإتصل به زميل له يخبره بنجاحه بتفوق فغرد قلبه وصفا قلبه وبعد أن تلقى التهانى وبعد أن نام ليلة هانئة بوداع المذاكرة والجُهد وأنه سيلحق بالوظيفة المرموقة التى وعده بها أحد الباشوات بالبلدة إذ يفاجأ فى اليوم التالى بزميل آخر يأتى إليه حزينا كسيراً يخبره برسوبه وبنجاحه هو وآخرين.

إندفعت نحو باب المستشفى أغادره يتملكنى الضيق والغضب رغم إننا فى شهر التسامح والكرم شهر مضان المعظم وأيضا أنا فى رحاب شباب مصر الفتى الذى يقطر دما والبعض فقد عضو أو أكثر من جسده، توقفت لبرهة أستعيد عقلى وأنفض عنى رداء الحقد والأنانية وكيف لى أن أسَّير البشر على هواى.

تذكرت وجدان تلك الفتاة البدوية الصغيرة التى لا تملك من الدنيا سوى قلب طيب يحب ولا يكره عطوف على الآخرين، لم تحصل على أى قسط من التعليم بينما حصلت أنا على التعليم العال ولم تحصل هى على بدايات القراءة والكتابة.

لقد حصلت وأمثالى أبناء القاهرة والمدن الكبرى على نصيب أبناء النجوع والكفور من التعليم، أى أن الدولة أنفقت على أمثالى من مستحقات وجدان المالية لأتعلم وأطفو فوق سطح الحياة وإذا أعجبنى شىء ما فى يد أمثال وجدان فلابد لى من الحصول عليه ضاربة بعرض الحائط أحاسيس ومشاعر الآخرين، ذلك هو قانون الغاب والبقاء للأقوى وليس البقاء لصاحب الجود والكرم ومآثر الإسلام الحنيف.

قررت العودة لزيارة هذا الشاب الذى أصابته نيران العدو فى أماكن كثيرة من جسده، كان قريب العمر من حاتم زوجى الراحل الذى رغبت فى أن يحل رجل آخر مكانه، لم تفعل جدتى إيزيس هذا، كيف لى فعل هذا وأنا أشعر أننى أسير على منوال خطاها العظيمة التى جعلتها إسطورة يتحاكى عنها الناس فى بلاد الدنيا قاطبة لعظمتها ولشدة وفائها.

هذه سقطة أخرى كدت أقع فيها، عُدت لزيارة هذا الشاب مدفوعة بذكرى الراحلة الطيبة وجدان التى لم تغضب حين حضرت من القاهرة لأشاركها حب حاتم ولم تفكر أن مشاعر حاتم حكر عليها فقط فمشاعره للجميع!!

بالفعل مشاعره للجميع مثل الزهرة الفيحاء التى عطرها وشذاها للجميع ولا تستطيع أن تمنع عطرها أن يغازل أنوف اى إنسان يقترب منها، هكذا كانت وجدان التى ظلت مثابرة أكثر من خمسة أشهر على علاج حاتم وأنا المتمرسة فى مجال الصيدلة حينما شاهدت إصابة حاتم من أثر قذفه بمادة

النابالم شعرت بالقشعريرة والخوف ومازالت تنتابنى تلك الحالة حينما أستعيد بذاكرتى تلك الوهلة الأولى لهذا المنظر البشع الذى دمر ما خلقه الله.

طرقت باب الحجرة بهدوء ثم دخلت فشاهدت أسامة جالسا يتناول الدواء من يد الممرضة، ظهرت الفرحة على وجهه وأشار لى بالدخول والجلوس على الكرسى لأن الفتاة التى شاهدتها منذ عشر دقائق ما زالت تجلس على حافة السرير.

بعد الإنتهاء من حصوله على العلاج رحب بى كثيراً وأفاض علىّ بتعبيرات طيبة وذكرى الشهيد حاتم الطحاوى، نظرت إلىّ الفتاة بكل نعومة وطيبة قلب ونهضت وجاءت تقبلنى تشد على يدى بأن الكثير من جميلات مصر فقدن الزوج والخطيب والأخ والأب من جراء حروب مصر وإسرائيل التى لا تنتهى.

رغبت فى المغادرة فقد شعرت براحة نفسية، عرفنى أسامة على الفتاة - دى يا دكتورة إيزيس تبقى أختى لأنها بنت خالتى إللى رضعتنى وأنا طفل صغير، هيا وكل إخواتها الحلوين بقيت أخوهم!!

- ربنا يخليكم لبعض .. ح أقوم بقى عشان الموصلات وعلى فكرة بابا وماما وإيناس بعتين السلام لك.

- ربنا يعطيهم الصحة والعافية ويتحملوا صدمة فراق المهندس أشرف.

- الله يرحمه .. أتمنى لك الصحة والسعادة وإعذرنى لو تأخرت عنك فى الزيارة.

- متتعبيش نفسك، العيد باقى عليه تلات تيام وأنا ح أخرج بعد العيد بأسبوع يعنى عشر تيام أقضيها مع أبويا وامى وأول خروجه من بيت العيلة ح تكون لزيارتك وزيارة عيلتك وأخد بخاطر أختنا الغالية إيناس.

هكذا غادرت الحجرة التى يعالج بها هذا الشاب وبالطبع يقاسى من آلام الإصابة ورغم هذا يبتسم للحياة ويرتب لزيارات لبعض معارفه ومحبيه شعرت براحة نفسية عجيبة بعد زيارتى تلك وبعد أن علمت بأن تلك الفتاة الجميلة التى تجلس بجواره ما هى إلا أخت من الرضاعة تحنو على أخ من رضاعة أمها له وما أجمل وأحلى من الأخلاص والود بين الناس.

ليلا بحجرتى بعد أن خلا الجميع للنوم ظللت فى حالة إستيقاظ وشعرت بشعور الكثير من الزوجات اللاتى ترملن مبكراً، إنه شعور عظيم ومؤلم نفسيا لكن الخجل يعترى بنات حواء ولا يفصحن عما ينتابهن من مشاعر راغبة فى إستكمال الحياة التى أودعها الله قينا.

لا رهبنة فى الإسلام وحينما يفارق الرجل زوجته فى بداية حايتهما تشعر الزوجة بعد فترة بجفاف عاطفى شديد تحاول بكل الطرق ملأه بإنشغالها بتربية أطفالها أو فى عملها أو التقرب من الله بالتصوف ومظهر الملابس الفضفاضة والقاتمة الألوان.

لكن الليل الستار يفضح بنات حواء لما يحدث بداخلها والذى يظهر عليها فى صورة بكاء أو دموع على ذكرى الحبيب أو الزوج الذى غادر الحياة ونظرا لأن الحياة مستمرة فيترائى أمام حواء الأرملة الصغيرة صورة أو أكثر لإنسان عرفته عن بعد أو إقترب منها دون قصد.

ورغم أنها تحاول إستبعاد هذا الشبح الذى تفكر فيه أو من تصرفاته أن يحل محل الزوج الشهيد إلا أنها تقاوم نفسها والتى تصبح نفسٌ لوامة عصية عنيفة لكن أمام الناس والمجتمع فهى زوجة الشهيد والأرملة التى لم تشعر بطعم السعادة الزوجية سوى شهور أو سنوات قليلة.

تخشى كل الناس القريب قبل الغريب بل إنها تخشى أن يفتضح امرها عندما تحادث أحد الرجال فى مجال العمل أو الخدمات العامة وبالتالى نشاهد عليها الجدية والخشونة فوق العادة والتى تبعد الناس عنها.

كيف يحدث هذا؟ أليس لنا فى رسول الله الإسوة الحسنة، الرسول الذى كان يتزوج من زوجات الشهداء بل ويطلب من الصحابة الأطهار الإقتران

بزوجة الشهيد وبُحسن معاملتها ومعاملة أبنائها، فهى الأحق بالرعاية لقد فقدت الونيس والأليف والحامى والمنفق على الأسرة فلا أقل محاولة تعويضها عن جزء مما فقدت وأن نبعد عنها ألسنة الناس من أن تلوك سيرتها العطرة بما يضرها ويضر أبنائها.

هذا ما فعله الرسول، ألا يمكن أن يكون هذا نبراسا للجيل الحالى مؤيداً بفتاوى الأزهر ومؤيدا بقرارات الحكومة، لقد علمت أن بعض زوجات الشهداء تضطر حيال هذا أن تتزوج * " ***عرفياً*** " تجنبا لأن تحرمها الحكومة من المعاش المقرر لها.

إن الحكومة وأربابها هم من دفعها للوقوع فى هذا الخطأ وهذا الزلل رحمة ببنى البشر ورغم أننى لا أنتوى الزواج بأحد بعد ما حدث لى فى مستشفى المعادى من مراجعة نفسية وفكرية لكن هناك سيدات يحتجن إلى حنان وعطف الرجل، لماذا يسرع الرجل بالزواج بعد وفاة زوجته بأسابيع ولا تمنعه التقاليد عن الزواج الثانى.

* ***(عرفياً)*** استبدل هذا القانون وأبيح الزواج لزوجة الشهيد وفى حالة فشل الزواج التالى وطلاقها يمكنها أن تعود للحصول على جميع مستحقاتها من القوات المسلحة كسابق عهدها.

بعد أن إستقر الحال بشقيقتى وقررت العيش بجوار أمها وأبيها إلى أن تشب إبنتها عُدت إلى جزيرة سعود التى كانت تتغلل محاسنها وطيبة أهلها بكيانى النفسى والجسدى، لقد شعرت بأن وجودى بالقرب من مدفن حاتم هو حماية لى من الإندفاع نحو عاطفة عابرة قد تصبح نتيجتها مثل البقعة السوداء فى الثوب الأبيض.

داومت على زيارة قبر حاتم وكنت أجلس لفترات طويلة أمام المدفن أبثه أحلامى وأقدم له إعتذارى عما راود فكرى وخيالى مفندة ما فكرت فيه بأنه شىء فوق القدرة والطاقة والإرادة فلتعذرنى أيها الشهيد وأنت ترفل الآن بجنة الخلد مع الأنبياء والقديسين ومن حولك حور العين التى بشرنا بها الله لمن يلقى ربه شهيداً مدافعاً عن الوطن والعرض.

مضت الأيام سعيدة على الشعب المصرى ومن أكثرهم سعادة من فقد شابا بالمعارك السابقة منذ حرب يونيو ١٩٦٧ وبدأت الدولة فى إقامة عيد تحرير سيناء وقبلها عيد النصر يوم السادس من أكتوبر وسمعنا الأناشيد والأغانى التى تمجد مصر وشبابها.

خلال هذا حبا ابنى أولى خطواته بالتعاليم ودخل المدرسة التى سميت على إسم أبوه " مدرسة الشهيد حاتم الطحاوى الإبتدائية المشتركة " لم يكن

يدرى عن هذا شيئاً لكن بالمستقبل سوف أزوده بما يناسب عمره من معلومات تجعله فخوراً بأبيه، تلك المدرسة تكفل والد حاتم بثمن قطعة الأرض والبناء من ماله الخاص لتكون صدقة جارية على روح ابنه الذى فقد حياته ولم يبلغ عامه الثلاثين.

مضى على نهاية حرب أكتوبر قرابة العام خلال هذا كنت على تواصل مع أمى وأبى وأقوم على زيارتهم كل شهر وفى المناسبات، علمت خلال تلك الزيارات بأن أسامة أوفى بوعده وقام على زيارتهم وقدم واجب العزاء لشقيقتى فى زوجها واندفعت فى البكاء كأنها علمت الآن باستشهاده.

حينما جلست مع إيناس قصت علىّ ما حدث يوم جاء أسامة لزيارتهم، لقد شعرت بأنه قادم يخبرنى بموعد إجازة أشرف بل حينما كنت أنظر له بعد مضى سبعة أعوام على أول لقاء يوم أن قام بمساعدتى وركوب لورى الجيش كنت أتذكره وقتها ولا أشاهده اليوم بعد أن أصبح شابا قويا يافعاً.

ظل أسامة أمامى الضابط الصغير النحيف صاحب اللحية خفيفة الشعر بوجهه الطيب الذى تغير بلون الغضب بعد أن قام الضابط الأكبر منه بتوبيخه أمامى وأمام السائق، إنه هو وليس ما أصبح عليه الآن.

عُدت إلى جزيرة سعودة بعد أن أشعلت إيناس ذكريات مضى عليها سبعة أعوام، أشاهد ابنى يلعب من حولى ويقلب الكتاب ويلهو ثم يغلق

الكتاب وأعود إلى الزمن الجميل عندما تكون الفتاة منا يانعة خضراء تلهو حول أهلها حتى لو كانت تدرس بالجامعة.

كان هذا حالنا، لم نكن مُحملين بأعباء العمل والصرف والمسؤلية والزوج والأبناء، كنا فراشات ذات أجنحة شفافة تبدو ألوان السعادة من بين نسيج أجنحتها الرقيقة، لا نحمل هما للحياة ولا نفكر فى المستقبل وكلها آمال وطموحات مشروعة يبدد ألوانها رؤيا خيال الفارس القادم لكل فتاة يحملها على حصانه الأشهب ليطير بها نحو السماء فى عُش بين أغصان الزهور لا يشاهدهم خلالها أحد.

تعيش تلك الفتاة تلهو بنفس الفستان، لا وجود لأطفال ولا مطبخ أو طعام بل هى حياة كحياة الملائكة المنزهة عن كل هوى وغوى، قد لمعت الأجساد برقة ونعومة أكثر من نعومة ساق نبات الغاب التى يضرب به المثل.

ونفاجأ بأن الفستان قد تهدلت حوافة وسقطت بعض زيناته الزجاجية وتهدل شعر الرأس وإنتفخت البطن من الحمل ولم تعد كسابق عهدها بل تأكلت أظافر اليدين ولم تعد لامعة وخشن ملمس اليدين وتاهت الذكريات الحلوة بين المواصلات والأسواق وضاع عبير النفس الرقيق بين دخان وعوادم اللوارى والمصانع وطردت أصوات الغوغاء أصوات وأنغام الألحان العذبة التى كانت تغذى المشاعر.

عشـــانك يا قمر .. أطلع لك القمر
مدام هواك أمر .. أطاوعك يا قمر
بحـبك .. احبك .. احبك .. يا قمر

سرح خيالى وتاه بين المزارع القريبة من الصيدلية وشعرت بثقل فى رأسى وبحالة من التية أو النوم ستفاجئنى، حاولت التنصل منها والفكاك بعيداً عنها لكنها دامت ولم أعد أدرى ما حدث، سمعت صوتاً ينادى على إسمى، صوت أعلمه واحفظه عن ظهر قلب، هو صوت مخالف فى النداء عن أبناء القرية.

أجبت على صاحب الصوت ومازالت فى حالة من التيه، أعاد النداء وبأنه قادم لزيارتى والإطمئنان على حالى وحال ابن البطل، تنبهت ونهضت من جلوسى لأشاهد أسامة أمامى مادا يده مصافحاً تلعثمت فى بادىء الأمر ورحبت به على غير العادة وقدمت له كرسى كى يجلس، طلب منى الهدوء وأنه سوف يجلس عدة دقائق ثم يغادر القرية.

جلست صامتة ولا أعرف السبب لتلك الزيارة لكننى علمتها فيما بعد جلست لأشاهده، صمّت كى أترك له حر الحديث لم أتحرك ولم أتحدث حتى إنتهى من كلامه، إبتسم ونهض مصافحاً وزيل كلمات الوداع بأنه ينتظر منى مكالمة تليفونية وأنه سيتقبل القرار سواء إيجابى أو سلبى.

غادر الصيدلية وجلست على الكرسى دفعة واحدة مثل كتلة من الخشب وسمعت صوت إرتطامى بالكرسى ونظرت إليه وهو يسير على مرمى النظر من خلال باب الصيدلية المواجه للشارع.

كدت أبكى وانفطرت الدموع الحزينة الساخنة من عيناىّ، أتسائل : كنت أعتقد أنك تفكر بى مثلما أفكر بك، لقد قرأت العديد من الروايات التى تؤكد بنسبة كبيرة بأن حواء حينما تفكر برجل فهو بالمقابل يفكر بها بعكس لو كان الرجل يفكر بحواء فلا يحدث منها نفس التفكير لأن لها مزاجا مخالف يشدو برقة لا تجدها فى كل رجل يفكر بها، الرجل عليه الإختيار وحواء عليها القرار.

تأتى إلىّ حاملا معك اطروحة عريس يتقدم لى، أنت من يقدم لى الرجل الذى يستحقنى، هل هذا الرجل يكافىء حاتم، هل هذا الرجل يتماشى معك ومع ما قمت به نحوى ونحو شقيقتى، ألم تفضحنى عيونى أمامك حينما قمت بزيارتك بالمستشفى عدة مرات.

حرام عليك أن تهدم عش سعادتى والتى أقمته من بعض أوراق أشجار النرجس الندية الرقيقة، لقد كنت أحلم بها وأعيش معها لماذا لم تتركنى أعيش مع حياتى وحياة ابنى وذكرى الزوج الذى جاء للدنيا كشهاب ناصع لم يدم طويلا لكنه ترك حبه فى قلبى وابنه فى بطنى وذكراه مازالت ماثلة أمام الألوف من أبناء القرى المجاورة.

شكرا أسامة ولقد بدأت علاقتنا بك رائعة وإنتهت اليوم سيئة إلى أقصى حد وأرجو من الله أن يزيل عنى هذا الكلام الذى أشعر بأنه رجس من عمل الشيطان الذى إستطاع أن يبدد حياتى الهانئة رغم ما كنت أعانيه من فراغ عاطفى مازال قائماً حتى الآن.

أغلقت الصيدلية وعُدت إلى المنزل أسمع صياح أحمد خلفى يطلب منى أن أسير بجواره ولا أبتعد عنه، كل صرخاته ضاعت أدراج الرياح التى دمرت كل أجنحة الفراشة الرقيقة وأصبحت دون أجنحة وكيف احلق فى السماء الرحبة، لن استطيع وسأظل قابعة على الأرض حتى يأتى من يدوس علىَّ بأقدامه وينهى حياتى التى بدأت نهايتها يوم اندفع الحبيب إلى الحرب مع آلاف آخرين.

وصلت إلى المنزل وشاهدتنى "حماتى" الطيبة وشعرت بأننى مريضة وأسرعت نحوى تقبلنى وتساعدنى للصعود لشقتى برفقة أحدى الخادمات أعدت لى كوبا من الليمون تناولته بصعوبة وجاء أحمد ينام بجوارى يلهو فدفعته بعيداً، حملته جدته وإختفت به وعادت إلىّ ثانية ونظرت بعيونى :

ـ أسامة جالك حاجه زعلتك ؟

لم أستطع الإجابة وبكيت وشعرت السيدة بأن ما تحدث به أسامة معى يخص المشاعر والأحاسيس، هدت على كتفى وظلت تدعو لى بأدعية

تاهت عنى معانيها، ساعدتنى فى إستبدال ملابسى وأغلقت باب الحجرة ومنعت عنى الضوضاء.

خلدت فى نوم صعب للغاية شعرت بأننى أهذى فى بعض الأحيان مما إستدعى أم حاتم بأن ترسل فى طلب الطبيب الوحيد بالقرية، كان الطبيب رجل كبير السن وبدأ عمله فى القرية منذ تخرجه إذعانا لوصية والده بأن يقوم على خدمة أهل البلدة الفقراء.

كان الرجل حليماً هادئاً وقام بعمله وبالطبع فهو يعرفنى لأن زبائنى من مرضاه بعد أن انتهى من إجراءات الكشف الروتينة أخبر أم حاتم بأننى تعرضت لأزمة نفسية حادة وأن البعض تحدث معى بحديث غير لائق أو جاف وعلى غير رغبتى.

إنصرف الطبيب وجاءت أم حاتم التى تحمل مشاعر الأمومة المنتشرة بين أمهات مصر، نظرت فى عيونى وتحدثت بحديث هادىء على إنفراد :

- حبيبتى إيزيس، إحنا ستات زى بعض والست فينا لما بيتوفى راجلها بتحس أن الدنيا إطربجت على رأسها وبجت سودة وضلمة فى عز الضهر تبجى بتلف فى السرير وهيا نايمه زى الطنبور إللى بيلف عشان يطلع الميه من الأرض الواطية للعالى.

أنتى محتاجه راجل وأنتى لسه صغيرة وجدامك الزمن طويل والعمر مديد وابنك ح يكون فى أمان معايا ومع سيده أحمد الكبير، أنا شاعره إنك ميالة للظابط إللى إسمه أسامه، جلب الولية بيعرف أحاسيس الوليه إللى زيها، جومى يا بنتى وشوفى حالك ومصلحتك، مافى ست فى الدنيا عملت إللى أنتى عملتيه عشان خطيبها ولسه مكانشى جوزها، ربنا يعافيكى وإحنا مش ح نستفيد حاجه من ترملك وتعيشى تعبانه، لما أشوفك فرحانه ومبسوطه ح أبجى مبسوطه، رأيك إيه؟

ـ والله كلامك حلو يا نينه لكن إللى حصل أن أسامة دمر كل حاجه، أنا كنت فكراه حاسس بيا لكنه جاى يعرفنى بأن فيه طبيب بمستشفى المعادى شافنى وعرف أننا قرايب ووسطه يتقدم ليا، تخيلى، أنا فكراه جاى ليا لكنه كان عايزنى لحد تانى أعصابى مقدرتشى تتحمل.

ـ لكى حج وكل الحج، طيب نفوج ونعطر نفسنا والجو حلو من حولينا ونتمتع بأحمد الصغير لحد ما ربنا يفرجها.

هكذا تركت سرير المرض إلى سرير العرض، ومازلت أتسائل كيف لهذا الإنسان أن يتطوع ويتجرأ ويأتى إلىّ خاطبا ودى لشخص آخر؟

أسـامة : حاولت الإتصال بالدكتورة إيزيس ولم أوفق، بالعزبة أخبرونى بأنها فى مهمة عمل ولن تعود قبل شهر وفى بيت والديها أخبرونى بأنها

بالعزبة بجزيرة سـعود، الطبيب الراغب بالتقدم لها يستعجل الرد ومن حين لآخر يتصل بى ثم توقف عن المتابعة، علمت من أحد أصدقائنا نحن الإثنين بأنه إرتبط بعدما شعر بأننى لم أوفق فيما طلبه منى بتقدمه لطلب يد إيزيس، شعرت بالراحة وأيضا بالخجل، ماذا سأقول لإيزيس لو أعلنت موافقتها للمتقدم لها.

مازالت بإجازة من أثر الإصابة، فى أحد الأيام أقبل سائق الحاج أحمد الطحاوى وطلب منى لقاء السيدة أم حاتم، نهضت تلبية لدعوة أم الشهيد وكنت أخشى أن تخبرنى بأن إيزيس وافقت على المتقدم لها أو يساورها الضيق بأن أتى بزوج لأرملة ابنها.

وصلت مع السائق للقاء السيدة بمدينة فاقوس القريبة من جزيرة سعود كانت فى ضيافة شقيقتها، إلتقيت بها ورحبت بى كثيرا ثم فاجأتنى بما لم أكن أتوقعه.

- معزتك فى معزة المرحوم حاتم وطولة العمر لك، ليه بتعرض على إيزيس عريس وهيا ريداك!! وإلا ملكش هوا فيها؟

- أبدا، مفكرتش فى الحكاية دية وكنت باشعر أن التفكير فى الحكاية دية كأنه نوع من الخيانة لذكرى حاتم وأيضا للصداقة التى جمعتنى بعائلتها.

- خيانة إيه؟ حاتم عند ربه وإحنا ولاد النهارده، إن كنت رايدها تعالى البلد وإجعد معاها فى الصيدلية بعيد عن كل عين واتحدد معاها وإن لجيت صدى طيب خد معاد وروح لدار أبوها فى الدجى.

- ده شىء يسعدنى وح أنفذ كلامك وطبعا من غير ما إيزيس تعرف بالمقابلة دية.

- عليك نور، المثل بيجول دارى على شمعتك تجيد يعنى تنور وتضوى فى عز الضلمة.

- حاضر وألف شكر على تعبك.

- أنا تعبانه لتعب إيزيس إللى تستحج منى كل شىء عزيز، لو حياتى تسعدها أديها لها بكل نفس طيبة.

نفذت نصائح أم الشهيد، قمت بزيارة مفاجئة لإيزيس بالصيدلية، فى البداية رحبت بى سرعان ما تبدل الترحيب بوجه متجهم راغبة بإنهاء اللقاء، لم أبال وإقتربت منها معبراً لها عن كل تقدير وأننى أرغب بالتقدم لك كزوج إذا وافقتى على رغبتى تلك ولم اذكر لقاء أم الشهيد بناء على رغبتها.

نظرت إلىّ بكثير من الريبة والشك وتسائلت منذ أسبوعين أو أكثر حضرت مقدما لى بزوج واليوم تأتى إلىّ راغبا بى كزوج، من هو المتقدم؟ أرجوك أن توضح وتفسر كلماتك، أيدت شكوكها وتخبطى فيما قلت وبررت هذا بأننى بعد أن أخبرتك بالصديق الراغب بالتقدم إليك راجعت نفسى ومنيتها بأن لو لى نصيب فى الإقتران بك سوف يكون هذا مكافأة لى على إنتصارى فى الحرب والأخذ بثأر الشهداء واولهم حاتم الذى سنتعاون لتربية ابنه والإهتمام به.

شاهدتها صامتة وانفرج وجهها العابس ببسمة أضاءت وجهها الجميل وردت بكلمات طيبة بأن أتركها تفكر وتعرض الأمر على والديها ووالدىّ حاتم، وافقتها الرأىّ وصافحتها وشعرت برعشة بيدها.

غادرت الصيدلية وشاهدتها تقف على بابها مودعة وشاهدت ثغرها باسما بصفاء نفسى إعتدت مشاهدته خلال زيارتها لى بمستشفى المعادى للعلاج من آثار الحرب، تذكرت كلمات حاتم لى عندما قمت على زيارته فى البلدة فى أيامه الأخيرة وهو يحكى لى عن قصة حبه التى بناها مع إيزيس.

إيزيس :

غادر أسامة الصيدلية وتركنى وحيدة، لقد كان شعورى فى تلك المرة مخالفاً عن شعورى السابق نحوه، أتسائل: هل كان راغبا بى وأراد أن يقوم

بإختبار ما بأننى مستعدة لترك الرهبنة والتقدم للزواج بعد الشهيد، ومن الممكن أن دعاء أم حاتم جاء بنتيجة.

إن تلك السيدة قريبة من الله فى السر والعلن وهذا بإعتراف العديد من نساء القرية العجائز والشباب بل إن بعض نساء القرية يقبلون عليها كى تقوم برقىّ أبنائهم من المرض وفى حالات كثيرة يوفقها الله ويأتى بالشفاء للمريض بالإضافة إلى أن يُسر حالتها المادية هى وزوجها يدفعها لتوزيع بعض الهبات على نساء القرية اللائى هن فى إحتياج للعون المادى.

أخبرت أم حاتم بما حدث وشاهدت الفرحة على وجهها ناصع البياض وقبلتنى ودعت الله أن يوفقنى مع تمنياتها بأن أظل وفية لها وألا أمنع حفيدها من رؤيتها إذا صممت على التمسك به وأن يعيش معها بعد الزواج.

مع عائلتى بالعجوزة كان الخبر مفرحاً وسعيداً ومفاجئاً لهم جميعاً وقدموا التهنئة المسبقة لهذا الإختيار فهم يعلمون من هو أسامة بالنسبة للعائلة، قررت التريث فى إعلان الخبر للجميع ويكفى العائلتان ولا داعى للحكى والقيل والقال التى يعشقها المصريون والنصائح التى ستنهال علىّ بنسيان الشهيد ومآثره التى يعلمونها وترك إبنه ليصبح يتيم الأب والأم.

أسـامة : أسرعت أخبر أمى بالعثور على العروس التى كانت تدفعنى دفعا لتخيرها والإقتران بها خشية ما تسببه الحرب من مآس سيئة للشباب

ولعلاتهم، كانت مثل كل أم مصرية تخشى الشهادة على إبنها وتضيع ذكراه، كانت مثل أم حاتم تريد الحفيد الذى يكمل ذكرى الأب الشهيد أو المصاب بعاهات تؤثر على قدرته على الإنجاب، ليس للأم المصرية أى إعتراض على قيام ابنها بالدفاع عن الوطن لكنها تخشى المجهول.

إستقبلت الخبر بسعادة ثم إستوضحت بعض بيانات عن العروس وكانت الفرحة والسعادة على وجهها حتى إذا ذكرت أنها أرملة شهيد حتى توقفت وصبغ وجهها الأبيض بلون أحمر قان وظهر الحزن والعبوس على وجهها ونهضت مغادرة الحجرة وهى تردد :

- أبداً، مافيش جواز من واحدة سبق لها الجواز.

- يا أمى هى إنسانة ممتازة وجميلة وزوجة شهيد.

- ده السبب الأساسى، فال سيىء، حاولت علاج الموقف دون جدوى وتدخل والدى بالنصح والإرشاد مستشهداً بزواج الرسول من زوجات الشهداء دون جدوى وصممت أمى على رأيها وسقط فى يدى وما الحل أمام تلك المشكلة التى تواجهنى وتلك هى المرة الثانية عندما اتخير عروس جميلة أرغبها تظهر عقبة، ففى المرة الأولى كان الرفض من شقيقها الضابط الذى صرح أمامى بأنه لا يرضى لشقيقته بأن تصبح أرملة.

قذفت بى أمواج الحيرة والتخبط إلى نهر عنيف من الصراع والأمواج العاتية التى ليس لى بها خبرة أو دراية للسباحة ولهذا أوكلت ما يجد فى هذا على الله فهو علام الغيوب ولديه القدرة على فهم ابناء البشر وعلى علاج ما يقابلهم من مشاكل وأنواء فى حياتهم.

إلتقيت بإيزيس وتجاهلت غضبة أمى وبدأت قصة حب أعتبرها الأولى رغم قصة الحب السابقة التى قتلت فى مهدها فقد نمى العقل وتقدمت بالعمر ثلاثة أعوام وإنتهت الحرب بالنصر فلنحيا ونحب ونمرح نحن الشباب الذين حُرمنا ملذة الحياة ومتعة الشباب من المرح والتنزه ولقاء الأصدقاء ونسج بعض خيوط من حرير الصداقة والحب لفتاة جميلة تهمس فى الأذن بكلمات قليلة شجية وتشبع الأنف بطيب الرائحة الذكية وتسعد العين برؤيا وابداع الخالق فى عباده.

تلاقت الأكف وقبلها القلوب بعيون هامسة ساحرة ترجو لمستقبل سعيد أن يبدأ فى ظل منزل بسيط نحتمى أسفل أسقفه من أشعة شمس شهر يونيو الحارقة وجدران تبعد عنا عيون المتلصصين الغادرة الراغبة فى إفساد كل نبت طيب تظلله نسمات الحب والإخلاص.

بعد عدة لقاءات شعرت بأن فتوراً بدأ يظهر وينمو من جهة إيزيس ولا أعلم السبب فى هذا، حاولت الإستنتاج فلم أجد سبباً واضـــحاً فى هذا وبدأ ينفضح الأمر إلى سؤال مباشر ولكن الإجابة لا تأتى مباشرة وفى بعض

الأحيان توقعت أنها تخشى على طفلها من الإهمال والنسيان وفى أحيان أخرى اعتقدت أن إرتباطها بشخص آخر بعد زوجها الشهيد عدم أمانة وحنث بالعهد الشفهى بينهما عندما بدأت قصة الحب بينهما تنمو وتترعرع.

أحد الأيام إتصلت بى إيزيس وبعد الترحيب ومقدمة رقيقة مثـــلها قالت " أسامة .. أتمنى من الله أن يوفقك فى بنت جميلة تستحق حبك وإخلاصك وإللى بينا هو الصداقة والإخوة .. شكراً" .. انتهت المكالمة ومعها إنتهت قصة حب جميلة لكنها صغيرة الزمن والعائد، لم أحزن فقد توقعت هذا من التصرفات السابقة وعدم مرحها وسعادتها بعد اللقاء والتى كانت تحدث فى بداية لقائتنا الأولى.

إيزيس : الحمد لله أننى تخطيت تلك الكبوة التى كنت سأقع بها، لقد أقلمت نفسى وحياتى على ماض مشرف فى حياتى وحياة الحبيب الوحيد لى وأيضا كنت سأرتكب أكبر خطأ فى الحاضر والمستقبل لإبنى الوحيد وابن الشهيد.

رغم حزنى على ما قمت به نحو أسامة الذى لا يستحق منى إلا كل تقدير وإمتنان على تاريخه معى ومع شقيقتى إلا أننى كنت أحاول التمسك بالشجاعة التى لبستنى منذ قراءة رواية الجدة (إيزيس) ولهذا تحدثت معه بلهجة جافة أبعد عن أسلوبى الرقيق حين التحدث مع الناس عامة والمعارف

والأصدقاء خاصة، الحمد لله وأدعوا الله ألا يغضب منى وأن نحتفظ بالصداقة والإخوة التى تعدت سبعة أعوام.

وقع الخبر على أم الشهيد بنوع من الحزن لعدم إتمام سعادتى وأيضاً بالفرحة لأننى مازلت حافظة للعهد وأن هذا سيصب فى صالح بقاء الحفيد بجوارها، نهضت تقبلنى وتعطرنى ببعض عبارت طيبة يشملها الدعاء بأن اظل فى سعادة وأن يقوم ابنى أحمد بمكافأتى بعد نموه وتخرجه ويقدر صنيعى نحوه.

إحدى الليالى جلست أستعيد الماضى منذ عرفت أسامة، ومن خلال هذا الماضى عُدت لقراءة رواية إيزيس، شعرت بسعادة غامرة، فقد نهجت نهج الجدة التى لم تقع فى الحب بعد أوزوريس وكل خطواتى سواء المحسوبة أو الواردة على عقلى كانت مسايرة لخطوات الجدة ولم تنحرف عنها سوى إن تجربتى لم تنتهى كما انتهت قصة (حورس) ابن إيزيس الجدة.

إذا أعطانى الله العمر والصحة سوف أحاول أن أنتهى من آخر نقطة قامت بها جدتى إيزيس التى أهلت ابنها (حورس العظيم) لأن يتقلد منصب أبيه أوزوريس وساعمل باقصى جهد وطاقة أيتها الجدة العظيمة وأتمنى أن يوفقنى الله ويمتد بى وبأبنى العمر حتى أصل به إلى بر الأمان حتى يكمل ما قام به الجد أوزوريس أو الأب حاتم الطحاوى

بدايات حورس الصغير

شعرت بأننى تحررت من أى قيود وتركت أمور العواطف والحب والزواج بعيداً عنى ولم أسمح لأحد أن يفاتحنى فى موضوع كهذا ورغم النقد الموجه لى من والدايَّ وصديقاتىَ بخصوص رفض عرض أسامة إلا أننى أختصرت فى الإجابة وأنه لا زوج آخر فى حياتى وأصبحت حياتى حكراً على ابنى الوحيد.

وقفت بجوار أحمد ولم يعد لى فى الدنيا سواه وأنتظر بزوغ الشمس لأبدأ معه رحلة العلم والتعلم وأنتظر هلال القمر كى أنظفه وأطعمه كى يخلد فى نوم هادىء إستعداداً لشمس يوم جديد، هكذا كانت حياتى تنمو مع ابنى ومع الطبيعة التى تأكد لى أنها ترعى (حورس الصغير أو حورس القرن العشرين).

إعتاد الجَّد أحمد الطحاوى أن يصطحب حفيده إلى المسجد للصلاة كما إعتاد من وقت لآخر أن يرافقه إلى إسطبل الخيول، كانت زيارة إسطبل الخيول فى بدايتها ولمدة عامين تتجه صوب إسطبل المهور الصغيرة وسرعان ما نضجت ووصلت الزيارة لمكان الأمهات والمهور الصغيرة أثناء الرضاعة واللهو مع الأمهات.

كان أحمد يأتى إلىّ مرهقاً سعيداً ويروى لى كل ما شاهدة بحب وسعادة وكأنه لعب مع أصدقائه، وصل الأمر بأنه غاضب من المهر (سعد) لأنه لم يبالى به وتركه وأسرع نحو أمه كى يرضع منها واندهش لهذا متسائلاً :

ـ تصورى يا ماما (سعد الحصان الصغير صاحبى) سابنى وراح لمامته عشان يرضع، نلعب سوا الأول وبعدين يروح لها لكنه مرضيش يرد عليا وسابنى زعلان ح أقول لجدى ميخليش (سعد) يخرج من الإسطبل يلعب لوحده!!

أشاهد صغيرى يتحدث بتلقائية كأنه يتحدث عن أحد زملائه بالمدرسة وليس حيوان أعجم وللحقيقة هذا الحيوان الأعجم كان يملك من القدرات والذكاء والفهم الكثير، ولا أجافى الحقيقة إذ قلت أنه يتميز عن الكثير من البشر فى كثير من الأمور سواء فى النظافة الشخصية أو حُسن التعامل فيما بينهم ومرح الصغار مع الأفراس الكبيرة والرعاية والحب والعطف.

وإذا أضفنا مواصفات الحصان وخصوصاً العربى التى تتميز به مصر وبالأخص منطقة الحسينية وجزيرة سعود بمحافظة الشرقية وتلك الميزات دفعت هواة الخيول للقدوم لتلك المناطق لشراء بعض المهور نظير مبالغ خيالية تصل فى بعض الأحيان إلى ملايين الجنيهات.

بدأت فى متابعة أونكل أحمد الطحاوى جد ابنى وهو يصحبه للإسطبل ويعلمه بكل هدوء كيفية التعامل مع المهور الصغيرة وبخطوات بطيئة وعملية، يشرح له أولا ثم يقوم هو بالتنفيذ العملى أمام حفيده بعدها يمسك بيد الصغير بعد أن يقبلها ويقربه من الفرس أو المهر الصغير، ومما لفت نظرى وسمعته من الجد العظيم تلك المعلومات :

- الخيول يا أحمد حلوه خالص وبتحب الإنسان إللى بيحبها ويحترمها وتكره إللى يضايجها، عايز منك تحب الحصان الصغير لأنه زيك وصغير وأنت بتزعل منه عشان بيسيبك ويروح لأمه، هوه جعان وأمه بتجوله تعالى إرضع دلوجتى وبعدين روح إلعب مع أحمد.

- هوه الحصان بيتكلم يا سيدى؟

- أيوه، إحنا بنتكلم والحِصنة بتتكلم، هما ميعرفوش إحنا بنجول إيه وكمان إحنا منعرفشى بيجولوا إيه عننا، لكنهم بيحسوا بالناس، يعنى لما ييجى المهر الصغير جريب منك عامله كويس.

- إزاىّ يا سيدى؟ يعنى إديله حتة عسلية من إللى معايا؟

- لا .. عسلية إيه، المهر الصغير بيحب الخضرة يعنى الزرع، ممكن تاخد شوية برسيم من الموجود بركن الإسطبل وتناولها له يبجى مبسوط وحيرجص من الفرح.

- طيب ح أعمل كده.

- شاطر .. كمان المهر الصغير ممكن تحط جدام حنكه حتة سكر صغيره بيحب السكر موت ومتنساشى الجزر بيحبه خالص.

- حاضر يا سيدى.

- شوف بجى، الحصان عنده إحساس بالحاجه الخطره إللى جربت منه عشان كده بيصهل يعنى زى متجول كده بيزعج ويفر من الحتة الخطرة فاهمنى يا أحمد؟

- فاهمك يا سيدى.

استمرت تعليمات الجد للحفيد وزاد عليها التدريب العملى على ركوب الخيل الصغيرة وحدث بين أحمد والمهور الصغيرة نوع من الحب والتجاوب زاد بمضى الأيام وخلال الشهور الفائتة تعلمت وعرفت الكثير من طباع وحياة الخيول من تعليمات الجد للحفيد، ومن بين تلك المعلومات التى سمعتها من الجد أحمد الطحاوى لحفيده :

أن مواصفات الخيول الأصيلة تبدأ بالأذن الصغيرة، والعيون الجميلة المتسعة، والجبهة التي كلما زاد تقوسها زاد جمالها، وفتحات الأنف الكبيرة دليل الصحة والقدرة على التنفس بعمق، وكلما صغر حجم الفم كلما زاد جمال الحصان، ويقال أن المهرة الجميلة تشرب الماء في فنجان للدلالة على صغر حجم الفم، وكلما تقدم الحصان في العمر كلما ارتفع ثمنه.

الخيل يتميز عن الإنسان بحاسة سادسة تتمثل فى توقع الخطر قبل وقوعه كما أنه يدرك الحالة النفسية لمروضه، والتعامل مع الخيل علم في حد ذاته والحصان غير مؤذٍ بطبعه إلا أنه لا يقبل أن يؤذيه أو يهينه أي انسان خصوصاً الحصان العربي فانه يقوم احياناً بالرد في الحال على من يحاول أن يؤذيه.

ويجب تزويده بظروف معيشية ملائمة ومستقرة ونظيفة ومرتبة ويجب إزالة البراز نهائيا من الإسطبل، المهور لايمكن أن تستريح فى الأماكن الضيقة، وهى بحاجة إلى الفضاء وأن تبقى نظيفة سواء بنظافة الجسم أو مكان الإعاشة " بالإسطبل"، وتوفير الغذاء الكافي لأن الخيول في حاجة إلى الطعام الممتاز الغنى بالمعادن والفيتامينات مثل العشب الطازج والتبن والقش والشعير والذرة والجزر.

كنت أشاهد الجـد يمسك بفرشاة وبجواره الحفيد يسلمه فرشاة صغيرة الحجم يقومان على نظافة المهور الصغيرة، يبدأ من عنق المهر ببطء

وينزل إلى أسفل بما في ذلك الساقين والبطن وتلك الفرشاة ليس بها خدوش حتى لا تسبب جروح تحتاج إلى علاج .

سمعته يذكره بألا تنسى تمشيط ذيل الحصان باستخدام فرشاة أخرى لهذا الغرض مع التنظيف الذيل الثابت (أعلى الذيل) من الشعيرات، وفى كل مره كان يذكره بأن يقف بجانب الحصان وألا يقف خلفه لخطورة هذا فقد يعتدى عليه الحصان بقدميه الخلفتين لأنه يخشى ويخاف ممن يقف خلفه، كما يجب الإهتمام بسقاية الحصان بمياه نظيفة وكافية له.

الخيول تُعطى مولودًا واحداً في كل ولادة ولابد من توفير مكان آمن وبعيد عن عيون الناس كى تلد الفرس مهراً صغيراً ولكى تكون الخيول صديقه يجب عدم مفاجأته عند الأقتراب منه ويجب إصدار أي صوت لطمأنته أولاً، ثم الأقتراب منه بثقه وهدوء والتعود على أن يكون الاقتراب منه من الناحيه اليسرى، ثم البدء بتدليك صفحة رقبته باليدين، عند قيادة الجواد يفضل أن يكون القائد على الناحيه اليسرى ولا يسير أمامه ولكن في منتصف المسافه بين الرأس والرقبة

قد يصدر الخيل صهيلاً شديداً دون مبرر يدركه الإنسان لأن عيونه في جانبي الوجه تستطيع رؤية الخطر من جميع الأتجاهات بعكس الحيوانات المفترسه والبشر فتوجد عيونهم في واجهة الوجه وتمتلك الخيول القدره على الرؤيا ثلاثية الأبعاد.

مضت أعوام قليلة وأصبح طفلى العزيز نوارة العائلة ورفيق كل وقت لجدة وجدته ينمو بدنيا وعقلياً يقضى باقى يومه بعد الإنتهاء من المدرسة والمذاكرة بجوار الإسطبل وبالأخص المكان المخصص للمهور الصغيرة وقد أصبحوا جميعا أصدقاء وبعض الخيول الأكبر أصبحت صديقة له لأنه كان يصادقها حينما كانت مهوراً صغيرة يقدم لها الطعام والعناية بها.

لم يتوان الجد فى تدريب الحفيد، يصطحبه إلى منطقة نائية بجزيرة سعود بمنطقة صحراوية ليس بها زرع لإرتفاع منسوبها عن فرع نهر النيل بالقرية، كان الجد يقدم التدريب لحفيدة خطوة خطوة والحفيد يتشرب ما يقدمه الجد حتى ظهر النبوغ المتوارث بالعائلة من التعامل مع الخيول فلحق بأبيه الراحل يخطو بجوار الجد رغم كبر سنه وكان قادراً على العطاء.

أصبح أحمد فارساً مشهوراً بمنطقة الحسينية وبدأ يشترك فى سبقات الخيول بمحافظة الشرقية وبدأ فى حصد الجوائز والدروع حتى تكللت ببطولة الجمهورية عامين متتالين وأصبح أحمد الطحاوى الصغير صورة من أحمد الطحاوى الجد فى الفروسية.

سارت بنا الحياة سيرتها المعتادة، أنا أعمل وطفلى ينمو ومع النمو الجسدى تنمو مداركه العقلية وبدا يتفتح على الحياة ويقرأ ويعلم ويتسائل عما حدث لأبيه وما سمعه من أهل القرية بأن والده أصبح شهيداً لأنه حارب العدو ومات متأثراً بإصابته ومن ضمن ما كافأت به الحكومة عائلته بأن أطلقت إسمه على المدرسة الإبتدائية التى درس بها منذ أعوام.

تعديت الأربعين عاماً من عمرى ولم أعد أفكر فى عاطفة جديدة سواء لإنشغالى بطفلى أو لندرة شباب ورجال القرية من تنبيه حواسى بتلك العاطفة الخامدة التى كانت تشتعل من حين لآخر فهذا شىء وضعه الله بداخلنا لا نستطيع التخلص منه بسهولة، كان لدىّ إعتقاد عام بأن مشاعرى العاطفية ذبلت وإنتهت وأن حياتى توقفت عند هذا الحد.

هذا يوم هام فى حياتى، لقد تفوق ابنى فى إمتحانات الثنوية العامة وحصل على مجموع كبير ووقف أمامى ذات مساء يسألنى عن نوعية الدراسة الجامعية التى يرغب الإلتحاق بها، طلبت منه الهدوء للغد كى نفكر مليا بصوت عال ورضخ لحديثى وخرج يلهو قريبا من المنزل مع بعض أصدقاءه الذين نجحوا معه فى نفس السنة.

طارت بى خيالات كبيرة وتداخلت أسماء الكليات التى أرغب بأن يلتحق بها أحمد وقطع علىّ هذا الخيال رنين جرس التليفون من إيناس شقيقتى التى تسائلت عن نتيجة أحمد وبشرتها وكانت سعادتها كبيرة وهى تردد : خلاص خليه يلحق بياسمين بنتى بكلية الإقتصاد، ضحكنا معا ثم ألقت إلىّ بحجر فى قلب مياه البركة الهادئة :

ـ على فكرة، أسامة باعتلك سلام كبير!!

ـ أسامة!! أسامة مين؟

- أسامة بتاعنا إللى من يوم ما عرفناه وإحنا مبطلناش نطلب منه مساعدتنا.

- آه، أخباره إيه؟

- كويس، قابلنى قريب من العمارة كان جاى يزور واحد صاحبه وباعت لكى سلام كبير وبيقول إيزيس محدش يعرفها وينساها، يعنى بالعربى هو لسه فاكرك؟

- الناس دى بتخرف؟ فاكر إيه، كل شيىء انتهى وراح لحاله.

- خلاص يا إيزيس، زعلانه كده ليه، الراجل مغلطشى فيك عشان تعملى كده، نغير الكلام، باركى لأحمد كتير وعرفيه أن خالته بتحبه كتير وكمان بنت خالته.

- أنتى رايقة يا إيناس، إزاى صحة بابا وماما؟

- دلوقتى أحسن، العلاج الجديد ريحهم شوية وربنا معاهم، الكبر وحش والإنسان فينا كل جسمه بيوجعه.

- سلمى عليهم وبعد يومين تلاته ح أروح أقعد معاهم كام يوم وأحمد بيقدم ورقه فى مكتب التنسيق.

تلك اليلة لم يعرف النوم لجفونى طريقاً فقد غادرها الهدوء والسكينة بما سكبته شقيقتى فى أذنى بكلمات أسامة القليلة والمعبرة عن أشـــياء كثيرة " إيزيس محدش يعرفها وينساها، وباعت لكى سلام كتير " عايز إيه يا أسامة، خلاص فَضناها سيرة، أنا رافضة الجواز وأنت إجوزت وخلفت زى ما عرفت من كلامك مع بابا وماما لما تعبوا وعملوا عملية وعرفت من إيناس ورحت زورتهم، عايز إيه منى خليك فى حالك، أنت الحمد لله خرجت من الجيش وعندك أرض مستصلحة وبتقضى وقت طيب فيها، ربنا يكرمك إبعد عن طريقى الحكاية مش مستحملة.

صباح اليوم التالى نهضت من نومى ورأسى ثقيلة المزاج وبها صداع قوى لم تنفع معه الأدوية المتوفرة بالصيدلية، أثناء عملى بالصيدلية شاهدتها .. فتاة جميلة تعرفت علىّ منذ عدة أشهر، كانت تأتى لشراء ما تحتاجه من أدوية للطيور الداجنة التى تقوم بتربيتها بمنزلها لكن الله وضع بها كل الجمال والرقة لتلك الفتاة البسيطة، فتحت لى قلبها بعد عدة زيارات ثم إختفت، أشاهدها قادمة نحو الصيدلية وحين إقتربت غمرت الفرحة وجهها الجميل فتخضب بلون أحمر مثل شراب الورد :

- سال الخير يا ست الدكتورة.

- يسعد مساك يا لواحظ، كنت فين المدة دية؟

- زىّ ما عرفتك جبل كده، أبويا صمم أنه يجوزنى ابن عمى، هوه ولد شين ومحدش بيحبه ومش لادد عليا ورفضاه.

- صحيح عرفتينى بالحكاية دية.

- المهم اجوزته تلات تشهر شفت فيهم آيام سوده، مش عايزه أفتكرها وأخرتها طلجنى عشان وليه عجوزة عندها "تورة" عيال.

- عندها أربع عيال ووافج انه يجوزها؟

- أيوه ياست الدكتوره وبيصرف على الولية والأربع عيال وبيشتغل طولة النهار والليل وساب الفلاحة وشغال فى المعمار، حداد مسلح وحالته تصعب ع الكافر.

- بس أنا شيفاكى موردة وتفتحى النفس.

- أيوه، من ناحية فتحان النفس، أنا معرفتكيش بالحكاية كلها، كان فيه راجل زين كنت ريداه وعاجبنى ورغم أنه مجوز.

- مجوز يا لواحظ؟

- أيوه مجوز لكنه حليوه ويفتح النفس ولما يكلم مش ح أجولك، عليه كلام يدوخ الولية فينا، ريداه وبحبه.

- وبعدين !!

- لما إطلجت من الشين ابن عمى وخلصت العدة تجدم ليا وأبويا وافج ع طول.

- وعامل إيه وياكى.

- السعادة كلها رغم أنه بيغيب عنى يومين يروح لمرته الجديمة لكنى مبسوطة بيه خالص، تعرفى بيجولى إيه، إللى يعرفك يا لواحظ عمره ما ينساكى!!

- يخرب بيته، بيقولك إيه؟

- زعلتى يا ست الدكتوره، دا الرجل طيب بيجول يا لواحظ إللى يعرفك عمره ما ينساكى.

سمعت طشاش وحديث من لواحظ وشاهدتها تتحدث معى وقبلتنى معتذرة و لم أتحرك، ظللت صامته لا حديث ولا حركة حتى غادرت الصـــيدلية وأردد خلفها " إللى يعرفك يا إيزيس عمره ما ح ينساكى".

أغلقت الصيدلة وأسرعت إلى المنزل ودخلت حجرتى وطلبت من الخادمة عدم إزعاجى، حصلت على حمام منعش من أثر حرارة شهر يوليو

الشديدة، كتبت الجملة التى قالتها لى إيناس فى التليفون وأسفلها الجملة التى قالتها لواحظ، نفس الجملة مع إختلاف الأسماء، لواحظ بدلا من إيزيس.

إيه يا ربى تعمل فيا كده، أنا ما صدقت خلصت من موضوع الجواز والحب وابنى كبر وبقى راجل وح يدخل الجامعة أقوم أجوز وانشغل عنه لو مين مش ح يحصل.

مضت عدة أيام منذ نجاح أحمد بالثانوية العامة قام خلالها بسحب إستمارة النجاح من المدرسة وتبين لى مدى تفوقه فى الدرجات التى حصل عليها وكان واضحا تفوقه فى مادة الرياضيات والمواد العلمية.

تضـارب المصـالح

اليوم التالى ركبنا سيارة الحاج أحمد الطحاوى ووصلت بنا إلى العمارة التى يسكن بها والدايَ، هناك كان الإحتفال الحقيقى بنبوغ أحمد وتفوقه إحتفل به كل من أبى وأمى كل بطريقته مع تقديم بعض الهدايا البسيطة العينية كما إحتفلت به خالته إيناس وإبنتها الجميلة (ياسمين) وتبين لى أن ياسمين تفوقت فى درجة جمالها على جمال ورقة شقيقتى إيناس، فقد حصلت على جمال أمها وخفة ظل والدها الشهيد أشرف.

بجلسة عائلية تقدم كل منا بإقتراحه لأحمد لنوعية الدراسة التى يرغبها كان أحمد هادىء البال يستمع للجميع وذكرنى هذا بوالده الشهيد حاتم الذى كان يميزه الهدوء والسكينة ولا يجادل كثيراً وفى نهاية النقاش يتخذ القرار الذى يفكر فيه دون إعتبار لأى رأىَ آخر.

إنشغلنا جميعاً فى الأحاديث الجانبية بعدها خلد أبى وأمى إلى النوم المبكر بينما أخذت إيناس بيدى ودخلنا حجرتها كى تخبرنى ببعض الحكايات والمعلومات ولم يتبقى بالصالة سوى أحمد وياسمين.

شعرت أن الإثنان سعداء بالحديث الذى يدور بينهما وإزدادت وتيرة الضحكات ومن حين لآخر بدا أن هناك إشارات حالمة بين الإثنان، كنت متخوفة من تلك الإشارات التى قد تمتد وتكبر وتنمو وتتحول إلى حب قوى

مثلما حدث بينى وبين حاتم يترتب عليه زواج ومازال ابنى يحبوا فى بستان الدراسة.

فوجئت بأن إختار أحمد التقدم إلى مكتب تنسيق الكليات العسكرية ورغم المجموع الكبير الذى حصل عليه لم يتقدم برغبتة للكلية الفنية العسكرية التى سوف ينبغ بها لتفوقه فى مادة الرياضيات، كانت دهشتى ودهشة إيناس كبيرة أما والدىّ فقد وضعا أيديهم على قلوبهم وأصرت أمى فى أذنى ألا يكفى ما قدمناه من شهداء لهذا الوطن ونقوم بعدها بتقديم الحفيد.

شعرت بألم فى صدرى وضيق من تصرف أحمد وتبين لى من حديثى مع شقيقتى أن ابنتها ياسمين كانت متفقة معه فى الرأى وتؤيد إختيار نوعية تلك الدراسة مما دفعنى للضيق من تهور الإثنان، وقتها تسائلت ما هو تصرف والدىّ حاتم فى نوعية الدراسة التى تخيرها الحفيد؟

ما هدأ أعصابى أن نسبة قليلة من الطلبة المتقدمين هى التى يتم قبولها بالدراسة بالكليات العسكرية لما يتعرض له المتقدمين من إختبارات طبية ورياضية قوية عالية المستوى وبالتالى يعجز الكثيرون من تخطيها.

لكن الرياح تأتى بما لا تشتهى السفن، كانت الأخبار التى يخبرنا بها أحمد تنبىء بأنه يتخطى كل يوم بنجاح كل الإختبارات ولم يتبق أمامه سوى كشف الهيئة، أخبرتنى إيناس بأن أطلب من أحمد أن يخبر القادة القائمين على كشف الهيئة بأنه ابن شهيد وبالتالى سوف يعفونه من تلك الدراسة.

يوم كشف الهيئة طلبت من أحمد أن يخبر القادة العسكريين بكشف الهيئة بأنه ابن للشهيد الرائد حاتم الطحاوى كى يعزز هذا مركزك أمامهم، وافقنى الرأى وأسرع فى الصباح الباكر لهذا الإختبار النهائى الذى يعلم المتقدم بعد مضى عدة أيام هل تم قبوله من عدمه.

كان الشيء اللافت للنظر بأن عاد أحمد عصر هذا اليوم وحين سألته عما أوصيته به فى الصباح ضحك وقبلنى وهو يردد " والله كان رأيك مهم جداً وهما كانوا عارفين من الإستمارة إللى قدمتها فى طلب الإلتحاق وتصورى رغم أننى نجحت فى كل الإختبارات إلا أن اللجنة أعلنت أمامى أنه من الشرف لهم أن أقبل بالدراسة بالكلية وانك الوحيد الذى علم هذا قبل موعد إعلان النتيجة ".

كانت صدمتى عارمة وجلست بحجرتى القديمة قبل الزواج أنعى سوء حظى بينما خرج كل من أحمد وياسمين يحتفلان بهذا الخبر السعيد وإعتكف أبى وأمى بحجرتهما وإيناس لشعورها بأن نصيحتها جاءت نتائجها عكسية وأنها المتسبب الأول فيما حدث.

غفوت أثناء جلوسى وشاهدت حاتم يقترب منى باسما يعاتبنى : كده برضه يا إيزيس، عايزه تخلى الولد إللى حيلتنا يفضل قاعد فى البيت ويروح كلية جامعية وميرحشى يدافع عن بلده ويكمل معركة ابوه إللى إنهزم فيها، خليه ياخد بتارى وتار أشرف جوز أختك وآلاف كتير تسبب العدو الإسرائيلى فى إزهاق أرواحهم غير المصابين، محدش بيضمن عمره

وأينما تكونوا يدركم الموت، إيزيس خليكى جنب أحمد وربنا ح ينصره إيزيس كملى مسيرة الجدة العظيمة إيزيس وخلى حورس الصغير يكمل طريق جده حورس الأكبر ".

نهضت فرحة بأن شاهدت رؤيا بها حاتم، فقد إنعدم حضوره بالرؤا لفترة طويلة، خرجت أتلمس طريق حجرة إيناس ودخلت عليها فأخفت وجهها عنى، قبلتها فبكت محاولة الإعتذار فوضعت كف يدى على فمها وطلبت منها سماع ما حدث لى منذ دقائق.

نظرت فى عيونى ولاحظت السعادة والبسمة الوضاءة، حاولت الإستفهام وفى كل مرة أضع كف يدى على فمها فتصمت، بدأت فى سرد رؤيا حاتم وما وضحه لى حتى إذا ذكرت الأخذ بثاره وثار أشرف حتى إندفعت فى البكاء ونهضت تحتضننى وتضحك بديلاً عن البكاء وتردد :

- كله خير .. مافيش إعتراض على إختيار ربنا وبعت لنا الشهيد يطلب منا نفرح ونترك الصغير ياخد بتار الكبار حاتم وأشرف مما دعا والدتى للقدوم والإستفسار عن أصوات البكاء والضحك فى وقت واحد فقد كانت شقيقتى تتميز بصوت عال أثناء الحديث والضحك، علمت والدتى بما رويته لشقيقتى منذ قليل، جلست ووضعت يديها على وجهها وهى تردد :

- الحمد لله .. الحمد لله .. ثم نهضت وهى تقول .. ح أروح أبشر أبوكم.

هكذا جاءت بشارة الخير برؤيا الشهيد وحديثه عن الأخذ بثاره وثأر زوج إيناس، أقبل الشباب من الخارج بعد اللهو والتمتع بالهدوء الذى كان يميز منطقة العجوزة والمهندسين، علموا ما حدث وضحكوا وهللوا وتشابكت الأيادى الرقيقة وتسمرت لغة العيون كل يدقق فى عيون الآخر حتى هدأت المشاعر وإتضح للجميع بأن سهام كيوبيد سوف تصيب حورس الصغير وأن مهر تلك الفاتنة الصغيرة سوف يكون الأخذ بثأر أبوها الذى ترك الدنيا فى ريعان شبابه إستجابة لنداء الوطن.

مضت أيام قلائل وبدأت الدراسة بالكلية الحربية عُدت بعدها إلى جزيرة سعود أتوارى من مواجهة والدىّ حاتم، إستقبلونى بحفاوة بالغة وبأن أحمد تعدى الشهر للتقدم للدراسة بالجامعة وتسائلت الجدة عن نوعية الكلية التى سيدرس بها، فى بداية الأمر تلجلجت ثم أفصحت لهما بصوت خفيض النغمة، ران صمت رهيب خلاله كانت أنفاسى تتلاحق حتى شاهدت أم حاتم تنهض تقترب منى تقبلنى باكية وهى تردد :

ـ مش عارفه أجولك إيه، كل حاجه بتعمليها بيكون نفسى فيها، ربنا يكرمك ويرفع من مجامك فوج وفوج، ندر عليا لأدفع فلوس الحج لكى وليا المرة الجايه، نروح عند سيدنا النبى ونشكر ربنا ورسولنا ويديم علينا نعمته.

خلال حديثها كنت أشاهد عيون الجد باكية والدموع تنهمر منها شلال فياض وتخوفت عليه لكنه جفف عينيه وأكمل حديث زوجته أم الشهيد :

- ربنا يفرحك يا دكتوره إيزيس، ح ترجعيلى شبابى لما أشوف حفيدى بلبس الجيش زى المرحوم أبوه، بكده تكونى خليتى الدار دية والعزبة والإسطبل والخير الكتير إللى عندنا يفديه ويحميه ولادنا وأحفادنا وببدلته الشريفة يدافع عن بلده وإلا لكى رأى تانى؟

أخبرتهم بمشاعرى فى البداية ثم غفوتى ومشاهدة حاتم فى الرؤيا يطلب منى الدفع بإبنه للدراسة بنفس الكلية التى درس بها كى يأخذ بثار الأب وزوج الخالة.

عند هذا الحد صفق الجد وهلل مردداً الله أكبر .. الله أكبر .. عشت يا أحمد يا بطران لحد ما حتشوف حفيدك بيلحج بأبوه، محدش حاسس بيا، تحملت بصعوبة موت وشهادة حاتم إللى أثرت فيا كتير، حاتم مكنش نوارة البيت بس لكنه كان نوارة الكفر وجزيرة سعود وعشان هوه كده ربنا رزقة بست الستات بنت الأصول إللى عملت إللى معملوش حد خالص فى الدنيا.

- لا يا بو حاتم، الست إيزيس ماشيه على سيرة ستنا كلتنا الملكة إيزيس مظبوط كده زى ما عرفتينى؟

- مظبوط يا أم البطل والشهيد، يا جدة البطل الصغير حاتم أو حورس الصغير.

- مين ياست الدكتوره محروس الصغير؟

ـ لا دا حورس ابن الملكة إيزيس صحبتك إللى حكيتلك عليها.

ـ إسمعوا بجى، بصفتى أبو الشهيد وجد البطل الواد العفريت إحمد اول أجازه ح أدبح عجلين أوزع لحمتهم على الكفر والكفور الجريبة من كفرنا ربنا يرجعه بالسلامة مجبور الخاطر.

وقبل أن يتركانى طلبا من الله أن يظللنى ببركته، كنت غير مصدقة ما شاهدت وتأكدت من أن العرف المصرى يردد دائما " أعز الولد ولد الولد " أى أن أعز إنسان عند الرجال والنساء هم الأحفاد وخصوصا لو كان هذا الحفيد هو ابن للشهيد فيجب الإحتراس والعناية به والإبتعاد عن الأعمال الخطرة او التى تنتشر بها الأخطار مثل الجيوش كحال مصر التى فى عراك مستمر مع العدو الإسرائيلى.

لكنى تبينت حقيقة دامغة لم ننظر إليها أو نتفهما بأن حديث الرسول العظيم بأن الله أخبره فى حال فتح مصر ودخولها الإسلام فيجب على المسلمين إعداد جيوش كثيفة العدد والعدة من رجالها لأنهم فى حالة إستعداد للقتال إلى يوم القيامة.

إذاً ليس ما حدث سواء من رؤيا حاتم أو حديث الأجداد هنا هو وليد الصدفة بل أنه وليد ميراث وحقيقة وضعها الله بهذا الشعب صاحب الحضارة، وهذا ما كنت ألاحظه وأندهش له بأنه بعد هزيمة عام ١٩٦٧

علمت بأن أعداداً كبيرة من الشباب تقدمت للدراسة بالكليات العسكرية فى مختلف التخصصات.

إنخرط أحمد فى الدراسة بينما تفرغت للصيدلية لكن شوقى لأحمد ولذكرى حاتم الزوج والحبيب والفارس الشهيد دفعت بى للإهتمام بأمور الخيول مما دفعنى لزيارة إسطبل الخيول ومشاهدتها وشاركت الطبيب البيطرى فى الإشراف بالإضافة إلى تحضير العلاج المقرر لكل حالة.

دفع هذا بوالد االشهيد للسعادة والسرور بأننى أملأ فراغ حياتى لإبتعاد أحمد ولدراسته بالقاهرة مع ثقل الأعوام والسنون التى أثرت عليه وإبتعاد باقى ابناءه عن هذا النشاط الذى تسلل بداخل العائلة سواء بالعمل بالدول العربية أو بالمدن الكبرى وقد أيدنى وشجعنى على ما أقوم به.

علمت منه بأن أحد التجار سوف يحضر باكر مع عماله لرفع "سبلة" الخيول أى روث الخيول من الإسطبلات لأنها زادت ويجب رفعها والتخلص منها وأن القائم سوف يقوم بنقلها لإحدى الأراضى المستصلحة الجديدة القريبة من الحسينية وهى بمنطقة الصالحية الجديدة لإستخدامها فى زراعة الخضروات كما هو متبع.

توجهت للصيدلية وجلست بها بعض الوقت وتركت الفتاة التى تعاوننى وتوجهت للإسطبل لمراقبة ومتابعة رفع روث الخيول، شاهدت عن بعد بعض الرجال منهمكين فى عملهم برفع الروث من الإسطبل بالتدريج من

مكان لآخر بينما تقف سيارتان نقل ثقيل لنقل الروث إلى الأرض المستصلحة.

تركت العمال بعد أن تأكدت بأن عمال الإسطبل يتابعون العمال الغرباء فى عملهم، أثناء عودتى شاهدت أحد الرجال يجلس على كرسى صغير أسفل إحدى الأشجار ينظر ناحيتى بتركيز شديد، لم أهتم به وأكملت سيرى لكنى تنبهت بأن من يقوم بالنظر لى بتلك الطريقة شخص سبق أن شاهدته بل ربما أعرفه.

توقفت قيلاً وحاولت إستعادة الذاكرة بأنه من الممكن أن يكون شخصاً قريبا لعائلة الطحاوية ويشعر بأننى أهملته أو أنه راغب فى الحديث معى عُدت أدراجى نحو الجالس الذى كان يرتدى جلباب بلدى أنيق ونظارة شمس تغطى عينيه وجزء من وجهه.

حينما إقتربت منه نهض ووقف باسماً مرحبا بى مادا ذراعه الأيمن راغبا بالمصافحة :

ـ أهلا بالدكتوره إيزيس.

ـ أهلا وسهلا، إحنا معرفة قبل كده؟

ـ حضرتك بتنسى بسرعة، معرفة قديمة من أيام الشهيد حاتم والشهيد أشرف والسيدة إيناس وبابا حمدى ومامتك.

- أنه .. دا أنت حافض العيلة!! رفع النظارة عن عينيه :

- أكيد قدرتى تعرفى شخصيتى؟

- مين؟ أسامة مش معقول !! وإيه إللى جابك الناحية دية وكمان مالك ومال سبلة الخيل، حاجه تلخبط.

- أبدا السبلة بنستخدمها فى زراعة الطماطم والخيار وهيا نضيفه عن سبلة المواشى ولما عرفت أن الحاج أحمد الطحاوى عارض سبلة إسطبلات الخيول للبيع عرضت عليه سعر وافق عليه وقال ليا أنت أولى من الغريب .. عرض أسامة علىّ الجلوس وفضلت أن نجلس بداخل الصيدلية بعيداً عن عيون العمال والهوام من الحشرات الطائرة.

دار بينى وبينه حديث طيب وعلم منى الطريق الذى سلكه ابنى بالإلتحاق بالكلية الحربية كى يخطى خطوات آباه التى لم تكتمل حاول خلالها أن ينتقل بالحديث العام إلى الخاص وحديثه مع شقيقتى لكنى أعدت وكررت قرارى بأنه لن يدخل رجل بحياتى بعد حاتم وبأن أعمارنا تعدت الأربعين.

جلس معى بعض الوقت ونهض متجها لعماله للإشراف عليهم وظللت جالسة أستعيد الأيام الماضية التى تعدت العشرين عاما منذ تعرف علينا أسامة بعد لقائه المثير مع شقيقتى وزوجها فى بداية عصر النكسة الأليم الذى ألم بجموع المصريين بالمرض النفسى.

كنت فى دهشة بأن أسامة يحاول من حين لآخر إستمالة عاطفتى نحوه رغم علمى بأنه سعيد مع زوجته وأنجب البنين والبنات وأنه يحقق بعض التقدم فى الزراعات التى يقوم بها فى الأرض التى إشتراها وقام بإستصلاحها وزراعتها.

سكنت قليلاً وشعرت بالنعاس يداعب جفونى وترنحت رأسى ومازلت جالسة على الكرسى وقد غادرت الفتاة التى تقدم المساعدة بالصيدلية إلى بيتها وأصبح الهدوء والسكينة هو المسيطر على المكان ولم أدرى لأى وقت خلدت فى نعاس جميل رائع.

كان أجمل شىء فى حالة التية والغفلة التى لاحقت ذاكرتى بعد نعاسى الهادىء هو رؤية ظل حاتم الذى شاهدته قادماً بإتجاه الصيدلية ووقف على بابها فأسرعت نحوه أرحب به وبقدومه ومازالت الدهشة هى حالى وتخوفت أن سألته بأنك لم تمت كما علمنا وشاهدنا ومضى على هذا الحال سبعة عشر عاما لكنى جبنت وأسَّرت الصمت ولأستعيد بعضاً من عاطفتى نحوه.

أمسك حاتم بكتفى برفق ونظر بعيونى بتلك النظرة التى شاهدتها أول مرة عندما تعطل القطار حينما طلبت منه القيام بأخذ صورة لى مع زميلاتى وقت أن كنا بنات بالجامعة نلهو ونلعب ونضحك تحت جناح حماية الأب وإنفاقه وظلال حنان الأم وعطفها.

تحدث بهدوء كما كنت أعلم عنه حين يرغب فى توضيح شىء ما أو حين رغبته إبداء نصح لى أو لشعوره بأننى خرجت عن طور التصرف الحميد مع الآخرين :

- ليه يا إيزيس بتعملى كده مع أسامة؟ بلاش العصبية فى تعاملك معاه وشوفى رغبتك ونفذيها من غير ما تخلى الناس تسيبنا وهيا زعلانه.

- عايز يجوزنى يا حاتم !! تصور وهوه عارف انى مجوزه وعندى ولد شاب ودخل الكلية الحربية.

- طيب وفيها إيه؟

- بتقول كده، مبتغرشى عليا؟

- مافيش غيره ولاحاجه، إحنا كنا مجوزين وخلاص أنتى بقيتى حره بعد ما سبت الدنيا، معدش عليا حكم من أحكام الدنيا.

- كل ده بتقوله وأنا عاملله حساب لك، فعلا البعيد عن العين بعيد عن القلب.

- إيزيس .. أسامة عايزك لأن عنده فكرة مقتنع بيها.

- فكرة إيه يا حاتم؟

- أنه لو اجوزك حيبقى فى يوم من الأيام شهيد زى حالى، هوه حارب ومصاب فى الحرب ومجوز ودخل فى عقله أن الجواز من إيزيس هو جواز السفر للجنة!!

- دا يبقى عبيط!!

- دا فكرك، أسامة زيك ماشى على درب الجدة إيزيس وانتى عملتى كل ده وتصرفك كان صحيح وده عرفته لما سبت الدنيا عشان كده بلاش تزعلى أسامة لأن غرضه شريف.

- شريف إزاى، دا عايز يخلينى قنطرة للجنة، قول كلام غير ده، الرجاله دول حبالهم طويلة ومتلخبطة سوا فى الدنيا وإلا فى الآخرة .. حاتم .. أنت فين .. حاتم .. حاتم .. سمعت صوتا لا يمكن أن أنساه.

- إيزيس .. لسه بتفكرى فى حاتم، أنا ح أختفى من قدامك وآسف أنى مسبب لكى مشاكل وضيق.

- تعالى يا أسامة، رايح فين، أقعد ولك كلمتين.

- تفضلى.

- عايزه منك تكون صديق بدرجة أخ، ممكن تعمل ليا الخدمة دية؟

- حاضر يا إيزيس، صديق بدرجة أخ، أستأذن أشوف العمال.

غادر أسامة الصيدلية وبقيت بمفردى بعد أن شاهدت الرجلان الذين إستحوزا على مشاعرى وأحاسيسى كأنثى راغبة فى الجنس الآخر، حاتم الحبيب والزوج والد إبنى، وأسامة الصديق الذى أتذكره فى الأزمات وأستعين به فى أشياء كثيرة ولا يمر يوم علىّ إلا وأتذكر ما قام به وتأثيره النفسى والمعنوى علينا جميعا فى بيت أبى.

الحمد لله، تخلصت من رغبة أسامة بفطنة وذكاء وأيضا شعرت بأن حاتم لم يغضب من محاولات أسامة الإقتران بى، هل تلك التصرفات والرؤا نوع من الرسائل القدرية التى تأتى إلىّ كى تعيننى على مواجهة بعض الأمور المعقدة أو التى تحتاج إلى تفكير ورأىّ صائب.

عُدت إلى بيتى مرتاحة البال بعد أن تأكدت من أن لى صديق مخلص بدرجة أخ أستطيع أن ألتمس منه العون والمساعدة فيما يعّن لى من أفكار أو مشاكل قد تواجهنى فى المستقبل.

حتحور تغازل حورس

سارت بى الحياة كما قدرها الله وإنتهى ابنى من فترة التدريب الأولى التى إستمرت قرابة سبعة أسابيع متصلة لم نشاهده خلالها ولم نسمع صوته حتى بالتليفون.

كانت جدته تبث فى أوصالى الإطمئنان بأن تلك الحالة عاشتها منذ ثلاثين عاما حينما كان والده الشهيد حاتم يدرس بنفس الكلية لدرجة أنها إعتقدت أنه تاه وفقدته للأبد لكنك سوف تراجعين نفسك حينما يهل علينا بعد تلك الفترة وتشاهدينه شخصاً آخر يُفرح ويُسعد قلب كل أب وأم.

هذا اليوم من أسعد أيام حياتى حتى الآن، إنه اليوم المقرر لأن يمنح ابنى إجازة لمدة أربعة أيام وهى الإجازة الأولى له منذ التحاقه بالكلية الحربية ومن أجل هذا أرسل جده الطحاوى بالسيارة بالسائق كى تأتى به.

قبيل العصر سمعنا نفير السيارة المميز نظراً لقلة السيارات بالعـزبة هرع الجميع وتدافعوا وتسابقوا وإكتظت بهم الأبواب والشبابيك للحصول على النظرة الأولى للحفيد السعيد أو للجيل الجديد من أبناء العسكرية المصرية المجيدة، هبط من السيارة فسمعت شهيق بعض نساء العائلة بينما أسرع جده نحو السيارة وكاد أن يتعثر فى ذيل الجلباب البلدى ويسقط ارضاً لكن بسرعة وخفة أسرع الحفيد نحو الجد لإنقاذه والذى وقف أمامه سعيداً مبهوراً.

حاول الجد حمل الحفيد بين ضحكات الجميع ودهشتى لكن الجدة أخبرتنى بأن هذا ما قام به الطحاوى الكبير مع ابنها حاتم فى أول زيارة له من الكلية وإستطاع وقتها حمله والسير به عدة أمتار بين تصفيق وهتاف ابناء العزبة.

دخل الحفيد ملتصق بالجد وبدا لى أن الجد يستعيد ماض ثلاثين عاما من السعادة والشباب وهكذا تعيد الأيام دورتها ويسعد الجد بالحفيد الذى أكَّد كل من شاهده بأنه لا يفترق عن الشهيد حاتم فى أى شىء سوى أنه ذا بشرة بيضاء أكثر وقد اكتسبها من أمه صاحبة البشرة الشقراء.

أسرعت الجدة نحوه وقبل أن تقبله قبل يدها ثم احتضنها وقبلها وشاهدت خلفه الطحاوى الكبير والدموع تنهمر من عينيه ورغم هذا كانت السعادة على وجه الخمرى والتى حفرت السنون به بعضا من خطوط طولية وعرضية.

أسرع نحوى ولم يقبل يدى بل رفعنى من على الأرض بين صيحات الجميع بينما الجدة تحذره من سقوطى أرضا ولم أشعر بأى شىء بل كنت أشعر بأننى أحلم وبأننى طائرة لأعلى .

تنبهت من حلمى الجميل على رائحة عرقه التى كانت تلازمه منذ ولادته وأثناء الرضاعة ونظرت بعينيه فشاهدت ابنى أحمد ابن العامين يحملنى ولم أشاهد أحمد الشاب الجميل مفرود العضلات وقد ارتسم بنيان جسده بما يظهر جمال الخالق فى ابداع خلقه.

أنزلنى بهدوء وكدت أسقط أرضا فساعدنى على الوقوف ونظر بعينيه الجميلة بعيونى، شاهدت عيون حاتم حينما كنا نلتقى بحديقة الأسماك ويتبعها ببسمة صافية كنت لحظتها أردد : سبحان الله الخالق الذى أبدع التكوين فى الكون، هذا يؤكد أحلامى وخيالاتى بأننى كنت أقترب من سلوك الجدة الكبرى إيزيس أم حورس الجميل وحبيبة أوزوريس الذى فقد حياته مبكراً من خديعة شقيقة (ست) مثلما فقد حاتم حياته من خديعة الإسرائيليين وهو يعالج من الأطباء.

جلسنا جميعا وتداخلت الأحاديث وبدأت الأصوات تخفو وتخفو ولم يتبق سوى صوت الحفيد يتحدث ويحكى بكل براءة الشباب ونعومة أفكارهم الرقيقة البيضاء التى لا تحمل سوى حب الوطن والأهل والزملاء، كان أحمد هو حاتم أو العكس ولكن بنكهة جديدة او موديل حديث وطال القص وطال الحديث.

تنبهت الجدة بأن أعز من الولد لم يتناول طعامه فأسرعت تحيط بها خادمتيها لفرش الطعام على الطبالى كما يعشقون فى تناولهم للطعام إعتقاداً بأن تناول الطعام لأى شخص وساقيه مرفوعتان عن الأرض ليست سليمة ولا تعطى المعنى المطلوب ولا المذاق المحبوب.

أسرع الجد بوضع شلته مرتفعة ليجلس عليها الحفيد بعد أن ساعده فى التخلص من السترة العسكريه وإلتفت العائلة حول العديد من الطبالى تلتهم الطعام الطازج من خير الأرض ومن كد وكفاح الفلاحين الأقوياء.

كان الطعام وفيراً ولا يمكن لأى عائلة ثرية بالقاهرة أن تعد مثل تلك الموائد نتاج أعشاش الطيور الداجنة كبيرة الحجم وتشمل جميع الأنواع التى تؤكل ويعشقها المصريون فى طعامهم، ظل الحديث أثناء الطعام وإستعاد الحفيد حلاوة طعام الجدة وإعداده، فهى المسؤلة عن إعداد الطعام لجميع أفراد العئلة مهما كانت الأعداد والفترات مع توافر الخير ووفرة الخدم.

مضى اليوم الأول يحمل كل سعادة للجميع، بدأت تخفت الأصوات سواء للرغبة فى النوم أو للتخمة التى ملأت الأمعاء الممتلئة أصلا من الطعام ودع أحمد الأهل والأقارب ورافقنى إلى شقتنا بالدور العلوى.

تخلص أحمد من ملابسه وحصل على حمام منعش وجلس أمامى يمسك بيدى يقبلها من حين لأخر ويقص علىّ ما يرغب الحديث عنه، لم أكن أركز فى معانى الجمل والأحديث لكنى كنت أستعيد ماضى هذا الأبن الذى كان يحبوا أمامى كل يوم وكل لحظة أطعمه وأقوم على نظافته وأحصل على المكافأة السخية بتقبيلة بالعديد بقبلات الأم الحانية من طفلها البرىء ناعم الملمس.

فى تلك الليلة السعيدة نمت خلالها بعيون ناعسة هادئة، ابنى الوحيد ينام بالحجرة المجاورة ويمكننى سماع تنفسه بل أحلامه البرئية الطيبة، كلما أشعر بالفرح أشعر بأحاسيس أم حاتم تلك السيدة القوية التى حُرمت من ابنها المميز بين أشقائه سواء بعلمه أو بتفوقه فى مجال الفروسية.

بل سمعت وعلمت من الفتاة التى كانت تقوم بالمساعدة فى الصيدلية بأن حاتم كان مقصد الكثير من العائلات، كل عائلة راغبة بالفوز به لإبنتها وأيضا العديد من الفتيات كن ينتظرن حضوره أجازه لمشاهدته بل التحجج بزيارة الخالة أم حاتم يحملن بعض الهدايا.

نهضت صباحاً ولم أشاهد فلذة كبدى وقفت مسحورة أحاول أن استعيد ذاكرتى وهل حضر ابنى بالأمس أو أن بعض تخاريف هاجمتنى من شدة حبى له وتعلقى به، جلست قليلاً وسمعت صهيل الفرس فأسرعت للشرفة فشاهدت (حاتم) على ظهر الجواد الذى يقدره الطحاوى الكبير ولا يسمح لأحد بركوبه سوى الحفيد، أردد لقد عاد حاتم يسرع بالجواد بين الحقول مثلما شاهدته فى المرة الأولى عام ١٩٦٥ وبنفس الرشاقة مع اختلاف الملبس.

سيطرت على فكرى مشاهدة حاتم وكدت أنسى ابنى حبيبى بل كدت أصيح بصوت مرتفع أردد : أقبل يا حاتم .. تذكرت وتنبهت بأنه ابن حاتم ياه على الصدف، هذا الشاب اليافع هو ابن اوزوريس وإيزيس المصرية هذا الشاب هو حورس البطل المصرى الجميل الذى أعاد إلى أبيه أوزوريس المجد والخلاص مع الأخذ بثأر من قتل أبيه، هذا الشاب قد تكتمل سيرته مع سـيرة الأجداد لو اقترن بـ (حتحور) المصرية الجميلة وهى من عائلة إيزيس الجدة.

أتسائل : هل يمكن أن يحدث هذا ؟ إن التطابق فى السير على نهج إيزيس الجدة العظيمة يسير سيراً طبيعيا دون تحريف فى الإسطورة أو الحقيقة وإذا حدث وتمت رواية إيزيس القرن العشرين أو إيزيس ٦٧ فإن هذا يعتبر دليلاً قويا بأن إسطورة إيزيس التى حدثت منذ ألف وخمسمائة عام قبل الميلاد ما هى إلا حقيقة واقعة فلا يُعاد ويتكرر حدث خيالى أو إسطورى إلا إذا كان حقيقة واقعة وقام البعض بنسج بعض من خيالات حوله كى يزيدوا من إهتمام الناس بالحدث والأشخاص.

أقبل أحمد يقفز درجات السلم بسعادة ورغم أن شعر رأسه قصير لما تتطلبه الدراسة بالكلية العسكرية إلا أنه ازداد جمالاً وفتوة، أخذ بيدى وأجلسنى فوق كرسى الفوتيه الذى أفضل الجلوس عليه، جلس أرضا فوق السجاده بجوار قدماى يداعبهما كما كان يحلو له ثم تحدث معى بحديث مُلفت للنظر وغريب على سمعى :

ـ ماما، تعرفى أن خالتى إيناس كانت كل أسبوع بتيجى تزورنى يوم الجمعه زى ما بيحصل للطلبة الجدد بالكلية، كانت بتجيب معاها حاجه حلوه زى شيكولاته ولب وسودانى!!

ـ لب وسودانى يا أحمد، أنت لسه عيل؟

- تصورى .. كل الطلبه بتحب الحكاية دية وإللى اتحرمنا منها، أول زيارة طلبت منها تجيب ليا اللب والسودانى دا غير أو نكل أسامة جه زارنى وجاب ليا حاجه حلوه!!

- أونكل أسامة مين؟

- أونكل أسامة صاحب المرحوم بابا وهوه عارفك، هو جه مع طنط إيناس وطبعا كل مرة كانت ياسمين بنت خالتى بتيجى تزورنى معاهم!!

- ياسمين!! هيا مش وراها مذاكره؟

- أكيد، هيا بتقول أنها بتكون مبسوطة لما تيجى تزورنى وبتتكلم مع صحباتها عن الزيارة ... ظل أحمد يحكى ويقص لكن زيارة إيناس وبرفقتها ياسمين لم أستطع هضمها أو الشعور بالراحة من القيام بها.

إنتهت إجازة أحمد كلمح البصر وشاهدت دموع الجَّد وهو يرافقه للسيارة يحمل عن السائق حقيبته التى بها بعض أغراضه، كان الطحاوى الكبير رجل يحمل بين مشاعره حباً كبيراً لهذا الحفيد عوضاً عن حرمانه من ابنه حاتم مبكراً.

اليوم التالى أقبل مسئول الإسطبل يشكو للطحاوى الكبير عدم رغبة الخيول بتناول الطعام وأن حالتهم ليست جيدة وتسائل الجد عن بعض

ملاحظات قد تؤثر على مزاج الخيول من عدم النظافة أو مياه الشرب النقية وكانت كلها إجابات إيجابية.

ختم مسئول الإسطبل بأن السبب الرئيسى فى هذا أن البيه (أحمد) كان يجلس كثيراً مع الخيل ويداعبهم ويتحدث معهم ويناولهم بعض السكر والجزر وحينما زجره الطحاوى الكبير لماذا لم يفعل هذا أفاد بأنه حاول هذا لكن الخيل تفتقد البيه (أحمد).

بعد يومين من سفر أحمد إتصلت بى شقيقتى إيناس تقدم مباركتها وسعادتها بحصول أحمد على إجازة وبالطبع قدمت شكرى لها ولياسمين على زيارتها له خلال الفترة السابقة فضحكت وهى تخبرنى بكل سعادة :

- إيزيس .. ابنك عينه من ياسمين.

- عين إيه وودان إيه يا إيناس، الواد لسه صغير ولسه فى أول خطوة بالدراسة، دى كلية عنيفة فى دراستها.

- أنا معاكى ولكى حق وح أعمل إيه؟ ياسمين بتقولى أنها مبسوطة من أحمد وبيشغلها عن المذاكرة لأنها بتفكر فيه.

- حد يقول الكلام ده يا إيناس، لا لا مينفعش كده، دول إخوات وخلى علاقتنا حلوه طول ما إحنا بعيد عن النسب والفلوس.

ـ على كيفيك يا إيزيس، أنا حاسه إنك مستقلية ببنتى يا سمين.

ـ متقوليش كده، يا سمين حته منك وفى جمالك وحلاوتك لكن الكلام ده لسه بدرى.

انتهى الحديث مع شقيقتى وشعرت بضيقها فقد أنهت المكالمة سريعا ولم تنتظر إستكمال حديثنا المعتاد بل أنها لم تذكر أحوال أبى وأمى رغم أننى كل عدة أيام أتحدث معهما لكنى شعرت بأن إيناس ترغب بقنص أحمد لإبنتها.

فليكن هذا لكن حين يأتى الموعد المناسب وينتهى من دراسته ويعتمد على نفسه وعلمت من حاتم بأن التقاليد العسكرية لا تؤيد زواج الضابط قبل ترقيته إلى رتبة النقيب حتى ينتهى من بعض الفرق الدراسية التى يحصل ليها بعد التخرج وأيضا يصبح راتبه مرتفع يستطيع الصرف على أسرته بُيـــسر.

جلست هامدة ثم أسرعت لمرجعى الأول والأخير، هذا الكتاب ردىء الطباعة والورق الغنى بالأحداث التى أثرت على حالى حتى الآن، قلبت فى الأوراق والصفحات حتى وصلت إلى مرحلة الأمير (حورس) وأدهشنى أنه ارتبط بالأميرة (حتحور) والملقبة بنتر المجرة اليمينة التى تصدح فى السماء ليلاً ولها من التأثير الكبير على بعض الناس.

إرتجفت صفحات الكتاب بيدى، هذا يؤكد أن حياتى وحياة زوجى وابنى تسير على نفس المنوال وأننى لم أتدخل من بعيد أو قريب فى سير الأحداث، ماذا أفعل فى ترتيب القدر ؟ سوف أترك الأحداث كما تسير وإذا سارت على هذا المنوال فيصبح القدر هو صاحب الكلمة.

إن الأميرة حتحور أكبر عمراً من حورس وهذا واضح أيضا الفارق العمرى بين أحمد وياسمين التى تكبره بعامين، أكاد أجن لترابط الأحداث هل أكره وانقم على من أهدانى هذا الكتاب أو أقدم له الشكر الجزيل، لابد من الإتصال به وأطلب لقاءه حينما أقرر زيارة أبى وأمى نهاية هذا الشهر.

الإجازة الحالية أخبرت (أحمد) بأننى سأتواجد بالقاهرة لزيارة جدته وجده وأسعده هذا لأنه راغب بأن يقوم بزيارتهم مثل ما قام بزيارة العزبة نظرت له مليا وإستكملت حديثى بأنه راغب بأن يشاهد خالته إيناس فضحك لكلامى وردد .. قصدك بنت خالتى مش خالتى وغادر المكان ليلحق ببعض أصدقاءه بالعزبة.

تأكد لى أن أحمد تعلق بإبنة شقيقتى وأن الموقف الآن اصبح شائكاً لو إعترضت أو رفضت ولأترك الأحداث تسير على طبيعتها وبعد لقـــائى بـ (أسامة) سوف أعلم الكثير من الأسرار والخبايا الغريبة عنى.

بعد يوم من وصولى للقاهرة إتصلت بصديقى وأخى أسامة الذى رحب بى كثيراً وطلبت لقاءه بالقاهرة وأفادنى بانه سوف يقوم بزيارة سوق

الخضار بروض الفرج لتسوية بعض الحسابات مع التجار وتم الإتفاق على اللقاء بنادى الزمالك بعيداً عن آذان ومراقبة شقيقتى إيناس.

فى الموعد توجهت للنادى وشاهدت أسامة فى إنتظارى فنهض مرحبا مصافحا وجلسنا بعض الوقت نطمئن على أحوال أسرة كل منا ثم وجهت له سؤالاً :

- رواية إيزيس، أنت كنت عايز تهادينى بيها وإلا صدفة ؟ ظل صامتا لفترة.

- الحقيقة لا ده ولا ده، أنا إشتريت الرواية عشان أقراها فى الوقت إللى أنا فاضى فيه من التدريب، رواية إيزيس بتمثل ليا حاجه هامه فى حياتى، كان فيه بنت مسيحية صديقتى وجارتى وبنلعب سوا وإحنا أطفال صغيرين وبعدين جريت وطلعت على شجرة توت كبيرة ومعرفتش تمسك نفسها ووقعت على الأرض قدامى وشفت دم فى بقها، بكت وصرخت وشاورت ليا وهى بتمـــــــوت وقالت (أسامة) متنساش إيزيس، إيزيس كانت ملكة جميلة وبتحب جوزها والناس الوحشة موتته، دايما إفتكر إيزيس.

- ياه .. طيب دى طفلة صغيرة إيه إللى خلالها تعرف كلام عن إيزيس؟

- جدها لأمها كان عالم آثار وكان لما يزورهم يقعدها على رجله ويحكى لها عن إيزيس وتوت عنخ آمون، كانت بتحب الحكايات دية وتيجى تحكيها ليا بس مكنتش مبسوط لأن الأسامى كانت صعبة عليا.

- يعنى أنا أخدت الرواية منك معتقده أنها ليا ؟

- مظبوط.

- طيب ليه معرفتنيش بالحكاية بتاعة صاحبتك الصغيرة.

- مكنشى فيه تفكير وبعد ما سيبت البيت عندكم قلت إيزيس الجديدة ح تقرا حكاية جدتها إيزيس.

- مش قادره أقدم شكرى لك ولو تعرف عملت إيه الرواية دية فيا كنت اندهشت ؟

- عارف، عارف كل حاجه.

- إزاى؟

- إشتريت أصل الرواية وهو أصل غير مختصر وقريته وكنت كل ما أعرف حاجه عملتيها أقول ماشيه على سيرة جدتها.

- سؤال أخير، أحمد ابنى باين عليه بيحب ياسمين بنت خالته، رأيك إيه ؟

- ده مفهوش رأىّ وأنتِ أول واحده عارفه كده، أنتى جربتى الحب وإقتنعتى بيه، سيبيه لحاله وخليه يشوف مستقبله الإجتماعى ويمكن تبقى (يا سمين) هيا (حتحور) نتر المجرة اليمنية.

ضحكت لهذا وقمت بوداعه وتقديم الشكر له، عُدت إلى بيت عائلتى أحسن حالاً وإلتقيت بشقيقتى بوجه باش أزال عنها الإحتقان الذى لازمها منذ المكالمة التليفونية الأولى.

أقبل أحمد وإحتفل به كل من والدىّ وشقيقتى إيناس التى أجلسته بجوارها وكل عدة دقائق تقبل خديه ولحقت بنا ياسمين مرحبة وبعد تناول الطعام شاهدت الإثنان يستعدان للخروج للتنزه بعد أن تأكد أحمد أننى أحضرت معى بعض ملابسه الخاصة بعيداً عن الزىّ العسكرى.

تأكد لى الآن أن أحمد وياسمين ابنة شقيقتى إيناس يتجهان بقوة نحو تشييدعلاقة حب ستؤدى بهما للزواج، لقد قضيت عدة أسابيع بشقة والدى وكنت خلال تلك الفترة أقوم بزيارة شقتى القريبة منهم.

شعرت بأننى قد أصابتنى الغيرة، فهذا ابنى الوحيد سوف تسيطر عليه ياسمين وينفرد بها ويبتعد عنى وتنحصر حياتى فى العمل وإجترار الذكريات، ورغم هذا شعرت بنوع من السعادة الخفية بأن نهاية قصة إيزيس ٦٧ ستنطبق على أسطورة إيزيس بالعصر الفرعونى التى أحاطت بها كتب التاريخ وكتب الروايات الرومانسية بالكثير من التقدير والإجلال.

إيزيس ليست فقط إسطورة دينية يغلفها الحب بغلالة من حرير تشع نوراً صافياً مباركا من السماء لقدرة الله فى خلقه، بل تعتبر رمزاً آخر عند قدماء

المصريين لا يتعارض مع كونها رمزاً للأمومة وهو الترميز الفلكي حيث أنه كان لها اكثر من رمز.

ايزيس تعتبر روح نجم الشاعرة اليمانية (سوبدت) كما اطلق عليها المصريون وايضا هي برج العذراء، لوحة الابراج بمعبد (حتحور) بدندرة، لقد كانت إيزيس إلهة الأمومة والسحر والخصوبة، مثلما كان ابنها حورس شمس الوعى والحكمة التى تشرق فى وجدان كل انسان يطلب الحكمة والمعرفة والوعى.

ولهذا انتشرت عبادتها فى مصر القديمة وفى العصر البطلسى بكل من مصر وسوريا واليونان وروما وقد شيد لها معبد ضخم فى معابد فيلة على نهر النيل حتى القرن السادس الميلادى وحدث فى بداية الديانة المسيحية خلط بين إيزيس وابنها حورس مع مريم العذراء وابنها عيسى مما دفع الكثير لإعتناق الديانة المسيحية حيث كانوا يطلقون عليها إسم الأم العذراء أو العذراء الكبرى أو العظمى.

العودة للقاهـــرة

انهمك أحمد فى دراسته بالكلية الحربية كما إزداد تركيزه لقضاء الأجازات التى يحصل عليها بالتوجه لجديه بحى العجوزه وأعلم مما سبق وبمشاعرى كأنثى بأن خلف كل هذا قصة الحب التى نسجت خيوطاً قوية بينه وبين ياسمين ابنة شقيقتى، لقد تأكد لى بما لا يدع مجـــــالاً للشـــك أن (حتحور) وقعت فى غرام (حورس البطران).

طلبت من والدىّ حاتم أن أقضى جزء من وقتى بالقاهرة بجوار أحمد كى أتابعه وأصبح بالقرب منه ويمكن تكليف أحد الصيادله الشبان من نفس العزبة بأن يتولى الإشراف على الصيدلية وفى الوقت المتيسر لى وسوف أعود لأقضى بعض الوقت بينهم بصحبة ابنى وزيارتهم.

ران صمت قوى وشديد على المجلس قطع سكونه حديث الخالة أم حاتم التى وافقتنى الرأىّ لأنها تعلم أنه فى بعض الأحيان يحصل طلاب الكلية على اجازة يوم واحد لا تكفى زيارة العزبة والعودة للقاهرة فى نفس اليوم مما كان يدفع حاتم للبقاء بالكلية ولا يغادرها مثل زملائه أبناء القاهرة.

طلبت منى بصوت حزين كسير النبرة بألا أنساها لأن وجود أحمد ووجودك يشعرنى بأننى أشاهد ابنى الشهيد، اندفعت الدموع بعيونها التى أثر عليه الزمن مما دفع الشيخ الطحاوى لأن يهدأ من روع زوجته وأن أم البطل الصغير سوف تأتى لزيارتنا من حين لآخر ومن الممكن أن نرسل

لها السيارة للحضور هى والحفيد للبقاء بالعزبة ولو ليوم واحد أو نسافر لزيارتهم بالعجوزة.

سارت الأمور على ما يرام وإستطعت إختيار صيدلينية عملت لمدة عامين بإحدى الصيدليات بمدينة الحسينية رغم أنها من بنات العزبة، كانت سعادتها كبيرة بأنها سوف تستريح من عناء السفر من وإلى الحسينية فى مواصلات عتيقة بالية يحيط بطريق سيرها مخاطر كثيرة.

جمعت كل ملابسى وملابس أحمد ونقلتنى سيارة العائلة إلى القاهرة بوداع مؤثر رغبت بألا يطول وبعد تحرك السيارة اندفعت دموعى تأثراً سواء لتأثر الكبار والدايّ حاتم أو لذكرى الحبيب والزوج الذى قمت بزيارة قبره بالأمس.

توجهت بالسيارة إلى شقتى مباشرة وبعد أن غادر السائق العمارة وضعت ما أحمله من أمتعة بالشقة ثم توجهت سيراً إلى شقة عائلتى واستقبلنى الجميع بالترحاب وقررت والدتى أن ترسل السيدة التى تقوم على نظافة شقتها وشقة شقيقتى لإجراء النظافة وتبديل الهواء الراكد منذ غلق الشقة لأعوام طويلة.

الحمد لله أصبحت الشقة رائعة وعادت لسيرتها الأولى وأقبل أحمد لزيارة جديه وعلم بالخبر السعيد وعاد مسرعا ليلقى بجسده على صدرى سعيداً مغرداً بأن صدر أمه أصبح قريباً منه.

دائما ما كانت علاقة أحمد بى تعيد إلى ذهنى فقد أم حاتم لتلك العلاقة التى حُرمت منها مبكراً وتبين لى وتأكدت بأن الكثير من سيدات مصر الأمهات فقدن الأبناء خلال الحروب المتتالية مع العدو الإسرائيلى وكأن إسرائيل أنشأت كى تقوم على القضاء على الشباب المصرى العفى بنشوب حرب كل فترة زمنية.

شملت السعادة والفرحة شقيقتى وابنتها فقد تأكد لهما أن أحمد سوف يشاهدونه كل أسبوع حين حصوله على اجازة من الكلية وبالتالى شعرت بسعادة غامرة حين أشاهد أحمد أمامى يتخير ملابس خروج للفسحة والمخالفة لما كان يتخيره من أنواع الملابس حين كان يدرس بمدينة فاقوس القريبة من جزيرة سعودة.

بالقاهرة تبدل الحال من طالب بمدرسة إلى دارس بكلية عسكرية وله من الزملاء الكثير من أبناء القاهرة والمحافظات القريبة كما أنه يمر بقصة حب قوية يحتاج معها لتنوع ملابسه وأن يتوفر بيده بعض النقود للصرف على زوجة المستقبل أو حتحور القرن العشرين.

كانت ياسمين تزداد فتنة وجمالاً بمضى الأيام، لقد إختارت وإختيرت وهذا عنصر هام وقوى فى حياة الشباب أن يجد من ترغبه والفتاة أيضا تجد من يرغبها وفضلها على الأخريات وهذا الشعور سبق أن مررت به حين تعرفت على حاتم رغم محاولة بعض الزملاء فى السابق أثناء الدراسة لفت إنتباهى نحوهم دون جدوى وتجاهلت كل تلك النظرات والرغبات.

ران نوع من السعادة والجمال على بيت عائلتى وعلاقتى بشقيقتى التى تأكد لها أننى أعلنت موافقتى على تكليل حب الإثنان بطريقة عملية بعودتى لشقتى بحى العجوزة، الحمد لله فالمعاش المستحق لى ولأحمد من إستشهاد حاتم كاف للمصروفات.

كان الدخل الأكبر يأتى من العزبة من الحاج البطراوى الكبير الذى كان يرسل بسائقه كل شهر بخير الأرض الوفير من الخظروات والفاكهة ومبلغ نقدى كبير مما جعل أحمد يعيش فى رغد من العيش ودائما ما يحمل مصروف يد.

خلال الفترة الماضية كانت مصر تمر بأحوال اقتصادية وسياسية واجتماعية مزدهرة فقد أزال الزعيم السادات العدو الإسرائيلى عن سيناء على مرحلتين وبطريقتين مختلفتين أولهما الحرب المحدودة ونجح فيها ثم توالى بعدها بإتفاقيات دولية كى يعم السلام وتبدأ الدولة فى النهوض من عثرتها التى بدأت منتصف عام ١٩٦٧.

مضت سنوات الدراسة بالكلية وأصبحت المكافأة السخية للصغيرين حتحور وحورس بعد المذاكرة والإجتهاد هو اللقاء الأسبوعى، خلال تلك الفترة لم أتناسى جزيرة سعود وكنت أصطحب أحمد فى الزيارة خصوصا فى الأعياد والمناسبات مما كان يشع بالمنزل الكبير الفرحة والبهجة خلالها نقوم على زيارة ضريح الأب الشهيد التى كانت تعطى القدوة والعبرة والنهاية لكل كائن حى على وجه الأرض.

انتهت سنوات الدراسة وحضر الأجداد من الشرقية وحى العجوزة حفل تخرج أحمد بالإضافة إلى وجودى ووجود إيناس والشابة الجميلة ياسمين كان احتفال مُبهر وشاهدنا الفرحة على وجوه العائلات المصرية فخورة بأبنائها ورغم سعادة الجدة أم حاتم إلا أن الدموع غطت عيونها عن متباعة مراسم الإحتفال.

اقتربت منى تقدم أسفها بأن شاهدتها على هذا الحال فى يوم كهذا ورجتنى إعطائها العذر فهذا الحفل شاهدت مثله منذ أكثر من ثلاثين عاما حينما تخرج ابنها حاتم من تلك الكلية وبنفس تلك الطريقة والبهجة وهذا الإحتفال كان هذا عام ١٩٦٠ عام سعيد علينا جميعا ولم تمضى سبعة أعوام إلا وكانت النكسة والكارثة.

جففت عيونها ووضعت إبتسامة على وجهها التى أثرت عليه السنون والأعوام والأحزان وذكريات فقد الإبن أو الضنا كما كانت تردد، انتهت الحفلة وأقبل الضباط الصغار الجدد، كنت أشبههم بالأطفال الصغار الذى تشاهد كل شىء جديد ناعم الملمس فرح الوجه وملابسهم تنبىء عن هذا وعلامة النجمة على الكتف لامعة تحيط بهم الزغاريد من أفواه الأمهات اللائى قمن بالحمل والولادة والتربية إلى أن أصبح شاب يافع تخيرته عناصر الكلية من بين عشرات الألاف ليكون فى خدمة الجيش المصرى الذى يتلقى الصدمات القوية نيابة عن الوطن.

كنت أنظر لهؤلاء الشباب بعين وبالعين الأخرى أشاهد حاتم لأول مرة بسيناء وقد أحرقت قنابل العدو ظهره وشعوره بالألم التى كانت صعبة للغاية، لا أستطيع أن أنسى ما حاق بحاتم فى نهاية حايته حين كان يتحرك على الأرض على أربع مثل الطفل الصغير قبل مرحلة المشى.

أردد بداخلى هل من أشاهدهم الآن سوف يلحقوا بمن سبقوهم فى حروب مصر السابقة، لا أعتقد فقد طهرت مصر أرضها وأعلن زعيمها الراحل الشهيد أنور السادات بأن تلك آخر الحروب، لكن منذ عامين حدثت هجمة إرهابية على مصر وبالأخص المواقع السياحية ونتج عن هذا خسائر مادية وبشرية.

يجب علىّ ترك اللون الأسود من أفكارى وأحدوا صوبا إلى المستقبل وكما قال رسول الإنسانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم "بشر ولا تنفر " لهذا سوف انظر للغد بالفرح والسعادة بعد أن يتسلم ابنى عمله ويستعد لترتيب حياته الإجتماعية وإذا إرتبط بياسمين لتصبح حتحور فى صدر الحكم لأحمس الصغير.

وبالتالى لم يتبق أى شىء لتكتمل حلقة الأحفاد بالأجداد العظام وهكذا ستلحق إيزيس القرن العشرين بالجدة إيزيس من أحداث مضى عليها قرابة ثلاثة الآف وخمسمائة عام، حدثت لى قشعريرة بأن لو إكتملت تلك الحلقة فإن حورس الصغير ستلحق به إصابة من جراء الأخذ بثأر الأب من أعدائه وأعداء الوطن.

أهملت تلك النقطة فلن يُصاب حورس الصغير بفقد عينه اليسرى جراء هذا فقد توقفت الحرب ولن تعود وزاد من تخلى تفكيرى عن هذا الخوف القادم فى خيالى لمستقبل لا يعلم عنه شيء إلا الله.

أقبل أحمد يقبل أيادى أجداده وانهمرت الدموع من عيون والدىّ الشهيد ثم قبل خالته واحتضن ياسمين، اندفع نحوى يقبل يدى وغمرت الفرحة مشاعرى وحواسى فبكيت من شدة الفرح وقبلته وإحتضنته بقوة، حاول الفكاك من صدرى لكنى كنت أخشى عليه من القدر اللعين الذى أصاب الكثير من أبناء وعائلات مصرية كثيرة .

سارت الأمور طبيعية وهكذا إنتظمت حياتى مع وجود أحمد بجوارى لأيام كثيرة لم ينقطع عنى إلا حين بدأ التدريب العملى الشديد فقد إختير وإنضم لقوات الصاعقة المصرية وهم الرجال الأشداء الأقوياء الذين لهم من التاريخ المشرف فى القتال الكثير من الأمجاد خلال حرب الإستنزاف وحرب أكتوبر ١٩٧٣.

كانت ياسمين قد سبقت أحمد بالتخرج من قسم الإقتصاد بكلية الإقتصاد والعلوم السياسية ذات الشهرة الواسعة، لقد تقلدت منصبا فى أحد البنوك الأجنبية بميدان الدقى بالقرب من منزلها ومنزل جديها أما أحمد فكان التدريب العنيف يتم بمدرسة الصاعقة بمنطقة أنشاص القريبة من مدينة بلبيس.

سارت الأيام وجاءت شقيقتى فى أحد اللقاءات وهمست بأذنى :

- يادوب يا إيزيس نلم أحمد وياسمين.

- إيه المطلوب يا إيناس؟

- نعمل خطوبة وبعد كام شهر جواز وياسمين تعرف مقاول بيتعامل مع البنك وبيبنى عماره قريب منا ممكن يؤجروا شقة عنده.

- طيب إيه إللى مأخر تنفيذ الفكرة؟

- أحمد مستنى أنك تشجعيه!!

- كل إللى بيعمله هوه وياسمين منتظر منى تشجيع، حاضر يا إيناس.

عصر هذا اليوم أقبل أحمد من عمله وبعد تناول الطعام جلسنا قليلاً نتحدث وسألته هل سيلتقى بياسمين اليوم وكانت إجابته بالإيجاب فطلبت منه إتخاذ إجراء للأرتباط بها فيكفيه تلك الأعوام من تعارف وفسح وتنزه وأنها فتاة وكل فتاة يجب أن نحافظ على سيرتها حتى لا تلوكها الألسن.

أفادنى بأنه كان فى حالة من الإنتظار حتى الإنتهاء من التدريب وأنه مستعد وسيفاتح ياسمين فى التوقيت المناسب لبدأ خطوة أولى فى بناء عش الزوجية.

سارت الأمور عادية وتكللت علاقة أحمد وياسمين بالزواج الذى أسعد الجميع وخاصه الجد الطحاوى الكبير والجدة أم حاتم، فلقد شاهدوا الحفيد وقد أصبح ضابطا بالقوات الخاصة المصرية وأفاده ركوب الخيل وممارسته لرياضة الفروسية قبل إلتحاقه بالكلية، وتزوج أحمد الآن وعلى وشك أن تلد يا سمين أول حفيد لى.

عام ١٩٩٤ أصبحت الجدة إيزيس مع ظهور بوادر لشعيرات بيضاء تنبأ عن العمر الزمنى وأن قطار الزمن يسرع الخطى نحو العالم الآخر بالقرب من الزوج والحبيب والشهيد، كانت أحوال الزوجين فى تقدم سواء فى العمل أو حياتهما الخاصة وقد تأثرت حياتهما بالعائد المادى من وراء الوظيفة التى يتقلدها كل منهما.

إكتملت الدائرة

مضت الأعوام ولم يعد أمامى ما أقوم به وأنجزه، لقد كبر الطفل وأصبح رجلاً مُهابا يدافع عن وطنه وتزوج وأنجب بينما عكفت بشقتى بعد حكم الزمن بقراره الإلهى بتوارى والدى إلى رحمة الخالق أتبعته والدتى بعامين ولم يعد أمامى سوى شقيقتى نتحدث تليفونيا أو نلتقى بنادى الضباط بالزمالك نتمتع بشمس الشتاء الدافئة ونستعيد ضياء شمس الأسرة المفقود بزيارة الأبناء وأحفاد الشهيدين حاتم وأشرف.

أثناء صلاتى كنت دائمة الشكر على نعمه الكثيرة وحمدت الله على أن حورس الصغير حماه الله من مصير الجد حورس أثناء الدفاع عن الوطن والأخذ بثأر أباه من قاتليه، ومن الممكن أن يأخذ الثأر إنلس آخرين مثلما أخذ جيل عام ٧٣ ثأر جيل ٦٧ .. المهم أن نشعر العدو بأن دماء وأرواح الشباب المصرى لا تضيع هباء.

أتبع ابنى أحمد طفله الأول بآخر وثالث وخشيت أن يقتفى أثر عائلته بجزيرة سعود كثيرة الإنجاب لكنه توقف بالعدد ثلاثة كى يستطيع أن يقوم على رعايتهم وتربيتهم التربية السليمة.

مازال أحمد يحقق نجاحات فى عمله ويرتقى مع زملائه وتبين لقادته أنه ضابط يحقق نتائج طيبة فى كل المسابقات الرياضية والعسكرية وخصوصا مسابقات الرماية بالذخيرة الحية التى هى أساس العمل العسكرى.

نحن على أعتاب توتر سياسى داخلى قد يؤثر على استقرار مصر لسنوات قادمة، فقد ثارت الجماهير على الحكم المستقر لما يقارب الثلاثين عاما، حكم الرئيس حسنى مبارك، لقد كان الرئيس هادىء الطباع لا يرغب فى احداث مشاكل بين الدول واهتم بالإستقرار داخل الوطن.

لكن تبين لجماهير الشعب أن هذا الإستقرار والنمو الإقتصادى لم يعود على غالبية جماهير الشعب بفائدة ملموسة، فقد تربع فوق النجاح الإقتصادى بعض المنتفعين المقربين من دائرة الحكم وحصلوا على ثروات البلاد وظل باقى الشعب يعانى أزمة إقتصادية خانقة.

كانت الحرية والديمقراطية الممنوحة للشعب ظاهرية ولم يكن أى مسؤل يهتم بمن يصرخ مطالبا بالإصلاحات، لم يجد المظلوم أى أذن صاغية كأنهم رغبوا بأن يصرخ الشعب للتنفيس عن غضبة بعدها تهدأ الأمور ولكن هذا الهدوء كان هدؤا زائفاً.

هاجت الجماهير عام ٢٠١١ بشهر يناير ثائرة على الحكم مطالبة الرئيس بإصلاحات جزرية فى أمور محددة ومنها الحرية والعدالة الإجتماعية وإلغاء إنتخابات عام ٢٠١٠ غير النزيهة والتى جعلت الحزب الحاكم منفرداً بالسطلة.

كنت شاهدة على عدم استجابة الرئيس لصرخات الشعب بل وظل عاكفا على الحكم متربعا فوقه ومما آثار الجماهير شعورهم بأن الرئيس لا يبالى

بصرخاتهم وأنه يعد البلاد كى يتولى حكمها أبناءه وأصبحت مصر عزبة يقوم على ملكيتها أسرة واحدة والباقى عبيد إحساناتنا كما قالها الخديوى توفيق لأحمد عرابى.

تفاعلت الثورة وإنتشرت وتعاملت الشرطة بقسوة مع الجماهير وسقط بعض القتلى وطالما أن هناك دماء أريقت فلا مجال للهدوء والسكينة، كان المغذى السيىء لنيران التوتر والتدمير والحرائق جماعة الإخوان المسلمين التى شعرت بسعادة لمثل تلك الأفعال ولديها خبراء فى القتل واشعال الحرائق وإستخدام زجاجات المولتوف.

تحت ضغط الشعب المزود بجماعات إجرامية سواء من داخل مصر أو خارجها مع عدم مبلاة الرئيس بما يجرى بالوطن سقط جهاز الشرطة تحت وطأة الثائرين ولم يتركوا أفراده يعودون للمعسكرات أو لذويهم بل أساؤا معاملتهم إلى حد كبير وصل إلى القتل والتعذيب والإهانات التى لا تعرف مصر مثيلا لها.

شاهدت مع الشعب المصرى الأحداث التى دفعت بالرئيس لأن يصدر قراراً بنزول الجيش لضبط الأمن بالبلاد من الإندفاع نحو الهاوية، نزل الجيش هادئا مستأنسا ولم يقم بما يجب عليه القيام به بتنفيذ حظر التجول كما ينص عليه القانون كان حظراً على الورق لحماية الأماكن الهامة والسفارات الأجنبية.

شعرت بتخاذل قيادة الجيش ممثلة فى المجلس العسكرى منذ البداية مع المنحرفين وأعمال البلطجة ولو سارت بمنهج القوة والشدة لأوقفت نهر الدماء والحرائق التى سرت فى ربوع مصر، تنبه المجلس العسكرى لما يحدث فهبوا وأزالوا عنهم الغبار وقال أحدهم أنهم ظلوا على الحياد حتى ينحنى الرئيس لمطالب الشعب بعدها يقوم الجيش بعمله بدلاً من تهدئة الأوضاع كى يقفز ابنه على السلطة.

كل تلك الأحداث وما تلاها آثارت الذعر بمشاعرى لأنها بلدى ووطنى ولأن ابنى هو أحد القادة بتلك الميادين يقوم مع قواته بحراستها وتأمين جموع الشعب المطحون بين حكم فاشل وثورة تحركها أيادى من خارج البلاد.

قرر الكثيرين ممن يعرفون ابنى العقيد أحمد الطحاوى بأنه كان مثلاً يحتذى به فى فن التعامل مع التوترات السائدة بين جموع الشعب وإستطاع بما لديه من سمات شخصية وقيادة واعية حصل عليها بعد أن تتلمذ بداية حياته العسكرية على يد بعض القادة العسكريين الذى ظل شعاع نصر معارك أكتوبر ١٩٧٣ باق من حولهم وهم رجال لهم نكهة قومية طيبة بعيدة عن ماديات وأخلاق فترة هيجان الشعب المصرى خلال يناير ٢٠١١ وهى فترة بالغة السوء فى حياة مصر أفرزت أسوأ نماذج وأخلاق أبناءه وأغلبهم من الخارجين عن القانون والجهلاء .

ظل أحمد الطحاوى محافظاً على تامين المناطق التى تولى حراستها وهى منطقة القناطر الخيرية بما فيها من أهوسة ومصادر حماية مجرى النيل والتحكم فى مياه الرى ومنع تدفق المياه لأحد روافده التى قد تؤدى إلى غرق بعض المحافظات وضياع ملايين الأمتار من مياه النهر هباء.

بعد أن هدأت الأمور وبعد مضى عدة أشهر عاد التوتر بعد أن نشرت جماعة الإخوان الفساد بالبلاد والعباد، وفى ظاهرة محيرة اختار الشعب المصرى مرشح الإخوان فى الإنتخابات الرئاسية عام ٢٠١٢ رئيساً للبلاد وبعد أن تأكد المصريون من زيف وعود الإخوان هتفت الجماهير تطالب بنزول الجيش إلى الميادين وتخليص البلاد من شر جماعة التتار الإرهابية مرددين بعض الشعارات " واحد .. اتنين .. الجيش المصرى فين؟ !!! ".

أى شعب فى العالم لا يرضى أن تتحكم به قيادة عسكرية لما لها من سلطة جافة يكره تنفيذها المواطن العادى لكن ظلم الإخوان المسلمين دفع بالشعب إلى طلب النجدة مفضلين حكم عسكرى على حكم مدنى فاشيستى.

كما هى عادة مصر والمصريين من إفراز زعامة غير معروفة لإنقاذ البلاد حتى لو كانت تلك الزعامة غير مصرية مثلما حدث فى بداية حكم محمد على من الخضوع لأمر شعبى، بعد محاولات من قيادة الجيش علاج خطأ جماعة الإخوان وإنحرافها عن المسار الصحيح قام وزير الدفاع ورفاقه بعزل الرئيس الإخوانى المنتخب وتعيين رئيس المحكمة الدستورية العليا رئيساً مؤقتا للبلاد.

ظل أحمد الطحاوى محافظاً على تامين المناطق التى تولى حراستها وهى منطقة القناطر الخيرية بما فيها من أهوسة ومصادر حماية مجرى النيل والتحكم فى مياه الرى ومنع تدفق المياه لأحد روافده التى قد تؤدى إلى غرق بعض المحافظات وضياع ملايين الأمتار من مياه النهر هباء.

بعد أن هدأت الأمور وبعد مضى عدة أشهر عاد التوتر بعد أن نشرت جماعة الإخوان الفساد بالبلاد والعباد، وفى ظاهرة محيرة اختار الشعب المصرى مرشح الإخوان فى الإنتخابات الرئاسية عام ٢٠١٢ رئيساً للبلاد وبعد أن تأكد المصريون من زيف وعود الإخوان هتفت الجماهير تطالب بنزول الجيش إلى الميادين وتخليص البلاد من شر جماعة التتار الإرهابية مرددين بعض الشعارات " واحد .. اتنين .. الجيش المصرى فين؟ !!! ".

أى شعب فى العالم لا يرضى أن تتحكم به قيادة عسكرية لما لها من سلطة جافة يكره تنفيذها المواطن العادى لكن ظلم الإخوان المسلمين دفع بالشعب إلى طلب النجدة مفضلين حكم عسكرى على حكم مدنى فاشيستى.

كما هى عادة مصر والمصريين من إفراز زعامة غير معروفة لإنقاذ البلاد حتى لو كانت تلك الزعامة غير مصرية مثلما حدث فى بداية حكم محمد على من الخضوع لأمر شعبى، بعد محاولات من قيادة الجيش علاج خطأ جماعة الإخوان وإنحرافها عن المسار الصحيح قام وزير الدفاع ورفاقه بعزل الرئيس الإخوانى المنتخب وتعيين رئيس المحكمة الدستورية العليا رئيساً مؤقتا للبلاد.

توترت البلاد ووقف الجيش فى مواجهة جماعة الإخوان التى عاثت فى الوطن تخريبا وتدميرا وحرق وقتل كل من يقابلهم كأنهم امتلكوا مصر وطنا وشعبا وأصبحنا عبيداً أذلاء لهم، وشعروا بأن لهم الحق فى التصرف معه كما أرادوا عقابا له لإعتراضه على سوء إدارة الدولة وكأن ثورة يناير العام قبل الماضى لم تقم إلا لكى تأتى بهؤلاء المرتزقة المدعين بالتمسك بالدين والفضيلة.

استمرت المواجهات بين العصابات الضالة مع هؤلاء المرتدين لعصر الجاهلية الراغبين فى هدم الوطن وعودته إلى مصاف الدول الرجعية المتخلفة، ظل الشعب يدفع رجال الجيش ويقف خلفهم مؤيداً بشرعية حقيقية إكتسبتها قيادة البلاد من ملايين الناس بالشارع وليس بأصوات مسجلة بتذاكر إنتخابات مشكوك فى صحتها فليس بعد الجهر والتظاهر حق يقال.

وضع دستور حقيقى للبلاد وإستفتى الشعب عليه بالموافقة وتمت إنتخابات رئاسية نجح خلالها قائد ثورة الثلاثين من يونيو بنسبة مؤية كبيرة تلاها انتخابات برلمانية تعتبر أقرب إلى الواقع رغم بعض التجاوزات التى وقع بها بعض ابناء الوطن لقلة التعليم وسوء المعيشة وانتشار الفقر الذى يدفع بصاحبة لأن يوافق على المخالف لعقيدته لو كان فى يسر الحال وتلقى رشاوى مادية تتمحور فى الطعام.

جاء رئيس لمصر من قادة الجيش وسار بالشعب نحو إصلاحات أمنية وإقتصادية قوية وافق عليها الشعب المصرى مرغما لأنه دواء لعلاج

مرض طويل عانى ومازال يعانى منه الشعب المصرى وهو قلة الدخل والإنتاج وانتشار البطالة بين الكثير من الناس حتى أصبحت عاهة مستديمة تلذذ بها البعض وأصبح العاطلون لا يرغبون فى العمل انتظاراً لعون ومدد الدولة ولا داعى للعرق والجهد.

رافق هذا انتشار عمليات إجرامية إرهابية فى بعض الأماكن السياحية لمنع تدفق السائحين والعائد من ورائهم يمثل جانبا هاما من إقتصاد الوطن نجح هؤلاء المجرمين أبناء الشياطين ولم تنجح الدولة فى وقفهم إلا فى بعض أماكن محددة لكن الجانب الأكبر من العمليات الإرهابية الإجرامية التى قام بها الخونة المسلمين كانت ضد سلطة الدولة القوية المحددة فى قوات الجيش والشرطة.

سقط الكثير من أبناء تلك الفئة صرعى شهداء أو مصابين تحت العلاج ومازالت الدولة تهاجم وتقاوم رغم أن خلف تلك الجماعات بعض الدول القريبة الخبيثة التى تشجعهم وتدفع بهم.

بالطبع كانت إسرائيل الداعم الأكبر من وراء ستار ورغم أن أحدا لم يذكر اسمها فليس هذا وقت المجاهرة فلن تفتح مصر ابواب صراعاتها مع كل من إسرائيل وأثيوبيا فى وقت واحد ولنأخذ كل دولة على حدة ولنبدأ بالداخل ثم بالدول القريبة منا وبالأخص العربية التى حباها الله بالخير والمال الوفير وفى نفس الوقت ركب الشيطان عقول حكامها.

أبلغتنى قيادة شرق القناة بأن وحدتى مكلفة بمهاجمة جبل الحلال والقضاء على العناصر الإرهابية التى تتخذ منه ماوى وقاعدة للهجوم على قوات الجيش والشرطة بل وتساعد بعض المتطرفين والإرهابيين بالقيام بأعمال إجرامية بغرض زعزعة الإستقرار داخل الوطن والقضاء على النشاط السياحى للتأثير على عوائده من النقد الأجنبى الذى يصب فى خزانة الدولة وتساعد على النمو الإقتصادى وفتح فرص العمل أمام الشباب المصرى.

قمت مع ضباط قيادة اللواء الذى أتولاه بما يجب القيام به فى مثل تلك الأحوال بغرفة العمليات المتقدمة بوسط سيناء، فردت خريطة المنطقة والمعلومات الواردة إلينا من المخابرات الحربية والإستطلاع ووضعتها على الخريطة ووضعنا خطة الهجوم على جبل الحلال مسترشدا بالأمر العسكرى الصادر لى والتكليف الواجب القيام به لتنفيذ تلك العملية.

كان التكليف الصادر لى من قيادة شرق القناة الهجوم على جبل الحلال ومحاصرته ومنع أى عناصر إجرامية من الهرب وقتل أى عنصر يقاوم أو يرفع السلاح فى وجه القوات مع أسر أى فرد بداخل الجبل مع تدمير جميع التجهيزات الهندسية العسكرية التى يستخدمها مجموعة الإرهابيين بالجبل.

تجولت بالقرب من منطقة العمليات برفقة بعض ضباط العمليات بقيادة اللواء ودرسنا طبيعة الأرض والمنطقة الجغرافية المحيطة بموقع العمليات

المرتقب مع وضع عامل الطقس فى الحسبان وتضاريس المنطقة كما منعت الدوريات التى دفعت بها أى تحركات للبدو بالمنطقة.

- ولهذا تم إعداد ٩ مجموعات لعملية اقتحام جبل الحلال ووضع خطة لكل مجموعة أثناء عملية الاقتحام.
- خطة تعمل على استنزاف الذخيرة الخاصة بالعناصر الإرهابية والتكفيرية نتيجة عملية حصار الجبل وذلك بإشتباكات متقطعة معهم تدفعهم للرد بإطلاق نيران كثيفة وبمضى الوقت مع الحصار المحكم تقترب الذخيرة من النفاذ.
- نسقت مع أفرع وتشكيلات وإدارات القوات المسلحة المشاركة في عملية الاقتحام سواء بالنيران أو الإشتباكات الجانبية مع وحدات المدفعية التى ستطلق ستائر دخان كثيفة لحجب تقدم القوات المهاجمة عن المراقبين.
- عناصر «المهندسين العسكريين» ستتولى تطهير محاور التحرك التي ستمُر بها قوات المهاجمة لبدء عملية اقتحام الجبل من الألغام والعبوات المتفجرة.

أصبح من المحتم إقتحام الجبل بعد أن أصبح ماوى للعناصر الإرهابية والتكفيرية، فقد تم تخزين بعض السيارات والدراجات النارية المُفخخة وأطنان من المواد المتفجرة، والمواد التي تدخل في تصنيع العبوات الناسفة

وأصبح من اللازم تطهير الجبل من كل ما يُهدد أمن واستقرار سيناء بصفة خاصة، والأمن القومي المصري بصفة عامة.

لقد تم التخطيط لعملية الاقتحام على عدد من المراحل، البداية هي منع دخول المواد اللوجيستية والإعاشية للعناصر الإرهابية والتكفيرية عن طريق محاصرة الجبل، ولهذا قمنا باستنزاف الذخيرة الخاصة بالعناصر الإرهابية والتكفيرية، نتيجة عملية الحصار، كما فشلت العناصر في عملية الهروب، وكانت قوات الأمن لهم بـ " المرصاد "

و« بناءً على المعلومات التي توفرت، تم وضع خطة الاقتحام، وقامت القوات بغلق جميع محاور التحرك من وإلى الجبل، وقامت القوات بمحاصرة الجبل واستمرت عملية الحصار سبعة أيام خلال شهر فبراير من هذا العام ٢٠١٧، ولم يكن الإرهابيون يعلمون ما تقوم به القوات المسلحة كما قامت عناصر "المهندسين العسكريين" بدور بطولي في عملية تطهير محاور التحرك التي ستمُر بها القوات لبدء عملية اقتحام الجبل "

أصبحت «العناصر الإرهابية والتكفيرية غير قادرة على مواجهة أبطال القوات المسحلة وجهًا لوجه، لأنهم يعلمون جيدًا أن معركتهم خاسرة في حالة المواجهة المباشرة.

وخلال المعركة شاهدت العديد من أدوار البطولة التي قام بها رجالى من الجنود والصف والضباط، حيث أصيب أحد الجنود بإصابة بالغة، وكان

«يلفظ أنفاسه الأخيرة»، فتوجه إليه قائده المباشر الرائد (سعد) ليساعده على عملية إخلائه للخلف فطلب منه الجندي تركه والإستمرار في عملية الاقتحام والمداهمة حتى استُشهد.

والنماذج لتلك البطولة والشجاعة كثيرة ومتنوعة ومن بينها أن الضابط (حسن خليل) وهو برتبة ملازم ومعه جنديان حققوا تقدما ملموسا فى إتجاه الهدف المحدد لهم ولكن نيران إحدى الدبابات المشاركة فى المعركة دمرت إحدى نقاط الجماعات الإرهابية وبالتالى تساقطت بعض الصخور وسقطت فوق الضابط ورجاله ورغم المعركة وعدم إمكانية مساعدتهم إلا أننى من نظارة الميدان شاهدت نيران الرشاش يطلقها الرجال من أسفل الصخور المنهارة ورغم الإصابات التى لحقت بهم جميعا.

بعض الصور التى توضح مع[illegible]

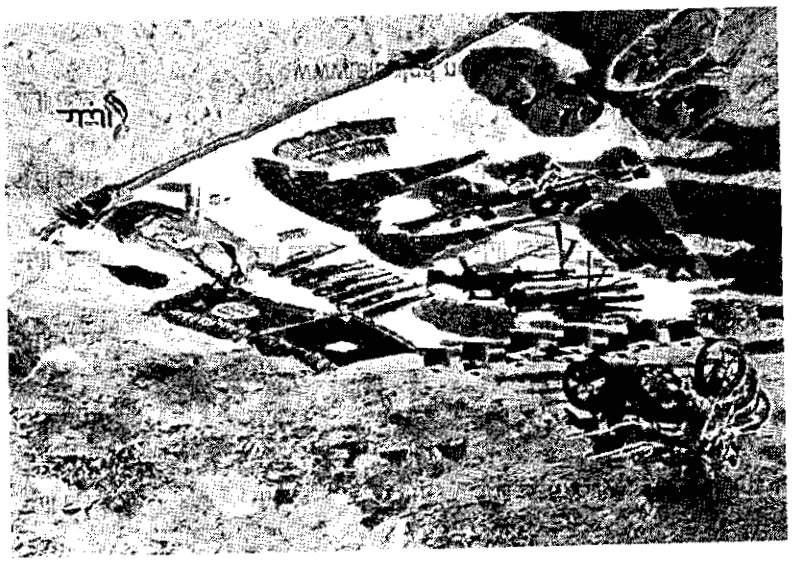

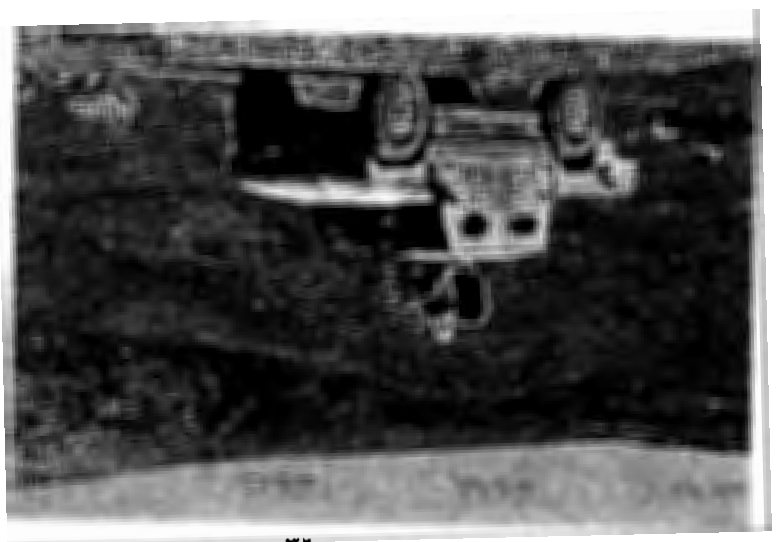

إيزيـــس :

أتابع وأسمع وأشاهد بقنوات التليفزيون ما يحدث بمنطقة جبل الحلال بوسط سيناء، تعود بى الذاكرة إلى خمسين عاما مضت منذ يونيو عام ١٩٦٧ وتلك المغامرة الرهيبة التى قمت بها وكلما تذكرتها أشعر برجفة بجسدى سواء لتلك الجرأة أو لإحتمال تعرف الإسرائيليين على شخصى ومنعى من العودة لمصر وتقديمى لمحكمة عسكرية لأن تلك المناطق تعتبر مناطق عسكرية لا يتحرك بها أحد من المدنيين إلا بتصريح من جهة الإدارة بجيش الدفاع الإسرائيلى.

عادت بى الذاكرة ولقاء حاتم المرعب الرهيب أثناء الفيضانات الجارفة لموسم سقوط الأمطار بسيناء، لم يكن يخطر بخيالى بأننى سوف أشاهد حاتم وإذ بى أشاهده أمامى مباشرة ونحن مغلفين بالأوحال والمياه الباردة تلسع أجسادنا الهزيلة.

تنبهت من خيالى الهامس فى الذكريات رغم صعوبتها لكنها كانت بغرض الحب وتقدير دور الفارس المحب الشهيد حاتم البطران، تنبهت بأن وحيدى العميد اركان حرب أحمد البطران يخدم الآن بسيناء بعد أن ترقى وتقلد منصبا قياديا يناسب رتبته وخبراته، أدعو بداخلى أن يتم الله عليه الصحة والسعادة وأن يقبل قريبا كى نحتفل معا بعيد شم النسيم.

أكرر .. ياه .. شم النسيم مرة واحدة يا إيزيس .. فاكرة مناسبة شمس النسيم إللى قضيتيها مع حاتم قبل حرب ٦٧ بمنطقة القناطر الخيرية .. ياه .. كنا نلعب مثل الأطفال ونجرى ونلهو ونحن فى بداية العشرين من عمرنا أيام جميلة وربنا يرجعها لنا بالسلامة.

تنبهت على رنين صوت التليفون المحمول، شاهدت رقم تليفون وحيدى أحمد، سمعت ضحكته التى لا أنساها منذ نعومة أظفاره، قدم تحيته ثم أخبرنى بما كنت أخشاه:

- ماما .. الحمد لله إنتصرنا على المجرمين الإرهابيين بجبل الحلال، بس إصابة صغيرة وأنا موجود بالمستشفى الجوى، مستشفى حديث بشارع التسعين بالقاهرة الجديدة، إصابة فى العين الشمال، الأطباء عرفونى أنها ليست خطيرة وتحتاج لوقت حتى يعود البصر ثانية، صمتك ده يخوفنى قولى حاجه؟

- لو قلت مش عارف ح تقول عليا إيه !!

- قولى يا ماما ، ميهمكيش.

- عايزه أزغرد بس مش عارفه ده يبقى صح وإلا هَبَل منى؟

- ضحكتينى، أى حاجه حلوه منك.

- على كل حال أنا زعلانه وفرحانه .. طيب ح أسيبك يا أحمد دلوقتى لأنى سامعه جرس الباب بيرن، يظهر أن فيه حد جاى يعرفنى باللى حصلك؟

- صحيح ياماما .. فيه واحد واقف قدام الباب ومنتظر تفتحى، روحى دلوقتى.

نهضت من جلستى وسرت شبه مترنحة نحو الباب لا أصدق ما حدث أو ما أفكر فيه، لقد حدث أن عين حورس ابن إيزيس وإبن اوزوريس أو حاتم البطران راحت، سمعت جرس الباب مستمر فسرت نحوه غاضبة لهذا الشخص المتعجل القدوم فتحت الباب غاضبة لكن نور الشمس الصافية هلت علىَّ، لقد كان القادم هو الحبيب ابنى الوحيد، وقف أمامى شامخا وقد وضع

عصابة بيضاء على عينه اليسرى، قبل أن أعانقه انحنى وقبل يدى واعتدل ووقف أمامى يردد :

- إيه رأيك فى حورس القرن الواحد والعشرين، بُهت ووضعت يدى على فمى من هول المفاجأة التى هزنى بها وإتسعت حدقتا عينى لأشاهد خلفه فى عالم الخيال والأحلام ديوان الحكم يهلل بقدوم حورس المنتصر والذى أخذ بثأر أبيه ودافع عن أرض الوطن، لقد دافع الأب عن أرض الوطن لكنه لم يحقق النجاح أما الإبن فقد دافع عن أرض الوطن وحقق نجاحا كبيراً، الحمد لله بأن أخذ الإبن بثأر الأب وعشت كى أشاهد هذا وسوف أستغل أقرب فرصة لزيارة قبر اوزوريس أو حاتم وأيضا الجد الطحاوى والجدة أم حاتم حتى يرقدوا فى القبر وهم يشعرون بالعظمة للحفيد الذى إقتص لهم.

جلس حورس الصغير أمام إيزيس الأم يقص ويحكى رواية الحرب التى قام بها ضد الأعداء، لقد تطابقت رواية الإبن مع رواية الأب اوزوريس الخيانة والغدر والقتال تحت عباءة الدين، الإسرائيليين حاربوا كى يحققوا ما ذكره كتابهم المقدس بإستعادة أرض الميعاد من البحر إلى النهر أى من البحر الأبيض حتى نهر النيل وإغتصبوا سيناء فى أول الأمر ثم حاولوا الوصول بالثغرة إلى النهر لكن رجال مصر الشرفاء زملاء الشهيد حاتم ردوهم على أعقابهم خاسرين.

أيضا هؤلاء القتلة يحاربون تحت عباءة الدين، تحقيق حلم عودة الدولة الإسلامية والخلافة، يقاتلون المسلمين ليحققوا خلافة المسلمين، كيف يتحق هذا أيها الأغبياء لكن وراء كل خطوة شريرة إستعمار قذر مازال حانقا على أمة الإسلام وعلى مصر العظيمة صاحبة الحضارة، هؤلاء الأقذار الإنجليز

وعملائهم من الأتراك والإسرائيليين والخونة من جماعة الإخوان الذى أسس وحقق قيامهم الأنجليز أنفسهم بل كانوا يساعدونهم حتى الآن بالمال والسلاح والمعلومات والمقاومة الخفية لجيش مصر الذى سيحقق النصر بإذن الله.

لقد تحققت الأسطورة أو عادت الحقيقة لتحقق شيئاً من الإسطورة، فإذا قلنا أن إيزيس وازوريس وحورس الإبن هم أساطير الفراعنة القدام فإن إيزيس وحاتم الطحاوى وأحمد الطحاوى هم حقيقة، إن أحفاد الفراعين قد عايشناهم وشرفنا بسماعهم وقراءة ما خططوا ونفذوا لتحقق إسطورة أو قل حقيقة إيزيس وازوريس وحورس عبر القرون والأزمان والله قادر على كل شيء بأن يخلق آدم ثم من ضلعه حواء ومن نفخة من روحة يأتى ببشارة المسيح عيسى بن مريم وقبلها وبعدها آيات تقول بأن الله قادر على كل شيء وأن تناسخ الأرواح والشخصيات يأتى كل فترة زمنية وهذا ما يلاحظه العامة مرددين " يخلق من الشبه أربعين ".

تركنى حورس متجها لزوجته حتحور أو ياسمين يحمل وسام النصر المؤزر على عينه اليسرى وتركنى غارقة فى أحلامى وأمنياتى التى لا أستطيع لها وصفا ولا أقدر لها حجما مع شعورى المتدفق من السعادة التى حاولت معرفة أسبابها دون الوصول لحقيقة معينة.

لكن الشيء المؤكد هى مشاعر السعادة والفرحة الرائعة التى طغت على مشاعر الأمومة لمشاعر وطن يستحق من كل فرد منا تقديم ما يستطيع حتى نصل لتقديم الروح والنفس وقد سبقه الأب بتقديم الألم والعذاب حتى تكلل

هذا بتقديم النفس الذكية إلى الخالق كشهيد له الكثير من منازل الرفعة التى تحدث عنها الله فى كتابه الكريم.

جلست فى الفراندة المطلة على مجموعة من الفيلات الجميلة وبدا من على بُعد نهر النيل الذى روى الشعب المصرى بمياهه العذبة المباركة شعرت بتخدير فى جسدى وبلفحات رطبة من طقس الليل لشهر مايو ٢٠١٧ فأحضرت غطاء وفردت ساقاىّ على كرسى آخر وغفوت غفوة طويلة وتنبهت على صوت آذان الفجر من المسجد المجاور.

نهضت وتمتطعت كى أزيل عنى كسل وخمول ساعات طوال، وقفت برهة وتذكرت أنه بالأمس أقبل وحيدى أحمد أو حورس القرن الواحد والعشرين يحمل علامة النصر بإصابة بعينه اليسرى كأنه يحاول أن يلحق بالجد الأكبر حورس الكبير، لقد كانت تلك الإصابة قدرية فلم تأتى بالعين اليمنى المجاورة أو بأى مكان آخر.

أسرعت بالدخول إلى الشقة وأغلقت باب الفراندة الزجاجى، توجهت للوضوء وأداء ركعتى الفجر وصلاة الصبح، جلست على السجادة بعض الوقت، أردد أدعية لا أعلم من أين أتيت بها لكنى كنت أشعر بسعادة وأنا أرددها، كانت أدعية عامة لمصر ولشعبها وجيشها وشرطتها وشبابها الغض الذى يحارب عدو مجهول لا تعلم عنه شىء سوى أنه يظهر فجأة ويختفى بأقصى سرعة تاركا الدمار والخراب.

أنهيت الدعاء ووقفت فوق السجادة لا أعلم غمرة النشوة والنصر التى لحقت بى، ألقيت بالإسدال جانباً ورفعت يدى لأعلا صارخة وقفزت لأعلا قفزة لا تناسب سنى ولا أنوثتى لكنها تناسب شاب يافع يشاهد مبارة كرة

قدم بين الفريق القومى المصرى وفريق أجنبى كان يحقق إنتصارات دائما على فريقنا وتلك أول هزيمة على يد المصريين.

رغبت بتكرار المحاولة وخشيت أن أسقط أرضا أو يحدث لى إلتهاب بالعمود الفقرى لكنى تذكرت أن القفزة الأولى كانت من نصيب الأب اوزوريس والثانية لابد أن تكون من نصيب الإبن حورس، كررتها وشعرت بأن رأسى كادت تصطدم بالنجفة المعلقة بسقف الحجرة.

جلست خامدة هادئة اردد بلسان هادىء : الحمد لله وما شاء الله فعل دخلت فى نوم عميق تنبهت على صوت الموبايل وكان المتحدث حتحور التى هنأتنى على عودة حورس وأنه منذ الصباح توجه إلى "المستشفى الجوى بالتجمع " وبعد عودته سيأتى ليجلس معك وسوف ألحق به وسيلحق بى الأبناء من انتهى من محاضراته بالجامعة أو من ينتهى من عمله.

ترددت قليلا وإنشغل فكرى لماذا ابنى يقوم على زيارة المستشفى رغم أنه قادما منها بالأمس، تماسكت فلا يجب على إيزيس أم البطل حورس أن ينخلع قلبها، مضت ساعتان وسمعت طرقا على الباب، نهضت متكاسلة وفتحت الباب فشاهدته أمامى ولم أملك سوى شهقة اتبعتها بتكرار تعبير الحمد لله وربنا يحرسك من العين.

لقد كان حورس قادما يرتدى ملابس أنيقة بعد أن قامت المستشفى برفع الضمادة من على عينه وقامت بفك غرز لعلاج جرح بالجفن وعندما سألته هل تستطيع الآن الإبصار بعينك اليسرى، حك مردداً بأنه ظل بالمستشفى الجوى أسبوعا قبل أن يلقانى قام خلالها الأطباء بتركيب عدسة بديلة لعدسة العين التى أصابها بعض من رايش القنبلة مع أصابة الجفن، تم علاج

العدسة والحمد لله أشاهد بها مثل السابق لكن العصابة كانت لإخفاء خياطة الجرح وتم فك الغرز وأصبحت سليم معاف.

حضرت حتحور وأبنائها وقبل حضورها طلبت طعاما مُعد من أحد المطعام الفاخرة الذى وصل بالدلفرى إلى الشقة رغم إعتراضى على تناول طعام المحلات لكن الجيل الجديد له أفكار مخالفة عن جيل حقبة الأربعينات القرن الماضى، قضينا فترة جميلة وإقترب منى أحمد أو حورس يخبرنى بأنه مُنح إجازة مرضية ثلاثة أسابيع وطلب منى أن أحدد مكانا ارغب فى زيارته كى يلبى لى تلك الرغبة.

طلبت منه زيارة جبل الحلال كى أقوم على زيارة قبر وجدان تلك الفتاة الطيبة التى مضى عليها خمسون عاما منذ وفاتها، إعتذر بأنه من غير الممكن حاليا فمازال هناك بعض الأماكن القريبة من منطقة جبل الحلال بها بعض الإرهابيين وأيضا بعض عبوات متفجرة يقوم المهندسون العسكريون بتدميرها.

صمت قليلاً وأخبرته بالقرية التى تقع شمال مدينة الأقصر وبها إلتقيت بحاتم وتعارفنا وإرتبطنا كى ننجبك ونعيد سيرة الأجداد الأوائل العظام وافقنى الرأى وبعد ثلاثة أيام أخبرنى بأنه عرف إسم القرية وحجز تذاكر لسفرنا نحن الإثنان دون الأبناء فما زال وراء بعضهم الدراسة أو العمل.

توجهنا إلى الأقصر وكلما إقتربت من تلك المدينة التى تحوى كنوز الأجداد ورائحة عرقهم ومشاهدة نبوغهم أشعر بإضطراب، اليوم الثانى أخذنا تاكسى إلى القرية التى شاهدتها منذ إثنين وخمسين عاما وقت قيامى مع زميلاتى برحلة إلى الأقصر عام ١٩٦٥ وهناك إلتقيت حاتم.

لم أتعرف على المكان فقد تبدل وتغير ولم يسعفنى أى منظر شاهدته فى السابق كى أتأكد منه سوى خط السكة الحديد الفرعى الذى يحجز به القطار المعطل، إقترب منا بعض رجال القرية وسألهم أحمد عن إسطبل خيل بتلك القرية وبعد تردد وتبادل معلومات وتصحيح معلومات أخرى إصطحبنا أحد القرويين إلى مكان يقولون عنه إسطبل الخيل وكانت المفاجأة أنه إسطبل للحمير وليس للخيل.

حاولنا إستيضاح أين إسطبل الخيل دون جدوى حتى إلتقينا بسيدة عجوز وعلمت ما نريده وأوضحت أنه فى السابق كان إسطبل للخيل لكن لظروف الزمن وإقتراب المبانى العشوائية من مكان إعاشة الخيول وهذا شىء ضار بها مما دفع بصاحبه ببيعه لآخر وهرب بخيوله غربا ناحية الصحراء أوضحت العجوز لسائق التاكسى المكان الذى به الإسطبل الآن وعرف مكانه وأسرعنا إلى هناك.

وصلنا للمكان المحدد، شاهدنا إسطبل خيل على مستوى رائع وخيول وأفراس من مختلف الأنواع، استقبلنا شاب فى بداية العشرينات وعلمنا أنه ابن صاحب الإسطبل وأسرع لإحضار والده الذى أسرع مرحباً بنا.

تحدثت إليه وأخبرته بالقصة القديمة، جلس الرجل قليلاً ثم تنبه بأن والده أخبره بأن أحد الضباط إكتشف سببا لإصابة الخيول بجراح مؤلمة وأعاد علينا ذكر ما سبق وحدث بين حاتم والسايس، هنا أخبرته بأن هذا الضابط الشهيد هو والد هذا البطل العميد أحمد.

زاد ترحيب الرجل بنا وتسائل هل سيادة العميد له دراية بالخيل وأجابه بان عائلته تقدس الخيول بعد الله وعندما علم أنه من أسرة الطحاوية زاد

الترحيب وبأنه يتبادل مع عائلة الطحاوية الخيول، عرض على أحمد أن يشاهد الخيل ويركب أحداها شاهد أحمد الخيل وإعتذر عن ركوب إحداها فرجوته أن يقوم بهذا.

إنصاع لرغبتى وقفز فوق الفرس وعاد بى الزمن إثنان وخمسون عاما وسرح خيالى وفقدت السيطرة على أعصابى وكدت أسقط لولا بعض النساء من حولى قدمن لي المساعدة وجلست بجوارهن نشاهد الفارس ابن الفارس حفيد الفارس الطحاوى الكبير كيف يلاغى الفرس ويتحرك بها بين تصفيق صاحب المزرعة والعاملين لديه.

إنتهت الزيارة بمأدبة غداء عامرة، عُدت مع حورس إلى مدينة الأقصر وجلست بالفندق أشاهد النيل فى محاولة لفك طلاسم هذا النهر البديع ولدىّ عقيدة بأن أسفل سطح هذا النهر يكمن سر خطير فى تقدم مصر ورفعتها وهذا السر يتلاشى حين تهاجمه الأقذار والأوساخ من الأحفاد الذين يلهثون خلف مساعدات الحكومة من البطاقات التموينية نظراً لكثرة الإنتاج السلبى بكثرة المواليد على إقتصاد الوطن.

اليوم التالى تحركت سيراً فى طريق الكباش بين معبدى الأقصر والكرنك ولا تستطيع إلا أن تقول سبحان الله الذى أودع بعض عباده الذكاء والعلم والرقى والإبداع والقدرة على صهر صخور البازلت والجرانيت وتطويعها بهذا الشكل حتى يصل بها المصرى القديم إلى تلك الأعاجيب.

تنبهت على اسم المصرى القديم، ألست أنا وابنى وزوجى منهم؟ بالفعل نحن من ابناء المصرى القديم الذى أعاد الله إليه الروح والمجد والكفاح

والعمل حتى ينجب اوزوريس البطل (حورس) كى يحرر الوطن وتظل مصر عفية بكر لا يعتدى عليها جاهل حاقد.

تلك هى قصتى وسوف أعود إلى شقتى أقضى بها باقى عمرى وبعد أن يتوفانى الله قد أعود للحياة فى صورة إيزيس أخرى فى القرن الثلاثين الميلادى أو بعد أو قبل فإن الله قادر على كل شىء ويقول للشىء كن فيكون وتحية لكل من ساهم معى فى لقائى بأوزوريس وبالتالى إنجاب حورس وتحية لجموع المصريين فى كل مكان وليس أمامكم إلا الكفاح والعمل وترك التواكل وبعض السلوك السىء الذى لا يناسب أحفاد العظام.

تمت بحمد اللـــه

٢/١١/٢٥

تعلـيق الكاتب

كنت راغباً فى إصدار الرواية منذ أكثر من عامين لكن بطلة الرواية السيدة إيزيس كانت ترجونى التأخير فى النشر، لقد كان لديها إعتقاد قوى بأن النهاية لم تكتمل ولابد من أن يُصاب ابنها العقيد أحمد الطحاوى أثناء مطاردة فلول الإرهابيين بسيناء وإلا لن يصبح حورس القرن الواحد والعشرون وبالتالى لن تقتفى إيزيس ٦٧ خطى جدتها إيزيس منذ ٣٥٠٠ سنة .

حاولت إقناعها بأن هذا فى علم الغيب لكنها لم تستجب وكانت لديها قناعة بأن هناك شيئاً سوف يحدث لوحيدها، لقد كانت اسطورة إيزيس وأوزوريس مسيطرة عليها سيطرة تامة وكانت تأمل أن تنتهى قصتها مثلما انتهت اسطورة إيزيس وازوريس.

لقد تغللت الرواية بأفكارها ومعتقداتها وإلا لما كانت قد جازفت بالسفر إلى سيناء بعد نكسة يونيو ١٩٦٧، كانت إيزيس ٦٧ سيدة قوية رغم صغر سنها فى هذا الوقت وقد حباها الله من نعمة الجمال والأنوثة الكثير وكان من الواجب عليها عدم الإندفاع خلف اسطورة ولو حقيقة لأن كل تاريخ له أبطاله لكن (د. إيزيس حمدى) كانت واثقة من صواب فكرها وفكرتها.

فى تلك الرواية شاهدت وعاصرت قصة الحب الحقيقى لصاحبها والذى لم يدم به العمر والصحة طويلاً، لقد كان حاتم الطحاوى صاحب نصيب

هائل من حب السيدات وخصوصا إيزيس ثم تلا هذا قصة حب وجدان له كانت إيزيس كما سبق ونوهت تتمتع بمواصفات جمال فريدة فى نوعها حينما تشاهدها لأول مرة لا تنساها أبدا كما سبق وأخبرت شقيقتها إيناس وقد أغضبها هذا القول.

كانت إيزيس مرابطة وهبت حياتها لشخص واحد، أنه حاتم الطحاوى وتكره أحد غيره يمدح جمالها وأنوثتها لأن تلك النعم التى تمتعت بها وهبتها لصاحب النصيب وهو النقيب حاتم الطحاوى، اما عن وجدان فكانت فتاة جميلة ورغم أننى لم أشاهدها إلا أن إيزيس كانت تحتفظ بصورة لها وهى عبارة عن كارنيه التدريب الخاص بها بمستشفى العريش العام عام ١٩٦٦.

حصلت على صورة الكارنيه وتأثرت بدرجة كبيرة عندما شاهدت صورة وجدان، ولهذا رفضت عرض الصورة بالكتاب كى لا أسبب للقارىء ما شعرت به نحو الصورة وصاحبتها، كانت وجدان تشبه إلى حد كبير الفنانة فاتن حمامة فى بداية عملها الفنى، كانت زهرة طبيعية متفتحة للحياة لكن الأمور وقفت ضدها على طول الخط وتبين لى أن الكثير من الأبناء والبنات يقاسون من فظاظة الأباء بل يفقدون سعادتهم وحياتهم بسبب عنف الأباء والتمسك بمعتقداتهم.

رغم كل هذا فقد نظرت إلى حاتم الطحاوى بنظرة يعلوها الدهشة والإستغراب لأن يوفق فى حب إثنتان من أجمل بنات مصر فى العصر

الحديث، الأولى فقدت حياتها لحرمانها منه والثانية فقدت حياة الإستقرار والزواج بعد أن فارق الحياة ولم يعد أمامها سوى شبح ماضيه المشرف.

والحقيقة أقول أن هاتان السيدتان لهما كل الحق فى اندفاعهما نحو حاتم فى قصة حب قوية عنيفة، ورغم أننى شاهدت حاتم فى أسوأ ظروف حياته إلا أننى حكمت عليه من خلال جلوسى معه فترة لا تزيد عن ساعة زمن كان حاتم شخصية مؤثرة على من يحيطون به خصوصا الغرباء عنه وأيضا العنصر النسائى فقد كانت له طريقة هادئة فى استقبال محبيه ومعارفه، يتميز ببسمة طيبة تسعدك وتشعر من خلالها بأن هذا الإنسان يرغب فى أن يمسك بالسحاب ويضعه تحت أقدامك من كثرة تعظيمة وترحيبه بالآخرين.

كل هذا وأكثر شعرت به ووضعته بجوار صورته الحقيقية المسجلة والموجودة بشؤن الضباط أثناء إنهاء متعلقات زوجته المالية بعد وفاته كانت السيدتان لهما كل الحق فى الإندفاع نحوه رغم أنه شخص عديم التملق والإنجراف نحو النساء عامة لكنه يتمتع بشخصية فريدة جعلت له محبين كُثر ببلدته وأيضا بالوحدات العسكرية التى عمل بها.

فى تلك الرواية عادت إلىّ بعض أحزان وآلام نفسية شعرت بها فى بداية حياتى بالجيش، لقد تلقيت إهانة وصفعة قوية بكرامتى وكبريائى من الرائد الذى قابلنى وأهاننى أمام الجندى السائق وشقيقة إيزيس السيدة إيناس وما

هو شعور أى إنسان تُهان كرامته دون خطأ جسيم ولا يستطيع الرد والدفاع عن نفسه.

كنت أشعر فى كثير من الأحيان بهذا الشعور المؤلم، الشاب الضعيف المهان المتخاذل، كان هذا الشعور يهاجمنى رغم مضى أعوام حينما ألتقى بعائلة إيزيس أو التقى بها شخصيا، كنت أشعر بأن هؤلاء الناس يتعاملون معى بكثير من اللطف والحنان لما تسببت خدمتى لإبنتهم إيناس من جرح لكرامتى يوم موافقتى على ركوب لورى الجيش غداة هزيمة يونيو ٦٧.

لقد سمعت السيدة إيناس حديث الضابط البذىء فى حقى وحقها، وكان هذا باديا عليها بعد أن تركنى الضابط على قارعة الطريق واقفاً لا أعلم ما حدث لى لدرجة أننى فقدت النظر والرؤيا لبعض الوقت لولا أن السائق نبهنى بأن نـادى علىّ وحينما إستكملنا طريق السير شعرت بأننا نسير فى إتجاه يوم القيامة وإننا هالكون وأن الجميع صامت حزنا على فراق الحياة.

ورغم أننى حتى الآن وأصبحت الشقيق غير الحقيقى للسيدتان إيناس وإيزيس إلا أننى لم أنسى أو أتناسى حب والدهما الدكتور حمدى وووالدتهما وحنانها علىّ وحسن إستقبلهم لى، شعرت قبل نداء إيزيس لى بأن نصبح أشقاء بأننا بالفعل أشقاء رغم أن تلك الإخوة لم تخرج عن إطار ثلاثتنا أى أنا وإيزيس وإيناس ولم تتسع وتصل لأسرتى الحقيقية حتى الآن مثلما حدث لأسرة طيبة ربطتنى بهم علاقة مماثلة نوهت عنها فى كتابى الناس والحرب والصادر عام ٢٠٠٧.

بقراءة رواية إيزيس الحقيقية وما دار حولها من دراسات تاريخية وأثرية ونفسية وما سمعته من السيدة إيزيس نفسها وما عاصرته فقد تأكد لى أن هناك رابطة ما بين التاريخين الفرعونى بالأسرة الثامنة عشر والتى تفتحت زهور نهضتها عام ١٨٥٠ قبل الميلاد والسيدة إيزيس حمدى زوجة البطل الشهيد حاتم البطران والذى دائما ما أنظر إليه بأنه أحد المعذبين بالأرض تشاركه فى هذا زوجته الأولى السيدة وجدان فقد خلقهم الله ليتألموا ويقاسوا صعوبة الحياة تاركين الدنيا للأخرة وهما فى ريعان الشباب.

فى النهاية لا يسعنى القول إلا أن أردد بأن الله أهل كل إنسان لما خلق له لقد كان حاتم الطحاوى شجاعا على أعلا مستوى ومتحملا لإصابته التى لا يعلم بها أحد سواه، أقول هذا لأننى أثناء إنسحابى من سيناء عام ١٩٦٧ شاهدت هذا المنظر، بعض الجنود أصابتهم قنابل النبالم الحارقة ولفظوا أنفاسهم سريعا لكن من أصيب بظهره مثل حاتم البطران إلتصق جلد ظهره بأرضية اللورى وعندما حاول البعض إخلاءه من اللورى صدرت منه صرخات قوية، فالتصق الجلد وبالتالى حدث سلخ للجلد عن لحم الظهر شىء رهيب ومؤلم.

لو أضفنا الدواء السام أو الضار الذى حقنه الإسرائيليين بجسده بمستشفى العريش وقد وسألت بعض المختصين من الأطباء فأفاد بعضهم بأن هذا نوع من سرطان العظام تم حقن به النقيب حاتم الموضوع تحت علاج أطباء إسرائيليين لكن الخيانة والغدر هما من سمات ابناء صهيون أى الإسرائيليين

ولهذا كان حاتم يتألم ألما شديدا ولم يستطع الطب بمصر وقتها العثور على علاج نافع لهذه الحالة.

لم أشاهده وهو إنسان سليم مثل باقى البشر لكنى شاهدته وقد إلتف جسده نحو بطنه وأصبح مثل سمكة الجمبرى بعد شوائها أو مثل حرف واو، كان شيئا مؤلما له ولمن حوله ولزوجته التى أحبت هذا الرجل بجنون يقترب من حقيقة الإسطورة.

أقدم الشكر للدكتورة إيزيس حمدى وشقيقتها إيناس أطال الله عمرهما والتحية للبطل العميد أحمد الطحاوى أو حورس القرن الواحد والعشرين والسيدة زوجته حتحور القرن الواحد والعشرين وكل تحية ودعاء من القلب بالرحمة على حاتم الطاوى وزوجته البريئة الطيبة وجدان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فهـرس الكتـــاب :

الصفحة	العنـــوان	الصفحة	العنـــــوان
٤	تمهـــيد	٨	لقـاء الحب والخيول
١٥	داخـل القطـــار	٢٧	الحب الرومانسى
٣٦	القبلـــــة الأولى	٤٦	اثر الزيارة ع الشقيقة
٥٥	اليأس والقنوط	٦٥	تحديد المكان
٧٨	أسطورة إيزيس	٨٥	القرار الجرىء
٩٣	الإندفاع نحو المجهول	١٠٤	أوروريس
١١٢	صبر الجمـال	١١٨	توتر وإنتظـــار
١٢٤	عذاب الإخلاص	١٣٦	ضياع الأمـــل
١٤٤	سيـول وزهـول	١٦٠	غداة لقاء إيزيس بأزوريس
١٧٧	عودة الـروح	١٩٥	ردود الأفعـــال
٢١٢	جمع الشـــمل	٢٢٣	تعنت الإدارة
٢٣٢	دارت الأيام	٢٤٣	وصية حـــاتم
٢٥٧	وتمضى الأيام	٢٦٧	أمجاد العسكرية المصرية

٢٨١	القلب له أحكام	٢٩٧	بدايات حورس الصغـير
٣١٠	تضارب المصـالح	٣٢٤	حتحور تغازل حورس
٣٣٨	العودة للقاهرة	٣٤٧	اكتملت الدائرة
٣٥٤	حورس الطحـاوى	٣٧٣	تعليق الكاتب

من إصـدرات المؤلف:

* الناس والحـــرب .. الطبعة الثانية مـــايو ٢٠٠٩
* رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيـــو ٢٠١٠
* مصر التـــــي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
* نُص نقـــــــل .. الطبعة الثانية يولـــيو ٢٠٠٩
* مُسافرٌ زاده الخيال... الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠١٢
* حُورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفمبر ٢٠١٣
* الحب والحرمـــان .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
* همســـات مصرية
* صوت المـــــلاك
* بنت الباشـــــــا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
* بُثينـــــــــــه
* عابد المصـــــرى
* رحلة الألف يـــوم * نسمة على النـيل ٢٠١٥
* لقاء في الطـــائرة * الجميلة والأســير ٢٠١٦
* العصـــفور وأنا ..
* رجاله ورق للبيـــع
* أيام من عمـري
* فـــهد اللـــيل
* نـــور العيـــون * ايزيـــس ٦٧

!Error!Error

رقم الإيداع بدار الكتب المصـــرية

٢٠١٧/١٤٥٢٦

مصر
فوق الجميع